نموذج ترخيص

أنا الطالبـة: بشرى نبيل مقبل سليم أمنح الجامعة الأردنيـة و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو اسـتغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونيـة أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

الصنعة في شعر المخضرمين: الشماخ الذبياني، وكعب بن زهير، ولبيد العامري أنموذجًا

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليميـة والجامعـات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميـع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: بشرى نبيل مقبل سليم

التوقيـع: بشرى

التاريـخ: 11/8/2014م

الطبيعة في شعر المخضرمين
الشمّاخ الذبيانيّ، وكعب بن زهير، ولبيد العامريّ أنموذجاً

إعداد
شذى نبيل سليم

المشرف
الأستاذ الدكتور حمدي منصور

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب، 2014

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (الطبيعة في شعر المخضرمين: الشمّاخ الذبيانيّ، وكعب بن زهير، ولبيد العامريّ أنموذجاً) وأجيزت بتاريخ 2014/8/4

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور حمدي منصور، مشرفاً أستاذ – الأدب القديم ونقده	....
الدكتور محمود جفال الحديد، عضواً أستاذ مشارك – فقه اللغة والنحو	....
الدكتور عبد الكريم أحمد الحياري، عضواً أستاذ مشارك – البلاغة والنقد القديم	....
الأستاذ الدكتور عبد الحليم الهروط، عضواً أستاذ – الأدب الأندلسي والمغربي (جامعة العلوم الإسلامية العالمية)	....

الإهـــــــــــداء

إلى

والـــــديّ بِرّاً...

و

إخـــــوتي وفاءً...

و

زوجي إخلاصـــاً...

و

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل...

شكر وتقدير

أسطر شكري العميق للأستاذ الدكتور حمدي منصور، الذي حرص على متابعة عملي في الرسالة، وقراءة فصولها بعناية وحرص. ولقد سعدت بملاحظاته التي أثرت الرسالة، وبنصائحه التي جعلتني أكثر دقة عند الكتابة، داعياً أن يجزيه الله – سبحانه وتعالى – عني كل خير.

كما أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الدكتور عبد الكريم أحمد الحياري، والدكتور محمود جفال الحديد، والأستاذ الدكتور عبد الحليم الهروط على تفضلّهم بمناقشة هذه الرسالة، ورفدي بالملاحظات وصادق التوجيهات.

فهرس المحتويات

الطبيعة في شعر المخضرمين: الشمّاخ الذبيانيّ، وكعب بن زهير، ولبيد العامريّ أنموذجاً

إعـــداد

شذى نبيل سليم

المشـــرف

الأستاذ الدكتور حمدي منصور

مُلخّص

وصف الطبيعة فنٌّ أصيل ارتبط بالشعر العربيّ منذ نشأته، فالطبيعة كانت دائماً مصدر وحي وإلهامٍ للشعراء، وكانت عند الشاعر المخضرم ميداناً رحباً، ومرعىً خصباً، أظهر من خلالها قدرته الإبداعية، فكانت مؤثرةً في نفسه، معبّرةً عن عواطفه وانفعالاته، ولغته وخياله.

هدفت هذه الدراسة إلى بيان المظاهر الطبيعية بشقّيها الصامت والصائت في شعر ثلاثة من الشعراء المخضرمين: الشماخ بن ضرار الذبياني، وكعب بن زهير، ولبيد بن ربيعة العامري، وبيان أهمّ الخصائص الفنية في شعرهم.

جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول وتمهيد:

التمهيد: وضّح مفهوم الخضرمة لغةً واصطلاحاً، وتضمّن الحديث بإيجازٍ عن الطبيعة في شعر ما قبل الإسلام وفي شعر صدر الإسلام، وضمّ التمهيد أيضاً تعريفاً موجزاً بحياة شعراء الدراسة المخضرمين: الشماخ بن ضرار الذبياني، وكعب بن زهير، ولبيد بن ربيعة العامري، وشعرهم.

الفصل الأول: اختصّ بدراسة الطبيعة الصامتة، بمجاليها في وصف الأرض، ووصف السماء، وما يدخل ضمن هذين المجالين.

الفصل الثاني: اهتمّ بدراسة الطبيعة الصائتة، من إبل، وخيل، وذئب، وكلب، وطير...

الفصل الثالث: تناول الخصائص الفنية لشعر الطبيعة عند شعراء الدراسة المخضرمين، من حيث النسيج اللغوي، والصور الفنية.

وانتهت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهمّ النتائج التي تجلّت أثناء الدراسة، ثمّ تلا ذلك ثبت المصادر والمراجع التي أفادت منها.

المقدمــــــــــة

إنّ موضوع الشعر يتصل بالطبيعة اتصالاً وثيق العُرا، متين الوشائج؛ إذ إنّ الطبيعة مصدر إلهام للشعراء، فهم يلوذون بجمالها، ويرتبطون بمغانيها، ويتغنّون بمظاهر سحرها، وهي قبلة لهم، واسترواح لما في جزئياتها من المشاهد المتألقة والصور الموحية.

ووصف الطبيعة وتصويرها من الأغراض التي عرفها الشعر العربي، فهي تلتصق أشدّ الالتصاق بظروف البيئة وطبيعة الإنسان، لذلك عبّر الشعراء من خلالها عن آلامهم ومطامحهم في آنٍ واحد، فجاءت على ذلك صورةً حيةً ناطقةً تعكس همومهم في صدق ووضوح.

أحبّ الشاعر الجاهلي الطبيعة التي عاش في أحضانها، فوصف كلّ ما وقعت عليه عيناه من المظاهر الطبيعية، حتى جاء الإسلام، فلم يمنع الشعراء من وصف الطبيعة ومظاهرها، وقد وردت في أشعار المخضرمين قصائد كثيرة في الطبيعة مستقلة وضمنية، وفي بعضها لا تختلف العناصر الأساسية في الوصف عما قيل في الشعر الجاهلي. فنجد الشعراء في العصر الجاهلي، وفي صدر الإسلام قد اهتموا بالطبيعة، كذلك على امتداد العصور الإسلامية، وما يعنينا اهتمام الشعراء قبل الإسلام وبعده بها؛ وذلك لكونهم اتصلوا بها اتصالاً مباشرا، فتأثروا ببيئتهم الطبيعية وبالوجود من حولهم، فاستمدوا جُلّ صورهم الفنية من مناظر الطبيعة من حولهم فتحولت الطبيعة بعناصرها وظواهرها إلى كائن حي نابض بالحياة.

قام الباحثون بدراسة موضوع الطبيعة في الشعر العربيّ وكانت أغلب الدراسات قد تناولته بصورة عامة في عصور مختلفة، كالطبيعة في الشعر الجاهليّ، وفي صدر الإسلام، وفي الأموي، وفي الشعر الأندلسي. فضلاً عن الدراسات التي تناولت الطبيعة بشكل خاص عند شاعر معين.

ودراستي هذه تتناول الطبيعة في شعر ثلاثة من المخضرمين، الذين عاشوا ردحاً من الزمن في العصر الجاهليّ وآخر في الإسلام، واهتموا بوصف الطبيعة في قصائدهم وأشعارهم واشتهروا بقدرتهم الفنية، وببراعتهم في الوصف.

وعليه تناولت هذه الدراسة موضوع الطبيعة في شعر الشماخ بن ضرار الذبيانيّ الذي اشتُهر بوصفه حُمرَ الوحش في مختلف أحوالها وطباعها في شعره، وكعب بن زهير، ولبيد بن ربيعة العامري، وهم

ثلاثة من الشعراء المخضرمين المُجيدين، والبارعين في الوصف، وقد حظيت الطبيعة بنصيبٍ وافرٍ في قصائدهم.

وكان المنهج المتَّبع في هذه الدراسة يعتمد على استقصاء وتحليل النماذج المستقاة من دواوين شعراء الدراسة، والخاصة بالطبيعة بشقّيها الصامت والصائت. ثم استخلاص أهمّ النتائج من خلال تحليل استعمالات الشعراء، سواءً أكانت في نصوص مستقلّة خاصة بالطبيعة، أم تمّ توظيفها في أبرز أغراضهم الشعرية كالمدح والغزل والهجاء.

وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول، مُهّدت بمدخل للدراسة، يوضح مفهوم الخضرمة لغةً واصطلاحاً، ويتضمّن حديثاً موجزاً عن شعر الطبيعة قبل الإسلام وبعده، والحديث كذلك عن حياة الشعراء المخضرمين الثلاثة وشعرهم.

أمّا الفصل الأول، فخصصته للحديث عن الطبيعة الصامتة، بمجاليها في وصف الأرض ووصف السماء، وما يدخل ضمن هذين المجالين من صحراء، وجبال، ووديان، ونجوم، وأنهار، ورياح، وسحاب وأمطار، وأشجار ونباتات...

وعقدتُ الفصل الثاني لدراسة الطبيعة الصائتة، وما ضمّتهُ من إبل وخيل، وظباء، ونعام، ومن كلاب وذئاب، وحيوانات وحشية، وطير...

وأمّا الفصل الثالث، فقد أفردته لدراسة الخصائص الفنية لهذا الضرب من الشعر، من حيث النسيج اللغوي، والصور الفنيّة.

تمهيد:

الخضرمة لغةً واصطلاحاً:

تناولت دراستي شعر ثلاثة من المخضرمين، ولهذا كان يجدر بي الوقوف على معنى الخضرمة، والشاعر المخضرم، وكيف ذهب بهما الاستعمال.

يكاد يتفق علماء اللغة على مفهوم لغوي للخضرمة، ويتضح هذا القول عند استخراج معنى مادة (خَضْرَمَ) من المعجمات اللغوية، والتي تحمل معاني عديدة إلا أنها متصلة ببعضها. فجاء في اللسان: " بئرٌ خِضْرِم: كثيرة الماء، وماءٌ مُخضرَم وخُضارم: كثير"[1]. وجاء في أساس البلاغة: "بحرٌ خِضرِم وبئر خِضرِم: كثير الماء، ورجل خِضرِم: كثير العطاء"[2]، وقال صاحب القاموس: " الخِضرِم: الكثير من كل شيء، والواسع، والجواد، والمعطاء."[3] وقالو الخِضرِم: السيد الجواد، كثير العطاء والمعروف، الكريم المحمول للعظائم، والجمع خِضرِمون وخضارِم وخضارِمة.[4]

كما وردت في معنىً آخر، فقالوا: " ناقةٌ مُخضرَمة: قُطع طرف أذنها "[5] والخَضرَمة: قطع إحدى الأذنين، وهي سمة الجاهلية[6]، وقالوا: " ناقةٌ مُخضرَمة: جُدِع نصف أذنها، ومنه المخضرَم: الذي أدرك الجاهلية والإسلام، وكأنّما قطع نصفه حيث كان في الجاهلية. "[7]

وقال ابن برّي: المخَضرِم (بكسر الراء) لأنّ الجاهلية لمّا دخلوا في الإسلام خضرموا آذان إبلهم ليكون علامةً لإسلامهم إن أغير عليها، أو حوربوا. ويقال لمن أدرك الجاهلية والإسلام: مُخضرِم، وأمّا من قال مُخضرَم (بفتح الراء) فتأويله عنده أنّه قطع عن الكفر إلى الإسلام[8].

---

1) ابن منظور (1968)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، مجلد 12، ص184، مادّة (خضرم).
2) الزمخشري (1958)، **أساس البلاغة**، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ص236، مادّة (خضرم).
3) الفيروز آبادي (1995)، **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر والطباعة والنشر، ص995، مادّة (خضرم).
4) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، (راجعه: د. إبراهيم أنيس وآخرون)، ص264، مادّة (خضرم). انظر أيضاً: (1986)، **المنجد**، ط3، بيروت: دار المشرق، مادّة (خضرم).
5) أساس البلاغة، ص236. اللسان، ص 185. القاموس، ص 995.
6) اللسان، ص185.
7) أساس البلاغة، ص236.
8) اللسان، ص186.

وقيل في معنى آخر: خَضْرَمَ الشيء: خلّطه[1]، وقال ابن خالويه: خَضرَمَ: خلّط، ومنه المخضرَم الذي أدرك الجاهلية والإسلام[2]. وقالوا: رجل مخضرَم: أبوه أبيض وهو أسود، وناقص الحسب ... ودعيّ ... ومختلط النسب. وقالوا: رجل مُخضرَم: إذا كان نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام، وشاعر مُخضرَم: هو من أدرك الجاهلية والإسلام، مثل لبيد وغيره ممن أدركهما[3]. وهذا هو المعنى الذي نريده هنا.

الخضرمة إصطلاح إسلامي جديد، وهو أن يشهد الرجل عصرين مختلفين، ويقال للواحد (مُخضرَم)، وقد " لازمت الكلمة اتصالها بالإسلام، فلم تكن لتطلق على من شهد عصرين غير الجاهلية و الإسلام "[4]، وقد توسع في إطلاق تسمية المخضرمين على كل من أدرك دولتين وشهد عصرين " كرؤبة بن العجاج، وحماد عجرد، فإنهما أدركا دولة بني أمية ودولة بني العباس، فهما من المخضرمين، كما ترجم أبوالفرج الأصفهاني لعدد من الشعراء شهدوا الدولتين فنص على تسميتهم بالمخضرمين[5].

كما نجد أن ابن سلّام قد أدرج أسماء بعض المخضرمين في مراتب الشعراء الجاهليين، فيعدّ المخضرمين في الجاهليين تارة، وفي الإسلاميين تارةً أخرى، وذلك في قوله: " ففصلت الشعراء من أهل الجاهلية، والإسلام، والمخضرمين فنزلناهم منازلهم"[6]. كما يقول السيوطي في المزهر عن الشعراء المخضرمين: " سمّي هؤلاء مخضرمين، كأنهم قطعوا عن الكفر إلى الإسلام، وممكن أن يكون ذلك لأنّ رتبتهم في الشعر نقصت، لأنّ حال الشعر، تطامنت في الإسلام لما أنزل الله تعالى من الكتاب العربي العزيز"[7].

---

1) مجمع اللغة العربية، الوسيط، ص264.
2) لسان العرب، ص186. انظر: القاموس المحيط، ص995، الوسيط، ص264.
3) لسان العرب، ص185. انظر: الوسيط، ص264.
4) الجبوري، يحيى (1962)، **لبيد بن ربيعة دراسة أدبية**، ط1، بغداد: مطبعة المعارف،ص7.
5) انظر: الجبوري، يحيى (1981)، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، ص53 – 56.
6) الجمحي، ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، شرح محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ج1، ص21.
7) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن جلال الدين (2010)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق الشربيني شريدة، القاهرة: دار الحديث، ج1، ص244.

أمّا ابن قتيبة، فيقول: " وإنما يكون مخضرماً، إذا أدرك الإسلام وهو كبير فلم يسلم إلّا بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –"[1]، ونلاحظ أنّ ابن قتيبة في قوله هذا يسقط من مفهوم المخضرمين الشعراء الذين أسلموا في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهم كثرة.

وتتناول هذه الدراسة ثلاثةً من الشعراء المخضرمين توزعت حياتهم بين العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، فنظموا الشعر والقصائد العديدة التي كان للطبيعة حظ وافر فيها.

شعر الطبيعة:

هام الإنسان بجمال الطبيعة، وصفاء سمائها، وأعجب بأشجارها، وأزهارها، وأنهارها، وترنّم على نوح وُرقها وتغريد أطيارها، فألهمته الخالد من القول والرائع من الفن في مجالي الطبيعة، الصائتة والصامتة، ونقصد بالأولى كل ما اشتملت عليه الطبيعة وحوته من أحياء ما عدا الإنسان، ونقصد بالثانية مظاهر الطبيعة وظواهرها ممثلا في سمائها وما فيها من نجوم وأفلاك تزينها، وتسير في مداراتها، ومن شمس وقمر، وغير ذلك من الظواهر الكثيرة مثل الرعد والبرق والمطر، وفي أرضها وما اشتملت عليه من جبال ووديان ووهاد ونجاد، وبحار وأنهار، ونبات وثمار.[2]

فشعر الطبيعة إذن، هو" الشعر الذي يمثل الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة كما خلقها الله سبحانه، وكما امتثلتها نفس الشاعر سابغاً عليها من خياله ما يزيدها جمالاً وإنسانية وحياة."[3]

شعر الطبيعة في العصر الجاهلي:

عاش الشاعر الجاهلي حياته وسط الطبيعة، فاهتم بها اهتماماً عظيماً، وتفاعل معها تفاعلاً مباشراً تأثر بها وانعكست عليه مظاهرها، و" خَبِر العربي ظواهرها، وتعبّد لها وقد حاول إخضاع

---

1) الدينوري، ابن قتيبة (1970)، **المعارف**، صححه وعلق عليه محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص249.

2) انظر في تعريف الطبيعة الصائتة والصامتة: السباعي، بيومي، وآخرون (1957)، **وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي**، القاهرة: المطبعة الأميرية، ص2،1. انظر ايضاً: الدهان، سامي (1963)، **الوصف**، دار المعارف. انظر ايضاً: قناوي، عبد العظيم علي (1949)، **الوصف في الشعر العربي**، ط1، مصر: مطبعة مصطفى الحلبي، ص154 – 155.

3) د. نوفل، سيد، **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، مكتبة الدراسات الأدبية 72، ط2، مصر: دار المعارف، ص24.

حياته لظروفها، وإخضاع ظروفها لحياته بشتى ضروب المعرفة البدائية وأساليبها."(1)

وكانت الطبيعة مصدر إلهام الشعراء، فتأملوها وعبّروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاهها، وبثّوا الطبيعة آلامهم، وأشركوها في أحزانهم وهمومهم، و" أعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف و التشبيهات و الحكم، ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها ومرت تجاربها وهم أهل وبر، وصحونهم البوادي، وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها."(2)

وكان حديث الشاعر قبل مجيء الإسلام عن الطبيعة متصلاً بدقائق الأشياء، فقد استوعب في شعره كل ما احتوته الطبيعة – بشقيها الصامت والصائت – من عناصر تدل على الألفة والإنسجام، " وقد وهِبَ الشاعر حساً دقيقاً بوحدات الصحراء المسموعة، وأصوات الفلوات، وأصوات أصدائها التي تتجاوب فيها إذا جُنّ الليل، وذهبوا مع الأوهام في تصور مصادرها فاعتقدوا أنّها من الجن تارةً، وأنّها من غير الجن تارةً أخرى".(3)

وقد تعددت الأغراض الشعرية في الشعر الجاهلي كالمديح، والهجاء، والرثاء، والغزل، والوصف، وأغراض أخرى، " وظواهر الطبيعة من بين الأغراض الأخرى في الشعر العربي تبدو أشدّ التصاقاً بظروف البيئة وبطبيعة الإنسان، فلهذا أودعها الشعراء عصارة قلوبهم، وعبروا من خلالها عن آلامهم ومطامحهم في آن واحدٍ، فجاءت على ذلك صورةً حيةً ناطقةً تعكس همومهم في صدق ووضوح".(4)

يعدّ الوصف من أبرز الفنون التي برع فيها الشعراء الجاهليون، وقد أظهر الشعراء براعتهم ومقدرتهم الفنية في الوصف، فكانت بيئتهم معين وصفهم، والعين الثرّة لصورهم، إذ استمدوا منها جل تشبيهاتهم وصورهم، وتتبعوا فيها عناصر الطبيعة المختلفة الصامتة والصائتة بدقّة، فوصفوا رحلاتهم في مفاوز الصحراء ودروبها الطويلة الخاوية، ووقفوا عند الديار المهجورة بعد رحيل أحبابهم، فكان للأطلال في أشعارهم حديث طويل، كما وصفوا الجبال والوديان، والهضاب والرمال والسراب، وعرضوا كذلك للرياح والسحاب والبرق والرعد والمطر، وذكروا المياه ومواردها، وذكـروا النباتات

---

1) د. البطل، علي(1980) **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري: دراسة في أصولها وتطورها**، (ط1)، دار الأندلس للطباعة والنشر، ص229.

2) ابن طباطبا، **عيار الشعر**، تحقيق د. طه الحاجري، و د. محمد زغلول سلّام، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1956، ص10.

3) القيسي، نوري حمودي، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، (ط1)، دار الإرشاد، بيروت، 1970م ، ص136.

4) عروات، أحمد فلاق، **تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص31.

بأنواعها، كالنباتات الصحراوية، وأعشابها وأشجارها، فذكروا النخل والحنظل وغير ذلك من أصناف النباتات.

وأمّا الحيوان، فكانت أشعارهم عليه كثيرة وأوصافهم فيه دقيقة، و" يتميز الأدب العربي ولا سيما الجاهلي منه بأنّه عني بوصف الإبل والخيل عنايةً عجيبة... واهتم بدقائقهما وخصائصهما، واستقصى حركاتهما، ووصف أعضاءهما"[1]، وتحدثوا عن الحيوانات الأخرى، فوصفوا حياة الحمار الوحشي والنعام، وحياة الثور والبقرة الوحشيين، وتحدثوا كذلك عن رحلة الصيد والمعركة بين الكلب والثور، وصوروا الصراع بينهما، وعرضوا كذلك للأسد، والذئب، والثعلب، والضبع، والضب، ووقفوا على الطيور وحركاتها، فوصفوا حركات الطيور كالعقاب والصقر والنسر، والحمام، والغراب، ووصفوا حياة القطا، وحتى الزواحف والهوام ذكروها في أشعارهم.

شعر الطبيعة في صدر الإسلام:

وجد الشعراء في الطبيعة ومظاهرها مادة خصبة للحديث، وميداناً فسيحاً للتصوير، وإنّ تفاعلهم معها يعكس مدى تعلّقهم ببيئَتهم التي ترعرعوا في أحضانها، واستهوتهم صحراؤها ورمالها وكثبانها، وعشقوا سماءها وماءها وحيوانها، وعبّروا عن حبّهم وأحاسيسهم تجاهها بشعرهم، فعرضوا لمظاهرها، الصامتة والصائتة عرضاً دقيقاً، ووصفوا كل الظواهر التي وجدت وشخصت ذروة التفاعل الوجداني بين الإنسان والطبيعة.

وبمجيء الإسلام، زاد هذا التفاعل واشتدّ بعد معرفة العربي ويقينه أنّ الله خلق الطبيعة مسخّرة له بكلّ ما فيها، وعلِم أنّ الطبيعة ومظاهرها نعمة رُزقها، وأنّ " هذه العناصر الطبيعية التي تحيط بالإنسان ليست شرّاً له، أو أذىً له كما كان ذلك في التصوّر القديم، بل هي نعمة من نعم الله عليه، ومنفعة وتجسيد لإحسانه إليه، ولهذا عبّر القرآن بكلّ ما يدلّ على ذلك، وبقربها للإنسان، فيجعلها محببة إليه."[2] كما أقسم الله في كتابه الكريم بمظاهر الطبيعة، فأقسم بالشمس والقمر، والنجوم، والليل والنهار، والفجر، والأرض والجبال، والخيل، والتين والزيتون، وجعل فيها آيات وعبرة للمعتبرين. واستخرج القرآن من الطبيعة العبر في كثير من آياته، ومنها قوله تعالى: (إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل

---

1) القيسي، نوري، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص96.

2) الزيدي، كاصد ياسر(1980) **الطبيعة في القرآن الكريم**، بغداد: دار الرشيد، ص73.

الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)[1].

صوّر الشعراء في العصر الجاهلي الطبيعة في قصائدهم، وعالجوا ظواهرها معالجة مستقلة وضمنيةً " انعكس التصور الإسلامي في كثير منها لسمو الهدف من رسمها، والسبيل الذي اتخذه الشاعر لها، ليوصله إلى ذلك الهدف من سلامة في التفكير، وصدق في القول، وبعد عن المعاضلة."[2]

لم تقف الحياة الإسلامية من الشعر موقف خصومة أو عداء، كما لم يمنع الإسلام الشعراء من وصف الطبيعة ومظاهرها، فكان الشعراء المسلمون يهجون خصومهم، ويمدحون النبي، ويدخلون إلى المدح بأوصاف للطبيعة على طريقتهم. ومما يدل على تقدير الرسول – صلى الله عليه وسلم – لشعر الطبيعة، إنشاد كعب بن زهير قصيدته (بانت سعاد) بين يديه، وإصغاؤه لحديث كعب عن الرحلة ووصف الناقة وهي كثرة القصيدة.

ورد في أشعار المخضرمين قصائد كثيرة في وصف الطبيعة، وفي بعضها لا تختلف عناصرها الأساسية وتفصيلاتها في الوصف عما قيل في الشعر الجاهلي، إلا أنّ جُلّ صورهم كانت تبدو جديدة لجدّة الموضوعات التي عالجتها،[3] والتجديد في أسلوب معالجة موضوعات الطبيعة، والتصور في الأفكار التي كانت موجودة في الجاهلية، كالاستسقاء بالأنواء، حيث كانوا يربطون بينها وبين الأمطار، ويضيفون الرياح والحرّ والبرد إلى الساقط منها، فيقولون: مُطرنا بنوء كذا[4]،، وهذه النظرة محرّمة في الإسلام، وكذلك حُرّمت بعض الأفكار، كفكرة التشاؤم والعيافة، والطيرة التي كان الشعراء الجاهليون يوكلون إليها أفعالهم، ويؤمنون بتأثيرها النافع أو الضار عليهم، وكذلك فكرة تقديس الشجرة وغيرها، فأزاح الشاعر في الإسلام هذه الاعتقادات وفق ما جاء به نبيِّه، وما أُنزل عليهم في القرآن الكريم، وبذلك رفع " كل تصوّر أسطوري يمكن أن يخلع عن الطبيعة صفة الحيوية، ويجعلها شيئاً غريباً عن واقع الكون وحقيقته".[5]

---

1) سورة البقرة، آية 164.

2) حسين، عبد القادر،**الطبيعة في شعر الحطيئة**، رسالة ماجستير،(2004).جامعة الموصل.

3) انظر: مقبل، مراد محمد سالم(2008)، **تحولات الشعر في عصر صدر الإسلام**، رسالة ماجستير، جامعة عدن.

4) انظر: الدينوري(1956)، ابن قتيبة، **الأنواء في مواسم العرب**،(ط1)، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ص7.

5) الزيدي، كاصد ياسر، **الطبيعة في القرآن الكريم**، ص73.

الشعراء المخضرمون، حياتهم وشعرهم:

أولا: الشمّاخ بن ضرار الذبياني.

هو الشمّاخ بن ضرار بن سنان بن أمية... بن سعد بن ذبيان الغطفاني(1)، يكنّى أبا سعيد، وأبا كثير، وقد جاء أنّ الشمّاخ لقبه، واسمه معقِل(2). وللشماخ أخوان من أمه وأبيه شاعران، أحدهما المزرّد، وهو أشبههما به وهو مشهور، والثاني جَزْء(3). وقد نشأ الشماخ وشبّ بين أسرة كان للشعر فيها حظٌ وافر، فكان الشماخ واخوته، وأبناء أخويه من الشعراء، كما أنها كانت أسرة حسيبة، وقد أكسبه هذا الحسب العريض اعتزازاً وثقةً وأنفةً، انعكست على شعره(4).

والشماخ شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام(5)، جعله ابن سلّام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام، وقرنه بالنابغة ولبيد، وأبي ذؤيب الهذلي(6)، وعدّه الحطيئة أشعر غطفان.(7)

اشتهر الشماخ بوصفه للقوس والحمر الوحشية، وقيل: إنّه أوصف الناس للحمير، وأوصفهم للقوس،(8) وإنّ الوليد بن عبد الملك قد أنشد له شيء من شعر الشماخ في صفة الحمير، فقال: " ما أوصفه لها! إني لأحسب أنّ أحد أبويه كان حمّاراً"(9).

---

1) انظر حياته وشعره: الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، تحقيق د. إحسان عباس وآخرون، بيروت: دار صادر، ج9، ص118. الزركلي، خير الدين(1979) **الأعلام**، بيروت: دار العلم للملايين، ج3، ص252 – 253. الهادي، صلاح الدين، **الشماخ بن ضرار الذبياني حياته وشعره**، مكتبة الدراسات الأدبية 45، مصر: دار المعارف، ص77،78. انظر ايضا: الذبيانيّ الغطفاني، الشماخ بن ضرار. **ديوان الشماخ**، ط1، شرح وتقديم :قدري مايو، دار الكتاب العربي،بيروت، 1994م ، المقدمة، ص11 – 13. د. بابني، عزيزه فوال (1998)، **معجم الشعراء المخضرميين والأمويين**، ط1، بيروت: دار صادر، ص205 – 206. د.الكريطي، حاكم حبيب (2001)، **معجم الشعراء الجاهليين والمخضرميين**، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، ص26.

2) الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج9، ص118. الهادي، صلاح الدين، **الشماخ بن ضرار الذبياني حياته وشعره**، ص75.

3) الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ص132- 133. الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج9، ص118-119. الهادي، صلاح الدين، **الشماخ بن ضرار الذبياني حياته وشعره**، ص87 – 88.

4) الهادي، صلاح الدين، **الشماخ بن ضرار الذبياني حياته وشعره**، ص90 – 91.

5) الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج9، ص118. البغدادي، عبد القادر بن عمر (1998)، **خزانة الأدب ولُباب لسان العرب**، قدم له ووضع هوامشه د. محمد نبيل طريفي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، ص186. الهادي، صلاح الدين **الشماخ بن ضرار الذبياني حياته وشعره**، ص79 – 80.

6) الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص132-133. انظر أيضاً: الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج9، ص119،120. البغدادي، **خزانة الأدب**، ج3، ص186. بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار، مصر: دار المعارف، ج1، ص170.

7) الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج9، ص120. زيدان، جرجي (1957)، **تاريخ آداب اللغة العربية**، طبعة جديدة راجعها د. شوقي ضيف، دار الهلال، ج1،ص176. بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ص170.

8) زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج1،ص176. انظر أيضا: بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ص170.

9) الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج9، 120. البغدادي، **خزانة الأدب**، ج3، ص187.

وعلى الرغم من تعدد فنونه الشعرية، كالمديح، والفخر والنسيب، والرثاء، إلّا أنّه يعد من الشعراء الوصّافين، وذلك لبراعته في وصف الحمر الوحشية والقوس، ولقدرته على التصوير الدقيق، ودقة ملاحظته، وبراعته في التعبير، " فقد طغت شهرة الشماخ في أدب الوصف على سائر موضوعات شعره، حتى يكاد لا يذكر إلا في هذا الباب".[1]

تميز شعر الشماخ بصعوبة ألفاظه، ووعورة مصطلحاته، فقد وُصف شعره بالكزازة[2]، ووُصفت مفرداته الشعرية بقطع الصخور والجنادل عند الجاهليين بعامة[3]، فعلى الرغم من أنّ الشماخ قد أدرك الإسلام وقاتل في معاركه، ولكنه بقي جاهلي الأسلوب والعبارة راجزاً وشاعراً. وهذا ليس بغريب عليه، فهو ابن البادية، وشعره منعكس من نفسه وروحه البدوية.

اختلف في تحديد سنة وفاة الشماخ، وفي أي حادثة كانت، فبعضهم ينقل أنّه توفي سنة (22هـ)، استناداً إلى موقعة موقان[4]، وبعضهم يجد أنّه توفي سنة (32هـ)[5].

ثانياً: كعب بن زهير.

هو الصحابي الجليل والشاعر المشهور أبو عقبة كعب بن زهير بن أبي سلمى[6]. لم تذكر المصادر شيئاً عن تاريخ مولده، وما ذُكر يقتصر على إقامته في قوم أمه بني غطفان، ونشأته فيهم كأنه واحد منهم، يشترك في جميع مآتيهم حرباً وسلماً.[7]

ويبدو أنّ شاعرية كعب قد ظهرت في وقت مبكّر، فقد ورث كعب عن أبيه ملكة الشعر[8]، كما اتفق

---

1) الهادي، صلاح الدين، **الشماخ بن ضرار الذبياني حياته وشعره**، ص162.

2) الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ص132.

3) مقدمة ديوان الشماخ، شرح قدري مايو، ص15.

4) البغدادي، **خزانة الأدب**، ج3، ص188. الزركلي، **الأعلام**، ص252 – 253.

5) مقدمة ديوانه، شرح قدري مايو، ص21.

6) انظر حياته وشعره: الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص199. الدينوري، ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج1، ص89 – 92. الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج17، ص38 – 46. الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص226. . زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج1، ص183. بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ص156 – 162. المزني، كعب بن زهير (1989)، **ديوان كعب بن زهير**، (صنعة: الإمام أبي سعد السكري)،(شرح ودراسة: الدكتور مفيد قميحة)، (ط1)، الرياض: دار الشوّاف للطباعة والنشر، المقدمة، ص8 – 10. انظر: مقدمة ديوان كعب، شرح د. حنا ناصر الحتي، ص87. د.بابني، عزيزه فوال، **معجم الشعراء المخضرميين والأمويين** ، ص393 – 394.

7) الدينوري، ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج1، ص143.

8) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ص156.

الرواة على أنّ الشعر لم يتصل في ولد أحد من فحول الشعراء في الجاهلية اتصاله في زهير وولده[1] إذ إنّ كعباً كان سليل بيت شعري أصيل، نشأ في بيئة شعرية، وفُطر على قول الشعر، وترعرع على حبه والاستماع اليه، مما قوّى ملكته الشعرية وجعله شاعراً فحلاً مجيداً.

يعد كعب بن زهير شاعراً مخضرماً، اذ قدّر له أن يعاصر الجاهلية والإسلام، ويعيش في كل منهما ردحاً من الزمن لم يُتفق على تحديد مدته. وقصة إسلامه مشهورةٌ، تناقلها الرواة وذكرت في عدد كبير من المصادر والمراجع الأدبية[2].

ارتبطت سيرة كعب الأدبية بقصيدة البردة[3] التي ألقاها بين يدي الرسول – صلى الله عليه وسلم –، تلك القصيدة التي احتلت مكانها اللائق في عالم الشعر " حتى غدت نهجاً سلكه أكثر الشعراء، وطريقاً اقتفوا آثاره في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – "[4]، وهي القصيدة التي ألبست الشاعر حلّة مجد لا يبلى، ومطلعها:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إثرَها لَم يُفدَ مَكبولُ

ونجد أنّ المصادر والمراجع تذكر كعباً مرتبطاً بقصيدته هذه، فابن سلّام في طبقاته يخصص حديثه عن كعب لحادثة إسلامه، وإلقائه تلك القصيدة بحضرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – كما يعدّه في الطبقة الثانية من الشعراء، ويقدمه على الحطيئة.[5] أمّا ابن قتيبة، فيذكر كعباً مقتصراً قوله: " إنه كان فحلاً مُجيداً"[6].

أما عن تاريخ وفاته، فقد تضاربت الآراء والأقوال عند مؤرخي الأدب العربي، فذكر البعض أنه توفي سنة (24 هـ)[7]، وذكر بعضهم الآخر سنة (26 هـ)[8] بينما آثر البعض سنة (42 هـ)[9].

---

1) الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ص37. الدينوري، ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج1، ص149.
2) الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج17، ص64 – 66. زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج1، ص183. بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ص156 – 162. مقدمة ديوان كعب، شرح د. حنا ناصر الحتي، ص13-15. ومقدمة ديوان كعب، شرح د. مفيد قميحه، ص19-21.
3) طبعت هذه القصيدة مراراً بمصر وأوروبا، وشرحها كثيرون، منهم ابن دريد والتبريزي، وغيرهما، ومن الأصل والشروح نسخ كثيرة، انظر في الحديث عن ذلك: زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج1، ص183. بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ص157 – 162.
4) مقدمة ديوانه، شرح مفيد قميحة، ص21.
5) الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ص99 -105.
6) الدينوري، ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج1، ص89 - 91.
7) زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج1، ص183.
8) الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص81.
9) الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ص34. مقدمة ديوانه، شرح د. حنا ناصر الحتي، ص20-21. الرواشدة، مشهور خالد (2006)، **شعر كعب بن زهير دراسة فنية**، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، ص8.

ثالثاً: لبيد بن ربيعة العامري.

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري[1]، يُكنّى أبا عقيل، قُتل أبوه في يوم ذي علق، وهو يوم لبني أسد على عامر[2]، وكان لبيد صغيراً، فربّاه أعمامه.

أدرك لبيد الإسلام، وأسلمَ ووفد إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – مع وفد بني عامر، وهاجر وسكن المدينة، ثم انتقل إلى السكن في الكوفة، وأقام بها إلى أن مات ودفن في صحراء بني جعفر بن كلاب.

وشعر لبيد من أجود أشعار البدو، وقد اختيرت قصيدة من شعره في المعلّقات. " فلبيد قادر على صياغة موضوعات البداوة صياغة ساحرة، ومما يزيد شعره نفاسةً ما يتردد فيه من نغمات دينية"[3]. على أنّ الأدباء لم يتفقوا في تقويم شعره، فمنهم من رآه سهل المنطق رقيق الحواشي، وهم من قد نظروا إلى أشعاره ذات السمات الدينية، وفريق آخر عدّه مثالاً لخشونة الكلام وصعوبته، وهم من نظروا إلى أشعاره التي يصوّر فيها مناظر الصحراء، ويفتخر فيها بأمجاد وأيام قبيلته.[4] وذكره صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء في مصنّفه، وأدرجه في الطبقة الثالثة مع النابغة الجعديّ، والشماخ بن ضرار، وأبي ذؤيب الهذليّ[5] وعدّه ابن الأنباري خير شاعر لقومه؛ لأنّه رثى موتاهم، وبكى قتلاهم، وخلّد أيّامهم، وذكر مواقعهم، وصنع في ذلك ما لم يصنعه غيره من الشعراء.[6]

1) انظر حياته وشعره: الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص135-136. الدينوري، ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج1، ص194 – 203. الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج15، ص241 – 46. البغدادي، **خزانة الأدب**، ج2، ص216. الزركلي، **الأعلام**، ج6، 104. زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج1، ص120-122. بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ص145 – 147. العامريّ، لبيد بن ربيعة(1993)، **ديوان العامريّ**، (ط1)، (شرح :الطّوسي)،(تقديم: الدكتور حنّا نصر الحتّي)، بيروت: دار الكتاب العربي، ص7-24. د. بابني، عزيزه فوال، **معجم الشعراء المخضرميين والأمويين**، ص404 – 406.

2) مقدمة ديوان لبيد، شرح الطوسي، ص7.

3) المصدر نفسه، ص 17.

4) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ص146.

5) الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص131.

6) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم(1963)، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: دار المعارف، ص 281.

افتخر لبيد بشعره، فحين سئل عن أشعر الناس قال: الملك الضليل –يعني امرأ القيس- ثمّ الشابّ القتيل –يعني طرفة بن العبد- ثمّ الشيخ أبو عقيل – يعني نفسه- [1].

وبلغ شعر لبيد مبلغاً عظيماً من الجودة والإتقان، فهناك من يروي أنّ الفرزدق مرّ يوماً بمسجد بني أُقيصر، وعليه رجل ينشد قول لبيد:

وَجَلا السُّيُولُ عَنْ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلامُـهَا

فسجد الفرزدق، فقيل: ما هذا يا أبا فراس؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرف سجدة الشعر.[2] كما شهد له النابغة بأنّه أشعر العرب.[3]

ولعلّ ما يدل على بلاغة النظم وجودة السبك عند لبيد، وعميق الفكر الذي كان يمتاز به قوله:

ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلُ وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائِلُ

فقد نال هذا البيت إعجاب الرسول الكريم– صلى الله عليه وسلم – إذ قال: "أشعر كلمة تكلّم بها العرب كلمة لبيد"، مشيراً بذلك إلى البيت الآنف ذكره.[4] وتدل الشواهد السابقة على أنّ لبيداً تبّوأ منزلة رفيعة بين نظرائه من الشعراء آنذاك، بفضل امتلاكه ناصية اللغة المعتمدة على اطلاق العنان للخيال الخلاق، الذي يبتكر الصور والمعاني التي تثير اهتمام القارئ، وتحفّزه لاستكناه غموضها.

أمّا وفاته، فقد اختلفت المصادر في تحديد السنة التي توفي فيها، فبعضهم ذكر أنه مات وهو ابن مائة سنة، وآخر يذكر موته وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة[5] والبعض يذكر انه توفي سنة (40 هـ)[6] وآخر يحدد سنة وفاته (41 هـ)[7] ونستطيع أن نخلص إلى أنّ لبيداً عمّر كثيراً، فعمره في رأي المقلّين لا يقلّ عن مائة وعشر سنوات، وفي رأي المكثرين مائة وخمس وسبعون سنة.

---

1) الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج15، ص251. مقدمة ديوانه، شرح الطوسي، ص20.

2) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، ص510-511. الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، ج15، ص253.

3) مقدمة ديوانه، شرح الطوسي، ص20.

4) زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج1، ص121.

5) الدينوري، ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج1، ص195.

6) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ص145.

7) مقدمة ديوانه، شرح الطوسي، ص21.

الفصـــــــــل الأول

الطبيعة الصامتة

- الصحراء
- السراب
- الكواكب والنجوم
- السحاب
- المطر والبرق والرعد
- الرياح (الصبا والدبور والشمأل والجنوب)
- المياه
- الأشجار والنباتات
- الجبال
- الوديان
- الكثبان الرملية
- الدارات والبُرق والحرّات
- الرياض

الصحراء:

تشغل الصحارى قسمًا كبيرًا من جزيرة العرب، وكانت بالنسبة للجاهلي، ببئته الطبيعية، فيها يتجوّل طالباً رزقه، يتكيّف معها ليصبح حبها طبيعةً مركّبةً في نفسه، "فجرى حبها مجرى دمائه في جسده فصورها متأملاً أغلب دقائقها بصحرائها الممتدّة ذات الكثبان والهضاب والنجود الموحشة المخوفة"(1)

إنّ معظم الشعراء في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، كانوا من عشّاق الصحراء، فذهبوا يصفون مفاوزها وأماكنها الموحشة في رحلاتهم، وصفوا طرق الصحراء ودروبها الطويلة الخاوية، وميّزوا فيها كلّ التلال والهضاب والصخور، ووصفوا الجبال وذكروا الآل، والرمال والكثبان، ووصفوا حيوان الصحراء الوحشي.

وقد بات ارتياد الصحراء "وجهاً من وجوه البطولة والفروسية، ولقد تكرّس وصفها في سنّة الشعر المدحي،حيث جعل الشعراء يستعظمون صعوبة ولوجها ووحشة ارتيادها، مُظهرين بذلك شدّة العقبات التي يتجشّمونها في سبيل المدح."(2)

ونجد كعباً يصف رحلته الشاقّة إلى ممدوحه، وما واجهه فيها من صعوبات خلال سيره في الصحراء، وقت الهاجرة على ظهر ناقته، يقول:

حتَّى إذا انتصَب الحِرْباءُ وانتقلتْ وحانَ إذ هجّروا بالدّوِ تغويرُ(3)

كما وصف لبيد سيره في الصحراء الموحشة التي تسكنها السباع، في سبيل وصوله إلى ممدوحه،

---

1) حسين، عبد القادر،**الطبيعة في شعر الحطيئة**، رسالة ماجستير،(2004).جامعة الموصل.

2) حاوي، إيليا، **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي**،(ط2)،بيروت: منشورات دار الكتاب اللبناني، ص24.

3) المزني، كعب بن زهير. **ديوان كعب بن زهير**، (ط1)، (صنعة: الإمام أبي سعد السكري)،(شرح ودراسة: الدكتور مفيد قميحة)، دار الشوّاف للطباعة والنشر،الرياض، 1989م ، ص80. الدوّ: المفازة. التغوير: يريد هنا القيلولة من حر الهاجرة.

فأنشد مفتخراً:

إليك جـــــــــاوزنا بلاداً مُسبعهْ
إذا الفلاةُ أوحشت في المعمعهْ [1]

وفي صورة مقابلة، وصف كعب ما كان بينه وبين محبوبته من الود الذي أصبح أمانيّ كاذبة، فهو يريد تركها، وكيف يحنّ إليها وبينهما مفاوز تُهلك المطيّ إن سلكها، وفي ذلك يقول:

أتصبو إلى سلمى ومن دونِ أهلها   مَهَـــــــــامِهُ يَغْتالُ المَطِيَّ سُهُوبُها[2]

وقد غدا وصف الصحراء يستحوذ على جُلّ قصائدهم، ويتجلّى في معظم أشعارهم، فهذا الشمّاخ يصف الصحراء في كثير من شعره، فهو شاعر بدويّ أمضى حياته مرتحلاً في جوانب الصحراء على ظهور الإبل، ومن ذلك قوله:

وَداوِيَّةٍ قَفرٍ تَمَشّى نِعـــــــــاجُها   كَمَشيِ النَصارى في خِفافِ اليَرَندَجِ[3]

ونجد الشماخ وقد أخذته الصحراء في صخد الشمس وتوقّد حزّانها ساعة الهاجرة، يشبّه توهّج صخورها بنيران شجر العرفج، يقول:

بِمَفطوحَةِ الأَطرافِ جَدبٍ كَأَنَّمــا   تَوَقُّدُهـــا في الصَخرِ نيرانُ عَرفَجِ[4]

ويصف لبيد الصحراء في أثناء فخره بقومه، فيقول:

نشينُ صحاح البيد كـــلّ عشيّةٍ   بعوج السرّاء عند بـــــاب محجّبِ[5]

وتوصف الصحراء بأنّها موماة وصرماء، وخرق[6]، وغبراء[7]، وقواء[8] ...، إلى غير ذلك

---

1) العامريّ، لبيد بن ربيعة. **ديوان العامريّ**، (ط1)، (شرح :الطّوسي)،(تقديم: الدتور حنّا نصر الحتّي)، دار الكتاب العربي،بيروت، 1993م ، ص35. انظر أيضاً: المصدر نفسه ، ص109. المعمعه: شدّة الحر.
2) ديوان كعب، ص48. المهامة: المفاوز البعيدة. السهوب: جمع سهب، وهو المستوي البعيد من الأرض في سهولة.
3) انظر: الذبيانيّ الغطفاني، الشماخ بن ضرار. **ديوان الشماخ**، (ط1)، (شرح وتقديم :قدري مايو)، دار الكتاب العربي،بيروت، 1994م ، ص35. الداويّة: الفلاة الموحشة. اليرندج: جلد أسود تتخذ منه النعال.
4) المصدر نفسه ، ص39. عَرفَجِ: نبات سريع الاشتعال. زرق النواحي: النصال الزرق الحادة.
5) ديوان لبيد، ص53. البيد: الصحراء. (نشين صحاح البيد): نخط بأطراف قسينا. انظر ايضا: ديوانه، ص143.
6) موماة: لا ماء فيها. صرماء: لا ماء فيها ولا نبت. خرق: مقفرة وبعيدة. انظر: ديوان كعب، ص127.
7) غبراء: أرض مجدبة. انظر: المصدر نفسه، ص61. انظر أيضاً: ديوان كعب، ص53.
8) قواء: أرض لا أنيس فيها، وقيل: هي الأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين. انظر: ديوان كعب، ص121.

من الصفات التي تفيد الخوف والهلاك والحيرة، يقول كعب:

يوماً قطعتُ وموماةٍ ســـريتُ إذا   ما ضاربُ الدُّفِّ من جنانِها عزَفا[1]

كما يصف كعب سيره في الصحراء الموحشة قائلاً:

وصرماءَ مذكـــــارٍ كأنّ دويَّهـــا   بُعَيْدَ جنـــــــــانِ الليل مما يخيَّلُ[2]

ووصف شعراء الدراسة المخضرمون الصحراء في معرض وصفهم لرواحلهم السريعة، التي تشقّ الصحراء وتواصل السير معهم في مفاوزها الموحشة، ونجد لبيداً يذكرها في وصفه لناقته الضخمة والجسورة، التي تقطع الأرض الواسعة المتوقّدة من حرّ الشمس قائلاً:

وأقطَعُ الخَرْقَ قد بادَتْ مَعَـــالِمُهُ   فمَـــــــا يُحسُّ بهِ عينٌ ولا أثَـــرُ

بجسرةٍ تنجلُ الظُّرَّانَ نـــــــاجيةٍ   إذا توقّد في الديمومة الظُّـــــرَرُ[3]

ويصف لبيد سيره في الصحراء الموحشة، وهو على ظهر ناقته الضخمة والقويّة قائلاً:

ورقـــــــاقٍ عُصْبٍ ظُلمــــانهُ   كخريقِ الـــحبشيين الـــــزُّجَلْ

قَدْ تجاوَزْتُ وتحْتي جَسْـــــــرَةٌ   حَرَجٌ في مِرْفَقَيْها كـــــــالفَتَلْ[4]

كما تحدّث كعب عن الصحراء الواسعة والمقفرة، التي يضلّ بها السائر، والتي أتعب السير فيها ناقته، يقول:

ومريضةٍ قفْرٍ يحاذرُ شرُّهـــــــا   مِنْ هَوْلِها قَمَنٍ منَ الحَدَثـــــانِ

غَبْراءَ خَاضِعةِ الصُّوَى جَاوَزْتُها   ليلاً بكاتمةِ السُّرى مذعـــانِ[5]

---

1) ديوان كعب، ص89. الموماة: الصحراء الواسعة التي لا ماء فيها. الجنّان: يعني الجنّ. عزف: صوّت. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص86.

2) ديوان كعب، ص118. الصرماء: الأرض التي لا نبت فيها ولا ماء. المذكار: الأرض المخوفة التي لا يسلكها إلا الذكر من الرجال.

3) ديوان لبيد، ص86. الخرق: البعيد من الأرض. الجسرة: الضخمة. تنجل: ترمي. الظران: الحجارة. الديمومة: الملساء المستوية. الظرر: حجارة محددة.

4) ديوان لبيد، ص121. الرقاق: الصحراء المتسعة اللينة. الزجل: جمع زجلة وهي الجماعة من الناس. الظلمان: جمع ظليم وهو ذكر النعام. الحزيق: الجماعة من الناس والطير والنخل وغيره. الحرج: التي لا تركب. الفتل: اندماج في مرفقي الناقة. انظر: المصدر نفسه، ص 91، ص248.

5) ديوان كعب، ص159. المريضة: الأرض الواسعة المقفرة. القمن: الجدير والخليق. الحدثان: الليل والنهار. الغبراء: الأرض. الصوى: الأعلام التي تجعل على الطريق فيهتدى بها. المذعان: المذعنة في سيرها.

السراب

تعددت رحلات الشعراء في الصحراء، فوصفوا كلّ ما شاهدوه فيها، وقد كان السراب من أبرز المشاهد التي حظيت باهتمامهم في تلك الرحلات الضاربة في كل وجه وصوب، فكانوا لا بُدّ أن يتطرّقوا في حديثهم عن الصحراء إلى حديثهم عنه، فكانوا " يتناولون في حديثهم عن ارتفاعه الذي يكنّون به عن ارتفاع النهار وشدّة الحرّ، ثمّ يتطرّقون إلى وصف رواحلهم... وهي ترتفع وتنخفض وسط هذا السراب كما تتراءى لهم."(1)

أشار الشماخ إلى ترقرق السراب وسط الصحراء، وكأنّه غدير ماء، لكنه كلّما اقترب منه ارتحل أمامه، يقول:

وَإِن رَمَيتَ بِها في طامِسٍ دَأَبَت إذا تَـرَقرَقَ آلٌ بَعدَ رَقـــــــراقِ(2)

ووصف كعب الأبارق وقد اكتست بنقاب من السراب قائلاً:

حتى إذا اكتست الأبـارقُ نُقبةً مثلَ المُلاءِ من السرابِ الجاري(3)

أمّا لبيد، فوصف إبله لمّا زايلها السراب، وكأنّها شجرٌ قد ضربته الريح، يقول:

حُفِزَتْ وَزَايَلَهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا أَجْزَاعُ بِيشَةَ أَثْلُهَا وَرِضَـــــامُهَا(4)

"إنّ أغلب ما ورد من الشعر في السراب كان من خلال أحاديث الشعراء عن الإبل وسرعتها وشدّتها، والأعلام التي كانوا يهتدون بها"(5). وقد وصف الشعراء المخضرمون رواحلهم القوية وهي تجتاز الصحراء الملتهبة، أو الجبال الشامخة التي يلفّها السراب. فنجد كعباً يصف رحلته الصعبة، وسيره في الهاجرة، إذ تبدو الجبال وقت اشتداد الحرّ وكأنها لبست السراب، وتقنّعت به، حتى صار لها كالعمائم :

وهاجِرةٍ لا تَسْتَرِيدُ ظِباؤهـــا لأعلامها من السَّرابِ عمـــائمُ(6)

---

1) القيسي، نوري حمودي. **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، (ط1)، دار الإرشاد، بيروت، 1970م ، ص29.
2) ديوان الشماخ، ص92. الطامس: الخرق أو القفر الذي يصعب اجتيازه. الآل : السراب.
3) ديوان كعب، ص61. الأباق: أرض غليظة مختلطة بالحجارة والرمل. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص225.
4) ديوان لبيد، ص206.
5) انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص29.
6) ديوان كعب، ص140. لا تستريد: لا ترود وقت الحر فتذهب وتجيء. الأعلام: الجبال.

أمّا لبيد، فيصف سرعة ناقته التي أعياها التعب من شدّة ما لاقته في الرحلة من صعوبات ومخاطر، فتنجو في سيرها في صحراء ملتهبة ممتدة السراب:

وناجِيَةٍ أنْعَلْتُها وابْتَذَلْتُهـــــا   إذا ما اسْجَهَرَّ الآلُ في كلّ سَبسَبِ[1]

كما يصف الشماخ ناقته تلجّ في سيرها وقد ارتفع السراب واشتدّ الحرّ، يقول:

لَجوجٌ إِذا ما الآلُ آضَ كَأَنَّهُ   أَعـــــاصيرُ زَرّاعٍ بِنَخلٍ يُثيرُها[2]

---

1) ديوان لبيد، ص52. ناجية: سريعة. اسجهر: التهب واتقد. السبسب: الأرض المستوية البعيدة.

2) ديوان الشماخ، ص59. لجوج: عنيدة في ركوب المشقة. آض: صار. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص36.

الكواكب والنجوم

إنّ من ضمن مشاهد الليل الجميلة التي تدعو إلى النظر والتأمّل، تاركة في النفس أثراً عميقاً مصحوباً بالعاطفة والوجدان، منظر النجوم اللامعة في كبد السماء. وكان للعرب قبل الإسلام معارف ومعلومات فلكية متفرقة اكتسبها الإنسان الجاهلي من خبرته الطويلة في الصحراء، ومن ليله الصحراوي المظلم الذي وفّر له سماءً صافيةً نقيّة واضحة المعالم.

لقد عرف أبناء العصر الجاهلي أسماء عدد من النجوم السماوية ومواقعها، وحركاتها وسكناتها معرفةً فطريةً طبيعيةً، لا معرفة الدارس الباحث في تفاصيل السماء وما تحتوي من أجرام. وسبب معرفتهم هذه لا شكّ جاءت من احتياجهم إلى علامات وإشارات يسترشدون بها في طرقهم الطويلة، الخالية من الصوى والأمارات باعتبارها صحارى، لذلك اتخذ العرب النجوم وحركاتها ومواقعها أدلةً قويةً يسترشدون بها على مناطق البادية الشاسعة.

ولقد أقرّ الإسلام ظاهرة الاهتداء بالنجوم في معرفة الطريق، قال سبحانه وتعالى: «وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر»[1] وجاء في القرآن المجيد أيضاً وفي المعنى نفسه، قوله سبحانه وتعالى: « وبالنجم هم يهتدون»[2].

وقد ذكر الجاحظ هذا المعنى بقوله: «عرفوا الآثار في الأرض والرمل، وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء، لأنّ كلّ من كان بالصحاصح ـ حيث لا أمارة ولا هادي، مع حاجته إلى بعد الشقة ـ مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤدّيه. ولحاجته إلى الغيث وفراره من الجدب، وضنّه بالحياة اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث. لأنه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من كواكب، ويرى التعاقب بينها والنجوم الثوابت فيها، وما يسير منها مجتمعاً وما يسير منها فارداً، وما يكون منها راجعاً ومستقيماً»[3]. وقد ذكر لبيد ظاهرة الاهتداء بالكواكب والنجوم في شعره، قال:

وعانٍ فككتُ الكبلَ عنه، وسدفةٍ ... سريتُ، وأصحابي هديتُ بكوكبِ[4]

---

1) سورة الأنعام، الآية 97.

2) سورة النحل، الآية 16.

3) الحيوان،الجاحظ، المجلد6/ 30.

4) ديوان لبيد، ص46. الكبل: الغلّ. السدفة من الليل: ظلمته.

وكان العرب قديماً يعتقدون بالنجوم جملة اعتقادات من حيث تأثيرها في الكون، وتصرفها به، كالاستمطار بالأنواء، فالنوء يرتبط في اعتقادهم بالكوكب نفسه، فهو الذي ينشئ السحاب ويأتي بالمطر، وهي من صفات الربوبية، التي أبطلها الإسلام وقضى عليها[1]، إلا أنها وردت في شعر الجاهلية، وفي ذلك قال لبيد:

رُزِقَتْ مَرَابِيْعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا   وَدْقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا[2]

ورد في الشعر الجاهليّ بعض أسماء النجوم والكواكب التي كانوا يتابعونها ويهتدون بها في تنقّلاتهم الليلية، مثل الفرقدين و"الدبران"[3] و"العيّوق"[4] والثريّا والسماكين والشِعرَيين. ولم يكن الشعراء المخضرمون بمعزل عن أسلافهم الجاهليين، ولهذا كثر ذكر النجوم في أشعارهم وقصائدهم، ومن أشهر النجوم والكواكب التي ذكرها شعراء الدراسة:

- نجم سهيل:

نجم سهيل من النجوم اللامعة في السماء، يضرب لونه إلى الصفرة، ومطلعه من جهة اليمن. يقول الشماخ بن ضرار وقد ذكر ناقته التي تحنّ إلى العراق:

تَحِنُّ عَلى شَطِّ الفُراتِ وَقَد بَـدا   سُهَيلٌ لَها مِن دونِهِ سَـروُ حِميَـرا[5]

- الشِعرى:

هما نجمان شِعرِيّان، أحدهما الشعرى العَبور، وهو نجم كبير يزهر، والشعرى الأخرى الغميصاء [6]. وكان الشعراء يذكرون الشعرى العبور بالحُمرة وبالضوء، ويشبّهونها بالنار. فنجد الشماخ يشبّه ضوء

---

1) أبو سويلم، أنور. **المطر في الشعر الجاهلي**، دار عمّار، عمّان، 1987م ، ص55-85. انظر أيضاً: ابن قتيبة، **الأنواء في مواسم العرب** ص6-16.

2) ديوان لبيد، ص202. مرابيع النجوم: واحدها مرباع، وهو المطر الذي يكون في أول الربيع. الودق: المطر. الجود: المطر الكثير. الرهام: المطر القليل اللين. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص51، ص246.

3) الدبران: نجم أحمر، يعد من أحد منازل القمر. انظر: ابن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب ص37-41.

4) العيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن، يتلو الثريا ولا يتقدمه. انظر: المصدر نفسه، ص34.

5) ديوان الشماخ، ص52. السرو: هنا، الجبل. حمير: قبيلة يمنية معروفة.

6) الغميصاء: إحدى الشعريين، وهو نجم أصفر اللون، نيّر بجوار الجوزاء. انظر: ابن قتيبة، **الأنواء في مواسم العرب** ص46-47.

النار في توهّجه ولمعانه بنجم الشعرى العبور، يقول:

لِلَيلى بِالغُمَيِّمِ ضَـــوءَ نــارٍ يَلوحُ كَأَنَّهُ الشِعرى العَبـــورُ(1)

كما جاء حديث الشعراء عن الشعريين مرتبطاً بوقت اشتداد الحرّ والقيظ، فهذا الشماخ يصوّر الأرض حين اشتدّ الحرّ فيها، ويصف حمار الوحش وقد روى ظمأ أتنه بعد ذهاب القيظ، يقول:

طَوى ظِمأَها في بَيضَةِ القَيظِ بَعدَما جَرَت في عِنانِ الشِعرَيَينِ الأَماعِزُ(2)

- الثريّا:

الثريّا ستّة أنجم ظاهرة، في خللها نجوم كثيرة خفيّة، وتعدّ من أشهر منازل الأنواء عند العرب، وكانوا يسمّونها نجماً(3). وكان العرب يربطون بين ظهور نجوم الثريّا وقدوم موسم الجفاف والقحط، وقد أشار الشمّاخ إلى ذلك في قوله:

تَرَبَّعَ مَيثَ النيرِ حَتّى تَطـــالَعَت نُجومُ الثُرَيّا وَاستَقَلَّت عَبـــورُها(4)

- السِّماك:

هما سماكان، فأحدهما السماك الأعزل، وهو الذي ينزل له القمر، وله النوء، وهو كوكب أزهر، ينير في الجنوب، والآخر السماك الرامح، والقمر لا ينزل له، ولا يكون له نوء، وينير في الشمال(5). وقد اهتدى كعب بأحدهما في رحلته قائلاً:

فلما استدارَ الفرقدان زجرتهـــا وهَبَّ سِمَـــاكٌ ذو سِـــلاَحٍ وأعْزَلُ(6)

---

1) ديوان الشماخ، ص54. غُمَيِّم: ماء لبني أسد.. انظر: المصدر نفسه، ص110.
2) المصدر نفسه، ص64. بيضة القيظ: شدة الحر. الأماعز: جمع معزاء، وهي الأرض الصلبة. انظر أيضاً: ديوان كعب، ص54.
3) انظر: ابن قتيبة، **الأنواء في مواسم العرب** ص23.
4) ديوان الشماخ، ص59. الميث: هنا، الرابية الطيبة. النير: اسم جبل. تطالعت نجوم الثريا: في عرف الأعراب، حضر موسم الجفاف.
5) انظر: ابن قتيبة، **الأنواء في مواسم العرب** ص62-64.
6) ديوان كعب ، ص122. استدار الفرقدان: مالا إلى الغروب. انظر: ديوان لبيد، ص69. وفي ديوان الشماخ، ص86. وفي ديوان كعب، ص69.

- الفرقد:

الفرقد نجم قريب من القطب الشمالي، ثابت الموقع، يُهتدى به، بقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه. وقد أشار إليه لبيد في قوله:

وإلاَّ الفَـــــــــرْقَدَيْنِ وآلَ نَعْشٍ   خَوَالِدَ ما تَحَدَّثُ بانْهِـــــــدَامِ[1]

وأشار شعراء الدراسة في قصائدهم إلى بعض الكواكب وبروج السماء التي كانوا يهتدون بها، والنجوم التي كانوا يستمطرون بنوئها، ووظفوها في صورهم وتشبيهاتهم. كقول كعب يصف الديار وقد عفت آثارها بفعل الرياح والأمطار، يقول:

عفتهُ رياحُ الصيفِ بعدي بمورها   وأنديةُ الجوزاءِ بالوبلِ والدِّيمْ[2]

كما تغنّى الشعراء بالكرم، أوقات الجدب ومواسم الجفاف، التي أطلعتهم النجوم بقدومها، فنجد كعباً يمدح أصحاب الرسول- صلى الله عليه وسلم- ، فهم كرماء لا يمنعون قراهم كل سائل في سنيّ الجدب، يقول:

وهمُ إذا خـــوتِ النجومُ فـــإنّهم   للطائفينَ الســائلينَ مقـــــاري[3]

أمّا لبيد، فقد شبه لمعان الأسلحة والدروع بالكواكب والنجوم، وذلك في قوله:

بِكَتائِبٍ تَرْدِي تَعَوَّدَ كَبْشُهُـــــــــا   نطحَ الكباشِ، كـــأنَّهنَّ نجـــــومُ[4]

وفي صورة أخرى،شبّه لبيد أخاه أربد بضوء الكوكب، فقال:

إنَّ الرزيةَ لا رزيّةَ مثلـــــــــهَا   فقدانُ كلِّ أخٍ كضـــوءِ الكوكبِ[5]

---

1) ديوان لبيد، ص260. خوالد: ثوابت. انظر: المصدر نفسه، ص122. انظر أيضاً: ديوان كعب، ص122.

2) ديوان كعب، ص136. عفته: محته. مور الرياح: تحركها واثارتها للرمال. أندية الجوزاء: يعني المطر. الديم: جمع ديمة، وهو مطر يدوم مع سكونٍ أياماً. انظر: ديوان الشماخ، ص27، ص101. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص51.

3) ديوان كعب، ص59. يقري الضيف: أضافه وأكرمه، أي أحسن إليه ومنحه القِرى.

4) ديوان لبيد، ص190. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص239.

5) المصدر نفسه، ص56.

السحب والأمطار والبرق والرعد

- السحب[1]

يعدّ السحاب عنصراً مهماً من عناصر الطبيعة المتعلقة بالسماء، ومظهراً رائعاً من مظاهرها الخلّابة، ومدعاة للتفكر في آيات الله الكونيّة. وربط الشعراء المخضرمون بين السحاب والمطر والرياح، فالرياح تسوق السحاب فتلقّحه فينزل الغيث، وجاء ذكره مرتبطاً بالخصب والخير والإمراع، كما اقترن ذكر السحاب بذكر الريح التي تسفي الآثار والرمال، فإذا ساقت الريح سحاباً فنزل المطر، كان المطر مسبباً انمحاء تلك الآثار[2]. قال كعب يصف ما سبّبته الرياح والأمطار التي ساقتها السحب من اندثار ومحو لآثار الديار:

كادَتْ تُبَيِّنُ وَحْيـــــاً بعضَ حاجَتِنا   لو أن منزل حيٍ دارســــــــاً نطقا
لا زالت الريح تزجي كلَّ ذي لجبٍ   غيْثاً إذا ما ونَتْهُ ديمةٌ دفَقَــــــــــا[3]

كما ذكر شعراء الدراسة أنواعاً عديدة للسحب في قصائدهم،[4] فمنها السحب الليلية، ومنها ما يأتي في الغداة، أمّا سحابة لبيد، فوطفاء جونة، قد تهدّلت أهدابها، وتهطل المطر الغزير، يقول:

أَربَّتْ عليهِ كلُّ وطفاءَ جونــــــةٍ   هَتُوفٍ متى يُنزِفْ لها الوَبلُ تسكُبِ[5]

وتعرّض شعراء الدراسة لبعض أنواع السحب خلال أحاديثهم عن هبوب ريح الشمال الباردة، التي كانت تحمل إليهم القحط والجدب، وفي ذلك الوقت كانوا يتفاخرون بالكرم والضيافة، كقول لبيد:

تُوَزِّعُ صُرّادَ الشَّمــــــالِ جِفَانُهُمْ   إذا أصبحتْ نجدٌ تســـوقُ الأفائِلا[6]

كما وظّفوا السحب بأنواعها، وبما تحمله من الماء في صورهم المتنوّعة، فنجد لبيداً يصف سرعة

---

1) السحاب هو الغيم، وسمّي بذلك لانسحابه في الهواء، والجمع سحائب وسحاب. انظر: ابن منظور. **لسان العرب** مادة(سحب).مجلد1، ص10.
2) انظر: حسين، عبد القادر،**الطبيعة في شعر الحطيئة**، رسالة ماجستير،(2004).جامعة الموصل.
3) ديوان كعب،ص105. تزجي: تسوق. كل ذي لجب: كل سحاب له صوت، أي سحاب مصحوب بالرعد. ونته: ونت عنه أي فترت.
4) انظر: ديوان الشماخ، ص83. انظر أيضاً: ديوان لبيد،ص189، ص202.
5) ديوان لبيد، ص47. أربت: أقامت. الوطفاء: السحابة القريبة من الأرض. هتوف: فيها صوت من الرعد.
6) ديوان لبيد، ص142. صُرّاد: سحاب بارد لا ماء فيه، الأفائلا: قطع السحاب.

سير ناقته بعد إعيائها بسحاب جهام أفرغ ماءهُ، وتسوقه الرياح:

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزِّمَامِ كَأَنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الجَنُوبِ جَهَامُهَـــا[1]

أمّا كعب، فذكر السحب في معرض حديثه عن خصومه، فهو يسخر منهم ويهزأ بهم، ويصف وعيدهم كسحاب يحسبه الرائي له أنه مصيبه بمطر، ولكنه سرعان ما يتلاشى أدراج الرياح :

خفيفُ الغيثِ تعجـــبُ من رآه مَخِيلَتُه ولم تَقْطُرْ بِـــــــــــــلالاَ[2]

وفي صورةٍ أخرى، يمدح كعب الأنصار، فيصف سيوفهم القاطعة بالسحب الليلية؛ إذ أنّها أشدّ للمع البرق فيها:

بالمرهفاتِ كأنّ لمعَ ظُباتِهـــــا لمعُ السواري في الصبيرِ الساري[3]

- الأمطار

المطر ينبوع حياة العرب ، إذ كانوا يجوبون بطون الأودية ارتياداً للكلأ، وطلباً للعشب، وسعياً وراء الماء، لأنهم أحوج الناس إليه؛ إذ به حصول معيشهم من السقي والرعي، فلمّا كانت تمطر السماء مطراً كافياً، كانت الفرحة والبشر يعمّان بلاد العرب، إذ تُغاث الأرض وتُكسى حُلّة سندسيةً جميلة، وتُزال الغبرة عن وجهها، وتغدو فرحة مستبشرة بعد عبوس وكآبة. فتهيج الأرض وتنبت نبتاً أخضر، يكون بهجة للناظرين وطعاماً شهياً للإبل ولبقيّة حيواناتهم، تقبل عليه إقبالاً شديداً، فتشبع وتصحّ أجسامها، ويكثر نسلها.

وبهطول المطر ترتسم علامات الفرحة على وجه البدوي، ويشعر بنشوة عظيمة، وتمثلت هذه الفرحة والنشوة في وقفات الشعراء الطويلة وهم ينظرون إلى السماء والمطر والبرق والرعد، فتعلوهم الغبطة بالمنظر الرائع.[4]

---

1) ديوان لبيد، ص210. الهباب: السرعة والنشاط. الجهام: السحاب الذي قد هراق ماءه وهو أسرع لسيره.

2) ديوان كعب، ص132. المخيلة: أول السحاب إذا نظرت اليه خيّل إليك أنه يمطر ثم تزجيه ريح متفرقة. البلال: ما بل وجه الأرض.

3) المصدر نفسه، ص60. المرهفات: السيوف القاطعة. الظباة: جمع ظبة، وهي حديدة السيف المصقولة. السواري: السحاب التي تأتي ليلاً. الصبير: سحاب أبيض.

4) انظر: المطر في الشعر الجاهلي.ص11. انظر أيضاً: الحوفي، أحمد، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي،ص33-51. انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص58-64.

وقد وصف الشعراء المخضرمون المطر الهادي والمطر اللين، والوابل والهطّال، والمطر المنقطع والمتصل، ومطر كل ساعة من ساعات النهار والليل. فهذا كعب بن زهير يصف ما تجود به غوادي السحاب التي تأتي أوائل الصباح، وسواريه التي تأتي في أواخر الليل قائلاً:

وخُبِّرْنَ مابينَ الأَخــــــادِيدِ واللِّوَى سقتهُ الغوادي ، والسواري طوارقُهْ[1]

ومن أهمّ أنواع المطرالذي يحبّه العرب المطر الوسميّ، وهو المطر الربيعيّ الذي ينبت العشب الذي تتغذّى عليه دوابهم وسائمتهم، ويتجلّى ذلك في قول الشمّاخ يصف ناقته وهي ترعى الوسميّ، فتسمن وتكتنز للخصب وطيب المرعى :

رَعَت بارِضَ الوَسمِيِّ حَتّى تَحَملَجَت وَطُيِّرَ عَـــــن أَقـــــرابِهِنَّ عَقيقُ[2]

كما ذكر لبيد أمطار أوّل الربيع واصفاً فرسه، يقول:

يَلْمُجُ البــــارِضَ لَمْجـــاً في النَّدَى مِنْ مَرابيعِ رِيـــــــــاضٍ ورِجَلْ[3]

وللمطر أسماء دالّة على مقدار مائه، فمن أنواعه: الوابل والغيداق، وهما يعبّران عن المطر الغزير[4]، وما أروع وصف الشماخ للمطر الغزير الذي جادت به سحابة ليلية استفرغتها الريح النكباء، واستدرّتها كما يستدرّ الضرع، فجادت بالمطر الغزير، وذلك في قوله:

مِن صَوبِ سارِيَةٍ أَطاعَ جَهامُهــــا نَكباءَ تَمري مُزنَهـــــا أوداقــــا[5]

كما ذكر لبيد وكعب في ديوانيهما أنواعـــاً عديدة من المطـــر، فتـــارة يصفـــانه بالضعف واللين[6]،

---

1) ديوان كعب، ص101. الأخاديد واللوى: اسمان لموضعين. الغوادي: ما أمطر بالغداة. الطوارق: ما طرق ليلاً من ضيف وغيره. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص36.

2) ديوان الشماخ، ص88. بارض الوسمي: أول ما ينبت من غض الكلأ. الوسمي: أول مطر الربيع. تحملجت: أصبحت ضخمة الجسم وسمنت. الأقراب: جمع قرب وهي الخاصرة. العقيق: الشعر في مبتدى ظهوره. انظر أيضاً: ديوان الشماخ، ص37.

3) ديوان لبيد، ص129. مرابيع: أمطار أول الربيع. يلمج البارض: يأكل بأدنى فمه الحشيش. الرِجَل: أماكن سهلة تنصب المياه إليها.

4) انظر: قناوي، عبد العظيم علي، **الوصف في الشعر العربي. الجزء الأول. الوصف في الشعر الجاهلي**،(ط1)،مطبعة مصطفى البابيي الحلبي، ص50.

5) ديوان الشماخ، ص83. النكباء: الريح المرتدة المتقلبة. تمري: تستنزل. انظر أيضاً: ديوان الشماخ، ص37.

6) انظر: ديوان لبيد، ص275.

وتارةً أخرى بالمطر الوابل أو الجود، كقول لبيد:

فَجادَ رَهواً إلى مــداخِلَ فالصحْـ　　　ـرةِ أمستْ نِعاجُهُ عُصَبَـــــــا(1)

وقال كعب:

فَأَنْبَتَ الفَغْوَ والرَّيْحـــــانَ وَابلُه　　　والأيهقانَ مع المُكنـــانِ والذُّرقا(2)

وفي حديث الشعراء عن الأطلال، ذكر للديار التي عفت وانمحت آثارها بفعل الأمطار. قال لبيد :

رُزِقَتْ مَرَابِيْعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا　　　وَدْقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا(3)

ويصف كعب ديار محبوبته وما حلّ بها قي قوله:

أمِنْ أُمِّ شَدّادٍ رُسُـــــومُ المَنَازِلِ　　　تَوَهَّمْتُها مِنْ بَعدْ سافٍ ووابِـــلِ(4)

وورد ذكر المطر الوابل في حديث الشعراء المخضرمين عن قصة الثور أوالبقرة الوحشيّين، الفارّين هرباً من الصيّاد، يقول لبيد :

بَاَتتْ وَأَسْبَلَ وَاكِـــفٌ من دِيـمَةٍ　　　يُرْوِي الْخَمَائِلَ دَائِمَاً تَسْجَامُهـا(5)

تغنّى الشعراء المخضرمون بالكرم عند هطول المطر، واشتداد البرد، وقلّة الطعام، فنجد كعباً يمدح الأنصار، ويصفهم بالكرم، ويذكر إطعامهم الناس في وقت الشدّة، يقول:

والمنعمونَ المفضِلــون إذا شتوا　　　والضاربونَ عِلاوةَ الجبّـــــــارِ(6)

كان المطر يعني للعرب الحياة ، ومن شدّة اهتمامهم به اهتمّوا بنجوم السماء وأبراجها وربطوها بمواسم المطر والجفاف، فعلى سبيل المثال كان في عرف الأعراب أنه إذا تَطـــالَعَت نجومُ

---

1) ديوان لبيد، ص34. رهو: ساكن. عصباً: قطعاً. جاد: أمطر جوداً، والجود: الواسع من المطر الذي يرضي أهله. انظر أيضاً: ديوان لبيد ، ص166-167.

2) ديوان كعب، ص106. الفغو: نبت له ورد يشبه ورد الحنّاء. الأيهقان: الجرجير البري. المكنان: نبت إذا أكلته الماشية حسن حالها ويغزر لبنها. الذرق: الحندقوق.

3) ديوان لبيد، ص202. رهام: المطر القليل. انظر أيضاً: ديوان لبيد ، ص151.

4) ديوان كعب ، ص125. السافي: الريح التي تسف التراب. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص136.

5) ديوان لبيد، ص219. واكف: المطر. ديمة: مطر يدوم أياماً. تسجام: المطر الجود. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص139، ص270. وديوان كعب ، ص69.

6) ديوان كعب، ص59. العلاوة: العنق. الجبّار: الشديد من الفرسان.

الثُرَيّا فإن ذلك يعني أنّ موسم الجفاف حضر، وقد أشار إلى هذا الشماخ في قوله:

تَرَبَّعَ مَيثَ النيرِ حَتّى تَطـــــالَعَت نجومُ الثُرَيّـا وَاستَقَلَّت عَبـورُها[1]

- الرعد والبرق والصواعق

مثلما اهتمّ العرب بالمطر، اهتمّوا كذلك بما يصاحبه من برق ورعد وصواعق، فالرعد فمبشّر بالمطر، وشدّة صوته كانت ترعب العرب، وفي هذا المقام قال كعب:

وتخطو على بَـــرديَّتينِ غَذاهُمـــا أهاضيبُ رجَّافِ العشياتِ هاطلِ[2]

وشبه لبيد في بيت له صوت الرعد بصوت إبل عُزلت عن أولادها، أو بصوت نساءٍ ينُحن، يقول:

كـــــأنَّ مُصَفَّحـــــاتٍ في ذُرَاهُ وأنْواحاً علَيْهِنَّ المــــــــــآلي[3]

كما شبهه لبيد بالإبل التي تُحجز من الغنيمة لرئيس الجيش، فتحنّ حنيناً قوياً، وذلك في قوله:

كأنَّ فِيهِ لَمّـــا ارتَفقْتُ لَـــــــهُ رَيْطاً ومِرباعَ غـــــــانِمٍ لَجِبَا[4]

وذكر الشعراء المخضرمون الصواعق لمصاحبتها الرعد في بعض الأحيان النادرة، وأكثر لبيد من ذكرها، إذ تذكر الروايات أنّ أخَ لبيد (أربد) مات نتيجة سقوط صاعقة عليه،[5] وكان لهذا الحادث صدى في شعره، ويتجلّى ذلك في رثائه لأخيه أربد قائلاً:

فَجَّعَني الرَّعـــدُ والصَّواعِقُ بالـ فـــارِسِ يومَ الكـــريهةِ النُّجدِ[6]

تعرّض الشعراء المخضرمون للبرق من خلال أحاديثهم عن الشوق والبعاد، فارتبط ذكره بذكر أحبتهم

---

1) ديوان الشماخ، ص59.

2) ديوان كعب، ص126. البردية: نبات معروف طويل الساق. الأهاضيب: جمع هضبة، وهي الدفعة من المطر. رجَّافٍ: صوت الرعد الذي يصحب البرق وهطول المطر. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص246.

3) ديوان لبيد ، ص165. مُصَفَّحات: الإبل التي عُزلت عن ولدها.

4) المصدر نفسه، ص34. ريط: ملابس ليست بملفقة. المرباع: ربع الغنم يجعل لصاحب الجيش. اللجب: الجيش الكثير الصوت.

5) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص198. وانظر: الجبوري، يحيى. **لبيد بن ربيعة العامري دراسة أدبية** ، (ط1)، مطبعة المعارف، بغداد، 1962م ، ص21.

6) ديوان لبيد، ص69. النجد: الشديد. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص88.

يقول الشماخ :

رَأَيتُ سَنا بَرقٍ فَقُلتُ لِصاحِبي بَعيدٌ بِفَلـــجٍ ما رَأَيتُ سَحيقُ
فَباتَ مُهِمّاً لي يُذَكِّرُنــي الهَوى كَأَنّي لِبَرقٍ بِالحِجازِ صَديقُ(1)

وكقول لبيد:

أصَاحِ تَرَى بَريقاً هَبَّ وَهْنــاً كمصْباحِ الشَّعيلَةِ في الذُّبـــالِ
أرِقْتُ لهُ وأنجدَ بعدَ هـــــدءٍ وأصحابي على شُعَبِ الرِّحالِ(2)

كما وظّف لبيد لمعان البرق وإضاءته السماء في صور وتشبيهاتٍ عديدة، فنجده يشبّه انكشاف البرق عن سواد الغيوم بحُبشان بأيديهم حراب:

يُضيءُ رَبابُهُ في المُزْنِ حُبْشاً قِيَاماً بالحِرابِ وبـــــالإلالِ(3)

كما شبّه انكشافه عن السحاب وهو أسود، بانكشاف خيل عن أولادها ترمح عنها:

فأفرَعَ في الرُّبابِ يقــودُ بُلْقاً مجوّفَةً تذبُّ عنِ السِّخـــــالِ(4)

---

1) ديوان الشماخ، ص89. فلج: اسم موقع.
2) ديوان لبيد ، ص164. وهناً: بعد ساعة من الليل. الشعيلة: النار. الذبال: الفتيلة.
3) المصدر نفسه، ص165. الرباب: السحاب الذي تراه كأنه متدل. الإلال: الحراب.
4) المصدر نفسه، ص166. أفرع: أسال ما فيه من ماء. الرباب: أرض ما بين ديار بني عامر وبني الحارث بن كعب. تذب: تدافع. مجوفة: غمر جنوبها وبطونها البياض.

الرّياح

فرّقت العرب قديماً بين الرياح، ووضعت لكل منها اسماً يختلف باختلاف مناطق هبوبها، وأهمّها:

- ريح الصَّبا

الصَّبا ريح تأتي من الشرق الى الغرب، و تهبّ من المشرق و تأتي في آخر الليل حيث يكون الجوّ بارداً، وتستمرّ حتى طلوع الشمس فتبدأ حرارتها بالارتفاع بشكل نسبيّ وهي ريح لطيفة خفيفة تريح المزاج. وقد أحبّها العرب لأنها تسوق السحب، وتجلب المطر والري والخصب.[1]

وعُرفت رياح الصبا في الجاهلية والإسلام برياح أبي عقيل، وذلك نسبة إلى الشاعر العربيّ المخضرم لبيد بن ربيعة العامريّ، الذي كان شريفاً قبل الإسلام وبعده ، وكان قد نذر أن يُطعم ما هبّت الصبا، ويبقى كذلك إلى أن تنقضي. ويذكرها لبيد مفتخراً بنفسه قائلاً:

وصَباً غَداةَ إقَامَةٍ وزَّعْتُها　　　بِجِفَـــــانِ شِيزَى فَوْقَهُنَّ سَنامُ[2]

- الرياح الشماليّة

هي الريح التي تهوي من مطلع الشام، مهبّها من بلاد العرب في ما يلي الشام، وكان العرب يكرهونها لبردها، وذهابها بالغيم والمطر والخصب، ويسمّونها الشاميّة[3]. ووصف لبيد شدّة هبوب رياح الشمال وبردها قائلاً:

وَيَوْمٍ هَوَادي أمْرِهِ لِشَمَالِهِ　　　يهتكُ أخطالَ الطرافِ المطنّبِ[4]

---

1) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي،** ص41. انظر أيضاً: الحوفي، أحمد محمد (1958م)، **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي،** مصر: مكتبة نهضة مصر .ص 53-58.

2) ديوان لبيد ، ص198. الشيزى: خشب أسود تتخذ منه الجفان.

3) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي،** ص53. انظر أيضاً: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي.**ص 32.

4) ديوان لبيد، ص51. أخطال: حبال. الطراف: البيت من أدم. المطنب: شديد الأطناب وهي الحبال. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص36.

وذكرها لبيد في قصصه عن الحيوانات، مصوّراً ما تثيره هذه الرياح من رعب وفزع في نفوسها، يقول :

تَنْجُو نَجَاءَ ظَلِيمِ الجَوِّ أفْزَعَهُ   ريحُ الشَّمَالِ وشَفَّانٌ لها دِرَرُ(1)

ومرّة ثانية، تضطرّ رياح الشمال حيوان الصحراء إلى شجرة الأرطى، علّه يجد تحتها شيئاً من الحماية، قال لبيد:

فبَاتَ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ تَضمُّهُ   شآمِيَةٌ تُزْجي الرَّبَابَ الهَوَاطِلا(2)

وكان الشعراء المخضرمون يشيرون إلى الأوقات التي تهبّ فيها رياح الشمال الباردة، وما يعقبها من قحط ومحل وجدب بالسنين، لأنّ هذه الأوقات تجلب الشدائد، وفيها يقلّ الطعام، ومن أجل ذلك تمادحوا بالقِرى فيها، وبرز ذلك في مواضع مختلفة من شعر الدراسة، فنجد لبيداً يتحدث عن نفسه مفاخراً، فهو حين تهبّ الرياح القويّة ويشتدّ البرد، يكفّه بإطعام الطعام وإيقاد النيران:

وَغَدَاةَ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ   قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا(3)

كما حفل ديوان لبيد بأبياتٍ وصف فيها كرمه عند هبوب الرياح، وبرد الشتاء وانعدام النبات، وأشار فيها أيضاً إلى كرم أخيه (أربد)(4)، وعمّه أبي البراء، وكرم قومه (5)، فكان كرمهم مكرمةً افتخر بها لبيد، وتغنّى بها في شعره. ومن ذلك ما قاله لبيد في رثاء عمّه أبي البراء،يمدحه بأنه ملجأ للفقراء والسائلين في السنين المجدبة التي هبّت عليها ريح الشمال:

كان غِياث المُرمل الممتاحِ
وعصمة في الزمن الكلاحِ
حين تهبّ شمأل الرياح (6)

---

1) ديوان لبيد، ص87. الجوّ من الأرض: مطمئنها. الشفّان: الريح الباردة.
2) المصدر نفسه، ص138. أرطاة: شجرة أرطى. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص155.
3) المصدر نفسه، ص229.
4) انظر: ديوان لبيد، ص95.
5) انظر: ديوان لبيد، ص237، ص253.
6) ديوان لبيد، ص61. المرمل: الشديد الفقر. الممتاح: الذي يسأل رزقاً. الكلاح: السنة المجدبة.

وفي مثل هذه الأوقات العصيبة، التي يشتدّ فيها عواء الريح، وتنفق فيها الماشية، يمدح لبيد قومه بني عامر الذين يملأون جفانهم، ويقرون ضيفانهم، يقول:

إذا أصبحتْ نجدٌ تسوقُ الأفائِلا   تُوَزِّعُ صُرّادَ الشَّمالِ جِفَانُهُمْ[1]

- الريح الجنوبيّة

هي ريح تأتي من الجنوب إلى الشمال، ومهبّها من اليمن، و تسمى الأزيب، و هي الريح اليمانيّة. وكان العرب يحبّونها لأنها مقترنة بالمطر الغزير.

- ريح الدَّبور

هي الرياح التي تهبّ من الغرب إلى الشرق، وتعاكس الصبا في اتجاهها، وتسمّى الريح العقيم، وقد ذُكرت في كتاب الله -عزّ وجلّ- في قوله تعالى: "وفي عادٍ إذ أَرسلنا عليهم الريحَ العقيم"[2]. والعرب تكره الدبور لأنها تجفل السحاب، ويقل فيها المطر، ويكون فيها الرهج، ولا تهبّ إلّا بشدة، فتكاد تقتلع البيوت، وتأتي على الزروع.[3] وقد ورد ذكر هذه الريح في شعر كعب، وهو يصف كلاب الصيد، سريعة العدو، التي تباري في سرعتها هذه الرياح، فتبدو لخفّتها وسرعتها كأنّها تطفو على الأرض، يقول:

طافِيـــــاتٍ كأنهنّ يَعَـــــاسِيـ   ـبُ عَشِيٍّ بارَيْنَ رِيحاً دَبُـــورَا[4]

كما ذكرها الشماخ في قوله:

إِذا مـــا قُلتَ خــــابِيَةٌ زَهاها   سَوادُ اللَيلِ وَالـــــريحُ الدَبورُ[5]

- ريح السَّموم

هي رياح عنيفة حارّة جافّة، تتحرك هذه الرياح في قالب دوائر رملية حاملة معها حبّات الرمل

---

1) ديوان لبيد، ص142.
2) سورة الذاريات، 41.
3) الرهج:الغبار. انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص57.
4) ديوان كعب، ص70. طافيات: شديدة العدو والوثوب. اليعاسيب: جمع يعسوب، وهو أمير النحل. الدبور: الريح الغربية.
5) ديوان الشماخ، ص54. خابية: ساكنة خمد لهيبها.

وسمّيت بالسّموم بسبب حرارتها وجفافها والأضرار التي تسبّبها. وقد تناول شعراء الـدراسة ريح السموم في أحاديثهم عن الحمار الوحشيّ، وهذا ما يصوّره الشمّاخ وهو يصف ناقته، ويشبهها بحمار وحشي فتيّ، غليظ ضخم مشاكس، رعى في جبل لبني أسد يسمّى القنان، وفي جبل صارة، وفي ماوان-إحدى قرى اليمامة- وهذه الأماكن كلها ذوات ماء، ورعيها وافر، وعندما جاء القيظ، كان حمار الوحش قد سمن، ويصف الشماخ القيظ، ويذكر أنواعاً من الرياح، ومنها السموم، يقول:

تَرَبَّعَ أَكنافَ القَنانِ فَصــــــارَة فَماوانَ حَتّى قـاظَ وَهوَ زَهومُ

إِلى أَن عَلاهُ القَيظُ وَاستَنَّ حَولَهُ أَهابِيُّ مِنها حاصِبٌ وَسَمومُ(1)

ووصف لبيد إبله وهي تتقي ريح السموم ولهيب الهاجرة قائلاً:

رَحَلْنَ لشُقَّةٍ وَنَصَبْنَ نَصْبــــــاً لِوَغْراتِ الهواجِرِ والسَّمُومِ(2)

- النَّكباء

هي كلُّ ريحٍ وقَعَتْ بين ريحين، والعرب تسميها نكباء؛ لأنها نكبت عن مهابّ الريح، أي عدلت، وهبوبها في أيام الشتاء. وقلّ ورودها في شعر الدراسة، والظاهر أنّها كانت غير متميّزة لدى شعراء الدراسة كغيرها من الرياح التي تعرّضوا لها. وقد ذكرها الشمّاخ في معرض وصفه لناقته وإفالها، حين التجآ إلى حقف رمليّ أثناء هبوب هذه الريح المتقلّبة، فتنشقّ السماء عن مطر غزير مدرار. وذلك في قوله:

بـاتـا إِلى حِقفٍ تَهُبُّ عَلَيهِمـــا نَكباءُ تَبجِسُ وابِلاً غَيداقــا(3)

جاء حديث شعراء الدراسة المخضرمين عن الرياح وقد اقترنت بالسحاب والأمطار في بعض الأحيـان، وأحيـاناً أخرى يذكرونها وقد سفت الرمـال ومحت الآثـار. يقـول لبيد واصفـاً اقتـران ريـاح

1) ديوان الشماخ، ص105.القنان: اسم جبل. صارة: اسم جبل. ماوان: من قرى اليمامة. زهوم: سمين. استنّ: ثار واضطرب. الأهابي: الريح المحملة بالغبار. الحاصب: الريح الشديدة التي تحرك الحصى. السموم: الريح الحارة.
2) ديوان لبيد، ص252. نصبن: رفعن في السير رفعاً. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص214.
3) ديوان الشماخ، ص83. الحقف: الملتوي من الرمل. تبجس: تشق.

الجنوب بالسحاب والأمطار :

مَرَتِ الجنوبُ لَهُ الغَمامَ بوابــلٍ وَمُجَلْجَلٍ قَرِدِ الرَّبَـــابِ مُدِيمِ(1)

أمّا في طمس الرياح للآثار، ومحوها لمعالم الديار ومنازل الأحباب، فنلحظه في قول كعب:

تعاورها طول البِلى بعدَ جِـــدَّة وجرَّتْ بأذيالٍ عليهــا جنوبُها(2)

وذكر الشماخ رياح الصبا في وصفه لأطلال الأحبّة وآثارهم، يقول:

عَلى أَنَّ لِلمَيلاءِ أَطـــلالَ دِمنَةٍ بِأَسقُفَ تُسديها الصَبا وَتُنيرُها(3)

إلى جانب ذكر شعراء الدراسة الرياح في أحاديثهم عن الشوق والبعاد، فمن الشعراء من جعل الرياح وسيلة لنقل أشواقهم إلى المحبوبة. قال كعب:

ألا ليت سلمى كلّما حانَ ذكرها تُبَلِّغها عنِّي الرِّيـــاحُ النَّوَافِحُ(4)

---

1) ديوان لبيد، ص246. مرت: جلبت له السحاب. مجلجل: كثير الرعد. قرد: مجتمع. انظر: المصدر نفسه، ص36، ص51. انظر أيضاً: ديوان كعب، ص75، ص136.

2) ديوان كعب، ص47. تعاورها: اكتنفها وأحاط بها. الجدة: نقيض البلي. انظر أيضاً: ديوان كعب، ص75، ص101، ص125، ص136.

3) ديوان الشماخ، ص57. أسقف: اسم بلد. تسديها: تندّيها.

4) ديوان كعب، ص52.

المياه

"أجمع المؤرخون والباحثون على أن جزيرة العرب كانت تختلف اختلافاً كليّاً من حيث وفرة المياه، والخصب، وكثرة الأمطار، والشعر الجاهلي يحفل بإشارات كثيرة إلى الغدران والجداول، والعيون والسيول والوديان، وكثيراً ما كان يأتي ذكر بعض هذه المظاهر في حديث الشعراء عن قدراتهم على اجتياز المسالك الصعبة، وقطع مجاهل الأرض في جرأة، غير محتاجين إلى وصف الواصف، أو هداية الدليل."[1]

وكان العرب في فجر تاريخهم البعيد ينظرون إلى المياه نظرة تقديس، لأنها مورد الخصب والنماء، وواهبة الخير والبركة، فكانوا ينشدون الأراجيز في أثناء حفر الآبار، وينظمون البعض منها لمدح مائهم، أو لذمّ ماء غيرهم من الآبار.[2]

ورد ذكر بعض الآبار وعيون الماء في معرض حديث الشعراء عن انتصاراتهم وأيّامهم، فقال لبيد في رثاء النعمان، يمدح جيوشه:

فَلا قَصَبُ البَطحاءِ نَهْنَهَ وِرْدَهُمْ   برِيٍّ وَلا العــــادِيُّ مِنْهُ الـعُدامِلُ
ومـَا كادَ غُلاَّنُ الشُّرَيْفِ يَسَعْنَهُمْ   بحَلّةِ يَـــوْمٍ، والشُّـرُوجُ القَوَابِلُ[3]

وأشار لبيد إلى انتصارات قومه بني عامر في قوله:

فتلكمْ بتلكمْ، غيرَ فخـــرٍ عليكمُ   وبيتٌ على الأفْـــــلاجِ ثمَّ مُقِيمُ[4]

وورد ذكرالأنهار في شعر الشماخ ، حين وصف ناقته، التي تحنّ على نهر الفرات، وقد ابتعدت عن أوطانها مسافة طويلة، يقول:

تَحِنُّ عَلى شَطِّ الفُراتِ وَقَد بَــدا   سُهَيلٌ لَها مِن دونِهِ سَروُ حِمَيَرا[5]

---

1) انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص41.
2) المصدر نفسه، ص43.
3) ديوان لبيد ، ص148. قصب البطحاء: المياه الجارية. نهنه: أغنى. العاديّ: البئر القديمة. العدامل: القديم. غلاّن: أودية. الشروج: مسايل الماء. القوابل: المقابلة.
4) ديوان لبيد، ص197. فلج: نهر. بيت على الأفلاج: أراد قبر رجل.
5) ديوان الشماخ، ص52.

كما أشار شعراء الدراسة المخضرمون إلى مواضع عيون الماء في حديثهم عن محبوباتهم، وأماكن إقامتهن، فيذكرالشماخ ماء بدر في حديثه عن محبوبته قائلاً:

فَإِن حَلَّتِ المَيلاءُ عُسفـــانَ أَو دَنَت　　　لِحَرَّةِ لَيلى أَو لِبَدرٍ مَصيرُهـــــا[1]

وأشار الشماخ إلى ماء ذروة والجفير في حديثه عن أطلال محبوبته، يقول:

عَفَت ذَروَةٌ مِن أَهلِها فَجَفيرُهـــــا　　　فَخَرجُ المَرَوراةِ الدَواني فَدورُهـا[2]

وذكر لبيد الغدير الذي انتجعت منه محبوبته والنساء في قوله:

تَرَبَّعَتِ الأشْـــــــرافَ ثُمَّ تصيَّفَتْ　　　حساءَ البُطاحِ وانتجَعْنَ المَسَايـلا[3]

تَخَيَّرْنَ مِنْ غَولٍ عذابــــــاً رويَّةً　　　وَمن مَنعِجٍ بِيضَ الجِمامِ عَدامِـلا[4]

وظّف الشعراء المخضرمون وفرة مياه الأنهار وعذوبة الغدران وعيون الماء في صورهم المتنوّعة وتشبيهاتهم، فهذا الشماخ يشبّه عين الناقة وقد غارت في رأسها من التعب والضمور بالحفرة التي تكون في الصخور وتجتمع فيها المياه، يقول:

وَأَضْحتْ على ماءِ العُذيْب وعيْنها　　　كَوَقْب الصَّفـــا جِلسِيُّها قدْ تغوّرا[5]

وقد شبّه الشمّاخ بن ضرار عيون الأتن الوحشيّة بعيون ركيّ قلّ ماؤها، يقول:

فَظَلَّت بِيَمئودٍ كَـــأَنَّ عُيونَهـــــا　　　إِلى الشَمسِ هَل تَدنو رُكِيٌّ نَواكِزُ[6]

وكان الشعراء يشبّهون الدروع الرقيقة النسج لصفائها بالغدران، قال كعب:

وبيضٌ من النسجِ القديمِ كأنّهــــا　　　نِهاءُ بقـــاعٍ مــــاؤها مترايعُ[7]

---

1) المصدر نفسه، ص57. عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. حرّة ليلى: موضع لبني مرّة. بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة.

2) المصدر نفسه، ص57. ذروة وجفير: ماءان لغطفان. الخرج: الوادي. المروراة: الأرض المقفرة.

3) ديوان لبيد، ص135. البطاح: اسم موضع. انتجعن: طلبن النجعة، وهي الماء وأثره.

4) المصدر نفسه، ص139. غول ومنعج: مكانان. الجمام: مجتمع المياه. عدامل: الغدران ذات المياه الصافية.

5) ديوان الشماخ، ص51. العذيب: واد بظاهر الكوفة. كَوَقبِ الصَفا: الحفرة في الصخر يجتمع فيها الماء. الجلسي: حدقة العين.

6) ديوان الشماخ، ص64. يمؤود: واد بغطفان. الركي: جمع ركية، وهي البئر. نواكز: ناضبة من الماء. الركي: جمع ركية، وهي البئر.

7) ديوان كعب، ص87. بيض: الدروع. نهاء: جمع نهي، وهو الغدير. مترايع: متردد.

كما شبه لبيد الظعائن بالنخل الطوال، وتلك النخل يطيلها النهر و يحسّنها:

سحقٌ يمتعُهـــا الصَّفـــا وسريُّهُ   عمٌّ نـــــــواعِمُ بينهنَّ كــــــرومُ[1]

وفي صورة مشابهة، شبه كعب الظعائن بنخل غلاظ، سقاها جدول أو سيل انساب إليها بغزارة:

غُلْبُ الرِّقابِ سَقَاها جَدْوَلٌ سَرِبٌ   أَوْ مَشْعَبٌ مِن أَتِيِّ البَحْرِ مفجورُ[2]

كما ورد ذكر موارد المياه في حديث شعراء الدراسة المخضرمين عن حمار الوحش، فمرةً يصفون اجتيازه للنهر مع أتنه، ومرةً ثانية يصفونه وهو يقود قطيعه الظمآن إلى مورد الماء. وفي وصفهم لاجتيازه النهر، يقول لبيد:

فَمَضَى وَضَاحِي الماءِ فَوْقَ لَبَانِهِ   ورمَى بها عُرْض السَّـرِيّ يعُومُ[3]

أمّا كعب، فنجده يشير إلى ماء الرسيس في وصفه لحمار الوحش الذي وجد في هذا الماء مورداً لقطيعه، يقول:

وأمّ بهــا مــاء الرّسيسِ فصوّبتْ   لِلَيْنَةَ وانْقَضَّ النُّجُـومُ العَــوَاتِمُ[4]

وذكر الشمّاخ أيضاً ماء العيون، كعين الأراكة التي اتخذها حمار الوحش مورداً له، في قوله:

فَأَزمَعَ مِن عَينِ الأَراكَـةِ مَورِداً   لَهُ غارَةٌ لَفّاءُ صــافٍ غَديرُهـــا[5]

ومن مصادر المياه المعروفة في الصجراء المياه الجوفية القريبة من السطح تحت الحصى وتسمى الحساء، وقد ذكرها الشماخ في وصفه لحمار الوحش، يقول :

دَعـــاهُ مَشـرَبٌ مِن ذي أَبـــانٍ   حِســـاءٌ بِالأَبــــــاطِحِ أَو غَديرُ[6]

---

1) ديوان لبيد، ص182. السحق: الطوال. الصفا: اسم نهر، وهو نهر المشقّر بالبحرين. عمّ: طوال عظام.
2) ديوان كعب، ص79. غلب الرقاب: غلاظها. السرب: الذي تسرب ماؤه. الأتي: السيل.
3) ديوان لبيد، ص188. اللبان: الصدر. السري: النهر. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ، ص137، ص216.
4) ديوان كعب ، ص146. الرسيس: ماء لبني أسد. لينة: بئر عذبة بطريق مكة. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ، ص159.
5) ديوان الشماخ، ص60. وهنا ذكر للغدير: وهو تجمع الماء الصافي. الغارة: شجرة خضراء. لفّاء: ملتفة الأغصان. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص70.
6) ديوان الشماخ، ص55. أبان: موضع لبني فزارة كثير الماء. حساء: جمع حِسي وهو مجتمع الماس تحت الأرض. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص61.

كما شبّه الشعراء العطايا الجزلة بالنهر الهائج، أو الوادي المتراكب الموج، أو بالغدير وبالخليج الدافق. ويتجلّى ذلك في شعر لبيد، إذ يصف عطاء الحارث الحرّاب، فهو يفيض كرماً كما يفيض النهر:

تَجري خَــزائِنُهُ على مَنْ نَـــابَهُ   مجْرى الفراتِ على فِرَاضِ الجدوَلِ[1]

وافتخر لبيد بعمه " ملاعب الأسنّة"، فشبهه بالبحر لكرمه، وذلك في أرجوزته:

فقد تكون واضحاً خضمّاً[2]

كما تحدث الشعراء عن أثر المطر والسيل في محو الأطلال، وطمس معالمها، قال لبيد:

وَجَلا السُّيُولُ عَنْ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا   زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَـــا أَقْلامُـهَــــــا[3]

---

1) ديوان لبيد، ص172.

2) ديوان لبيد، ص175. خضمّ: البحر.

3) المصدر نفسه، ص204. الزبر: الكتب. تجد: معناه تجدد. متونها: أوساطها.

الأشجار والنباتات

كانت الأشجار في شعر الجاهلية وصدر الإسلام أكثر وروداً موازنة مع النباتات والأزهار؛ لما لها من أهمية بالغة في كثير من مجالات الحياة المختلفة.[1] أمّا النباتات الصحراوية، فتسعى للحصول على شيء من الماء القليل المتوافر في أماكن وجوده، ثم لاتعيش منها سوى بعض النباتات التي أخذت كفايتها من الماء، ولذلك تكون الثغرات واسعة بين نبتة وأخرى، وتذبل النباتات التي لم تحصل على الماء الكافي.

- النخيل

النخل شجر من الفصيلة النخيلية[2]، وقيل: شجر التمر، والجمع نخلٌ، ونخيل، ونخلات. ومفردة: نخلة. [3] وتعدّ النخلة من أشهر الأشجار المنتشرة في أنحاء الجزيرة العربية، فقد وجد النخيل في كثير من أماكنها، وخاصة الأماكن التي يتوفّر فيها الماء، حتى وإن كانت كميّته قليلة، لأنّه يقاوم العطش، ويكتفي بالماء القليل، وقد أصبحت النخلة رمزاً شامخاً من رموز الصحراء.[4] وشجرة النخيل شجرة مباركة، خصها الله بفضائل كثيرة، حيث ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في أكثر من عشرين آيةً[5].

استمدّ الشعراء المخضرمون من النخيل بأشكاله، وألوانه، وثمره، وأوصافه صوراً وتشبيهاتٍ عديدة، فنجد الشماخ يصف ذيل ناقته السمين، ويشبّهه عندما تحركّه الناقة يميناً وشمالاً بعذوق النخل واحداً فوق الآخر، فيقول:

خَطورٍ بِرَيّانِ العَسيبِ كَأَنَّهُ   إِهانُ عُذوقٍ فَوقَهُنَّ عُذوقُ[6]

---

1) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص67.

2) د.عيسى، أحمد، **معجم أسماء النباتات**، (ط2) ، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م. ص138. انظر أيضاً: مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط** ،(ط2)، (راجعه: إبراهيم أنيس وآخرون)، مطابع دار المعارف، مصر، 1981م. و مرعشلي، نديم وأسامة، **الصحاح في اللغة والعلوم: معجم وسيط**، (ط1)، دار الحضارة العربية، بيروت، 1975م. مادة(نخل).

3) انظر: اللسان، مادة(نخل).

4) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص70.

5) (والنخل باسقات لها طلعٌ نضيد) سورة ق الآية (10). انظر: سورة مريم الآية (23). سورة يس الآية (34).

6) ديوان الشماخ، ص87. خطور: ضروب. العسيب: عظم الذنب. الإهان : شمراخ النخل. العذق: قنو النخل كالعنقود.

وكذلك قال كعب:

تمرُّ مِثلَ عَسيبِ الـنَخلِ ذا خُصَلٍ   في غارزٍ لَم تَخَوَّنَهُ الأَحــــاليلُ(1)

أمّا لبيد، فيشبّه الإبل السود كثيرة العدد بصغار النخل المتقاربة والمجتمعة، يقول:

ويَوْماً مِنَ الدُّهْمِ الرِّغابِ كأنّهـــا   أشاءٌ دَنا قِنْوانُهُ أوْ مَجــــــادِلُ(2)

كما اقترنت صورة النخلة في شعر الدراسة، وهي تشمخ بجذعها وسعفها وعذوقها، بصورة الجمال الضخمة في تمامها وحسنها، قال كعب:

تَنْجُـو وتَقْطُر ذِفْرَاهـــا على عُنُقٍ   كالجِذْع شذَّب عنه عــاذِقٌ سَعَفَا(3)

وكقوله في صورة مشابهة:

وأَتْلَعَ يُلْوَى بـالجَدِيل كـــــــأنّه   عَسِيبٌ سقـاه من سُمَيحةَ جَدْولُ(4)

وشبّه شعراء الدراسة الهوادج في علوّها واهتزازها، وانضمامها على الحسان، بالنخيل تعلو في الفضاء. وقد شبّه كعب الأحداج وهي فوق الإبل بأعالي النخل الحامل والسفين، يقول:

كـأنَّ بغبطانِ الشُّريف وعـــاقلٍ   ذُرَا النَّخْل تَسْمُو والسَّفِينَ المُقَيَّرَا(5)

وشبّه كعب الظعائن بالنخل الملتفّ عند اجتماعهن، يقول:

كـــأَنَّ أظعـــانَهم تُحْدَى مُقَفِّيَةً   نخلٌ بعينينِ ملتفٌ مـــــواقيرُ(6)

وكقوله في صورة مشابهة:

تبصَّرْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ   كَنَخْلِ القُرَى أَوْ كالسَّفِينِ حَزَائقُهْ(7)

كما شبّه بعض شعراء الدراسة منظر النخلة وقد تدلّت عذوقها بظعون الأحبّة، وكانت توحي لهم ألوان

---

1) ديوان كعب، ص112. عسيب النخل: قضيب من النخل نزع عنه ورقه. الغارز: الضرع. الأحاليل: مجاري اللبن.
2) ديوان لبيد ص146. الدُّهم: الإبل السود الكثيرة. أشاء: صغار النخل. المجادل: القصور.
3) ديوان كعب، ص91. تنجو: تسرع في النجاة. السعف: أغصان النخيل.
4) المصدر نفسه، ص121. الأتلع: العنق الطويل. الجديل: الزمام. سميحة: بئر قديمة بالمدينة غزيرة الماء.
5) المصدر نفسه، ص63. غبطان: اسم موضع. عاقل: جبل. السفين المقيّرا: السفن المطلية بالقار.
6) ديوان كعب، ص79. بعينين: بقرية من قرى البحرين فيها نخل كثير. المواقير: الكثيرة الحمل.
7) المصدر نفسه، ص100. حزائق: الجماعات.

لهم ألوان النخلة وقد اخضرّ سعفها بألوان الظعون اللامعة، وما على الهوادج من ألوان الوشي، قال لبيد:

كأنَّ أظْعانَهُمْ في الصُّبْحِ غـــادِيَةً   طَلحُ السَّلائلِ وَسطَ الرَّوْضِ أوْ عُشَرُ
أو باردُ الصَّيفِ مسجورٌ، مزارعُهُ   سُودُ الذوائِبِ ممـــا متعتْ هَجرُ[(1)]

وكقوله:

فكأنَّ ظُعْنَ الحيِّ لمـــا أشْرَفَتْ   بالآلِ ، وارْتَفَعَتْ بهنَّ حُـــزُومُ
نخلٌ كـــوارِعُ في خليجِ مُحَلِّمٍ   حَمَلَتْ فمنها موقِرٌ مَكْمـــومُ[(2)]

وفي صورة أخرى، نجد لبيداً يعكس التشبيه المألوف، فيشبّه النخيل بأحداج النساء قائلاً:

فرُحْنَ كأنَّ النّادِياتِ منَ الصَّفـــا   مَذارِعَها والكَـــارِعاتِ الحَوَامِلا
بذي شَطَبٍ أحداجُها إذْ تَحَمَّلُـــوا   وحَتَّ الحُداةُ النَّاعِجاتِ الذَّوامِـــلا[(3)]

وجعل شعراء الدراسة الخيل طرفاً في تشبيهاتهم، فالخيل الطويلة، التامّة الخلق، المرتفعة، هي أيضاً كالنخيل في ارتفاعه، قال لبيد في وصفه للفرس:

أَسْهَلْتُ وَانْتَصَبَت كَجِذْعِ مُنِيفَـــةٍ   جَرْدَاءَ يَحْصَرُ دُونَهَـا جُرَّامُهَـا[(4)]

ووصف كعب الأتان الوحشية وقد سمنت وتساقط نسيلها، وكأنّها عسيب النخل، يقول:

فهي مَلْســـاءُ كالعَسِيبِ وقَدْ بَا   نَ نَسِيلٌ عن مَتْنِهـــا ليَطِيرَا[(5)]

---

1) ديوان لبيد، ص81-82. طلح: شجر. السلائل: اسم موضع. عشر: نوع من النبت. بارد الصيف: الماء البارد. مسجور: ممتلىء. سُودُ الذوائِبِ: شديدة خضرة العسف حتى صار يضرب إلى السواد. هجر: منطقة كثيرة المياه في شرق الجزيرة.

2) ديوان لبيد، ص182. كوارع: مغمورة بالماء. حزوم: جمع حزم وهو الغليظ من الأرض. موقر: محمل. مكموم: مغطى. سحق: طوال .

3) المصدر نفسه ، ص139. الناديات:أشجار النخيل. المذارع: النخل القريبة من البيت. الكارعات: الشاربات. ذو شطب: جانب ثهلان. الناعجات والذوامل: الإبل المسرعات.

4) المصدر نفسه، ص232. اسهلتُ: أي صرت إلى السهل من الأرض. الجرّام: الصرّام.

5) ديوان كعب، ص72. النسيل والنسال: الوبر والشعر المتساقط.

- شجر الجبال: النبع والسرّاء والضالة والقفعاء.

أمّا النبع[1] والسرّاء[2] والضالة[3] فأشجار اتّخذ العرب منها القسيّ والسهام، حتى أصبح مجرّد ذكرها يحدد السلاح المقصود منه. فذكر الشماخ النبع والضالة، وهو يصف قوس الرامي، يقول:

مُطِلّاً بِزُرقٍ ما يُداوى رَمِيُّهـــا وَصَفراءَ مِن نَبعٍ عَلَيها الجَلائِزُ
تَخَيَّرَها القَوّاسُ مِن فَرعِ ضالَةٍ لَها شَذَبٌ مِن دونِهـــا وَحَواجِزُ[4]

وذكر كعب شجر النبع الذي يُتّخذ منه القسيّ في قوله:

تنحّى بصفـــــــــراءَ من نبعةٍ على الكفّ تجمع أرزاً ولينـــا[5]

وقال كعب يصف قسيّاً اتُخذت من شجر السراء:

شَرِقـــــــــاتٍ بالسُمِّ من صُلَّبِيٍّ ورَكوضـاً من السراءِ طحُورا[6]

أمّا لبيد، فأورد ذكر القسيّ التي اتخذت من شجر السراء في معرض فخره بقومه قائلاً:

نَشِينُ صِحَـــاحَ البِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بعوجِ السّراء عندَ باب محجبِ[7]

---

1) "النبع شجرمن أشجار الجبال تتخذ منه القسي" انظر: اللسان والوسيط، مادّة (نبع). وقيل: "شجر أصفرالعود رزينه، إذا تقادم أحمر، والنبع والشوحط والشريان شجرة واحدة، ولكنها تختلف أسماؤها لاختلاف منابتها، فما كان في قلّة الجبل فهو النبع، وما كان في سفحه فهو الشوحط، وما كان في الحضيض فهو الشريان، وهو شجر لا نار فيه". انظر: اللسان، مادّة (نبع).

2) السراء شجر من شجر القسي والواحدة سراءة. انظر:اللسان، مادّة (سرأ) . الزبيدي، تاج العروس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965م. مادّة (سرأ)

3) الضال هو "السدر ما كان عذبا" . انظر: اللسان (ضيل)، وانظر: المحيط (ضال). "والضال من شجر الشوك إذا نبت على شط النهر قيل له العبري، والضال هو السدر الجبلي. والجبلي أرقّ عوداً من النهري". انظر: اللسان (ضيل)،"ومن أسمائه الضال (ذو الشوك)، الأشكل هو السدر البري الراضب، وسلم (نوع من السدر الشائك لا يثمر)". انظر: معجم أسماء النبات، أحمد عيسى، ص142.

4) ديوان الشماخ، ص66. الصفراء: هنا القوس. الجلائز: عقد تلف على القوس فتقويها من غير عيب. انظر أيضا: ديوان الشماخ، ص59.

5) ديوان كعب، ص154. الأرز: الصلابة.

6) ديوان كعب، ص74. الصلبي: حجارة المسنّ يسنّ عليها. الركوض: القوس.

7) ديوان لبيد، ص53.

كما ورد ذكر شجر الضال في حديث لبيد بن ربيعة عن الثور الوحشيّ، يقول:

فَبَاتَ كأنّهُ قـــــــــاضي نُذُورٍ   يَلُوذُ بغَرْقَدٍ خَضِلٍ وضَـــــــــالِ(1)

أمّا الشمّاخ، فشبّه ناقته الضخمة المقوّسة بفلقة الضال في قوله:

عَلياءَ نَضّـــاخَةِ الذِفرى مُذَكَّرَةٍ   عَيرَانَة مِثْلَ قَوسِ الفِلقَةِ الضـــالِ(2)

واستمدّ شعراء الدراسة المخضرمون من صلابة هذه الأشجار صوراً وتشبيهاتٍ استعملوها في مواضع الصلابة والشدّة(3)، منها قول لبيد مفتخراً بأصوله، وبأس قومه، وشدّتهم في القتال:

وَنَحْنُ أُناسٌ عُودُنَا عُـــودُ نَبْعَةٍ   صليبٌ إذا ما الدهرُ أجشم مُعظِمَا(4)

أمّا كعب، فشبّه النوق الفتيّة لصلابتها بالقسيّ قائلاً:

حتَّى إذا أبردُوا قاموا إلى قُلُصٍ   كـــــــأنهن قسيّ الشوحطِ الزورُ(5)

كما شبّه الشماخ الأتن الوحشية الضامرة بقضبان النبع الدقيقة، يقول:

كَقُضبِ النَبعِ مِـن نُحُصٍ أَوابٍ   صَوَت مِنهُنَّ أَقـــراطُ الضُروعِ(6)

أمّا القفعاء، فضرب من الشجر تنثني أوراقه وتنقفع، ولذا شُبّهت حلقات الدروع بأوراقه حينما تلتفّ، يقول كعب بن زهير:

بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَهـا حَلَقٌ   كَأَنَّها حَلَقُ القَفعـــــــاءِ مَجدولُ(7)

---

1) ديوان لبيد، ص155. غرقد: شجر. خضد: متكسر.
2) ديوان الشماخ، ص102. الذفرى: عظم ما وراء الأذن. مذكّرة: غليظة ضخمة. الفلقة: الشقة من القضيب تصنع منها القوس.
3) وفي المثل قيل: "أصلب من عود النبع". انظر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، **مجمع الأمثال** ، منشورات دارمكتبة الحياة، بيروت، 1961. م1، ص575.
4) ديوان لبيد، ص177.
5) ديوان كعب، ص80. القلص: النوق الفتيّة. الزور: المنعطفة المائلة.
6) ديوان الشماخ، ص78. النحص: جمع نحوص، وهي الأتان الوحشية لا لبن فيها. صوت: يبست. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص38.
7) ديوان كعب، ص116.

- الغضا[1]

الغضا شجر خشبه من أصلب الخشب، وفحمه صلب، وجمره شديد الالتهاب لا ينطفىء بسرعة، وقد تغنى كثير من الشعراء بالغضا ونيرانه. وورد ذكره في شعر الشماخ، خلال حديثه عن ديار المحبوبة، يقول:

عَفا بَطنُ قَوٍّ مِن سُلَيمى فَعــــــالِزُ   فَذاتُ الغَضا فَالمُشرِفاتُ النَواشِزُ[2]

كما استخدم الشعراء الغضا المعروفة بشدة لهبها، لتصوير شدّة أوار الحرب، قال كعب مفتخراً بنفسه:

ويصولُ بالأبدانِ كــــــــــلُ مسَقَّر   مِثْلِ الشِّهابِ إذَا تَوَقَّد بالغَضَـــا[3]

- أشجار أخرى:

شجر البان

البان من الأشجار التي تسمو وتطول باستواء، وورقها طويل وزهرها أبيض، وقد استفاد الشعراء المخضرمون من صفاتها هذه، فشبّهوا بها النساء الحسان، فهذا كعب بن زهير يصف محبوبته، ويشبّهها بغصن البان لرشاقتها قائلاً:

وإذ هي كغصنِ البانِ خفَّاقةَ الحَشى   يروعك منها حسنُ دلٍّ وطيبُهــا[4]

كما شبّه كعب في صورة مختلفة ساقي النعامة بعمودين من شجر البان يابسين، يقول:

فشَمَّرَتْ عن عَمُودَيْ بـــــانةٍ ذَبَلاَ   كأنّ ضاحِيَ قِشْرٍ عنهما انْقَرَفَـا[5]

---

1) انظر: اللسان، المعجم الوسيط (غضي). في المعجم الوسيط : كلمة غضا جمع ومفردها غضاة ، وهي شجرة صحرواية يصل ارتفاعها من متر الى ثلاثة امتار واكثر ، ولها قاعدة خشبية سميكة وجذور عميقة وساق قائمة وأفرع نحيفة صغيرة الحجم والفروع الطرفية تتدلى أحياناً .وتظهر الساق عارية اسطوانية ، والازهار عديمة الرائحة تظهر في اخر الصيف ،وقد استعمل للتدفئة فهو قليل الدخان ، ويحلو السهر حول جماره المشهورة بقوة حرارتها وامتدادها ساعات الليل الطويل ، وينتشر الغضا بشكل واسع في مناطق الكثبان الرملية والنفود ، إلا أن نمو الشجرة بطىء ، وتتطلب فترة طويلة حتى تصبح صالحة للاستخدام. وانظر: المنجد ص736-737.

2) ديوان الشماخ، ص63. عالز: موضع في ديار تغلب. بطن قو: واد على طريق المدينة من البصرة.

3) ديوان كعب، ص42. يصول: يسطو ويثبت.

4) ديوان كعب، ص47. خفاقة الحشي: ضامرة الخصور.

5) المصدر نفسه، ص92.

شجر الخيزران. [1]

عُرف شجر الخيزران بالمرونة، واستعمل الشعراء المخضرمون لفظ عود الخيزران لوصف الفتاة ذات الطول الفارع، التي تتمايل بخفّة في مشيتها. أمّا الشماخ بن ضرار، فشبّه ناقته عندما تميل فتلوي عنقها، بعود الخيزران المائل، فقال:

إِذا عيجَ مِنها بِالــــجَديلِ ثَنَت لَهُ   جِراناً كَخوطِ الخَيزُرانِ الــمُعَوَّجِ[2]

وعُرفت أنواع من الأشجار بشوكها، كالعوسج[3] والعضاه[4]. أمّا شجر العوسج، فهو شجر ذو أشواك، وقد كانت عيدانه تستخدم في غزل الصوف، وقد استخدمه الشعراء للدلالة على ضنك العيش. يقول الشمّاخ واصفاً محبوبته المنعّمة المترفة:

مُنَعَّمَةٌ لَــم تَلقَ بُــــؤسَ مَعيشَةٍ   وَلَم تَغتَزِل يَوماً عَلى عودِ عَوسَجِ[5]

وأمّا العضاه، فهي أشجار ضخمة عظيمة ذات شوك. قال الشماخ:

فَأَنحى إِلَيها ذاتَ حَدٍّ غُرابُهــــا   عَدُوٌّ لِأَوساطِ العِضاهِ مُشــــارِزُ[6]

ووردت في شعر لبيد، في قوله:

قدْ قُدتُ في غَلَسِ الظلام، وطيرُهُ   عُصَبٌ على فَنَنِ الـــعِضَاهِ جُثُومُ[7]

---

1) الخيزران نبات لين القضبان أملس العيدان. انظر: اللسان (خزر). وقيل:" شجر هندي وهو عروق ممتدة في الارض"انظر: المحيط (خزر) انظر اللسان (خزر).ومن أسمائه خيزران –خيازر-، وتؤخذ منه العصي والرماح. انظر: **معجم أسماء النبات،** أحمد عيسى،ص12.

2) ديوان الشماخ، ص36. الجديل: الحبل المجدول. الجران: صدر الناقة. الخوط: الغصن الناعم.

3) العوسج شجر من شجر الشوك ، واحدته عوسجة والجمع عواسج، له ثمر أحمر يشبه خرز العقيق. انظر: اللسان (عسج). ومن أسمائه عوسج واحدته عوسجة، جلهم ،مليح، غرقد(النوع الكبير منه وهو الابيض) . انظر: **معجم أسماء النبات،** أحمد عيسى، ص112.

4) العضاة شجر له شوك، واحدها عضاهة، والجمع عضاه. انظر: اللسان (عضه).

5) ديوان الشماخ، ص33.

6) ديوان الشماخ، ص66. ذات الحد: السكين. غرابها: حدها. المشارز: القاطع. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص75. انظر أيضاً: ديوان كعب، ص107.

7) ديوان لبيد، ص189. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص253.

أشجار الأرطى [1]

يعدّ الأرطى من أهمّ ركائز الغطاء النباتي في صحراء الجزيرة العربية بتوفير الغذاء اللازم للثروة الحيوانية، وحفظ التوازن بين عناصر البيئة، ومقاومة التصحر وزحف الرمال.وهي أشجار ذات ظل وارف، ولها ثمر يشبه العناب. وقد ورد ذكر أشجار الأرطى في شعر الدراسة، خلال وصف الشعراء للثور والبقرة الوحشيّين، والتجاء الثور الوحشيّ لهذا النوع من الشجر؛ علّه يجد تحته شيئاً من الأمن و الحماية. قال الشماخ يصف الثور الوحشيّ، وقد اتخذ من أغصان شجرة الأرطى مخبئاً له:

فَثَنى يَدَيهِ لِرَوقِهِ مُتَكَنِّســــــــــــاً   أَفنانَ أَرطاةٍ يُثِرنَ دُقاقــــــــا[2]

وقال لبيد في وصف بقرة وحشيّة فزعة لفقد ولدها:

باتَت إلى دَفّ أرْطـــــــــاةٍ تحفِّرهُ   في نَفْسها من حَبيبٍ فاقِدٍ ذكرُ[3]

وتتميّز شجرة الأرطاة بلون عروقها الأحمر، وانشقاق عروقها إلى نصفين. فاستمدّ كعب بن زهير من صفتها هذه صورة شبّه فيها عروق شجرة الأرطاة بالعنان، قائلاً:

في أصول الأرطي ويُبدي عروقاً   ثئداتٍ مثل الأعنّة خــــــورا[4]

---

1) الأرطى نبات شجيري ينبت بالرمل، ثمره جاف صغير، وعروقه مرة، تأكلها الابل غضة. انظر: الصحاح مرعشلي (أرطى). وواحدته أرطاة والجمع أراطٍ وأراطي. انظر: معجم أسماء النبات، أحمد عيسى،ص36.

2) ديوان الشماخ، ص83. الروق: القرن. الدقاق: التراب. انظر: المصدر نفسه، ص115.

3) ديوان لبيد، ص87. انظر: المصدر نفسه، ص138، ص270.

4) ديوان كعب، ص69. ثئدات: نديّات. الخور: الضعاف.

شجر الأراك [1]

شجر الأراك معروف ومشهور لدى أهل الجزيرة، وهو شجر السِّواك، يُستاك بفُروعه لتنظيف الأسنان[2]. وقد ذكره الشماخ في وصف محبوبته، التي تستاك بمسواك الأراك، يقول:

تَميحُ بِمِسواكِ الأَراكِ بَنانُهـــا رُضابَ النَدى عَن أُقحُوانٍ مُفَلَّجِ[3]

وكذلك ذكر الأراك كثيراً في أشعار أهل البادية، ولوفرته سُمّيت بعض الأماكن باسمه، كعين الأراكة، وأُريك وهو جبل كثير الأراك. ويظهر هذا جليّاً في قول الشماخ:

فَأَزمَعَ مِن عَينِ الأَراكَةِ مَورِداً لَهُ غارَةٌ لَفّاءُ صافٍ غَديرُهـــا[4]

وذكر الشماخ جبل أريك في وصفه لحمار الوحش قائلاً:

رَعى بُهمى الدَكادِكِ مِن أَريـكٍ إِلى أُبلى مُنــــــــاصيهِ حَفيرُ[5]

وقد ذكر لبيد في شعره شجراً طيّب الريح، تتّخذ منه المساويك، وهو شجر البشام[6]:

بظُلُوفِها وَرَقُ البَشَامِ ودُونَهـــا صَعْبٌ تَزِلُّ سَرَاتُهُ بالأجـــدَلِ[7]

---

1) الأراك شجر السواك واحدته أراكة، وقد تجمع على أركٍ وأرائك. وقيل: شجرة طويلة ناعمة خوارة العود كثيرة الورق. انظر: اللسان والتاج (أرك). ومن أسمائه أراك، شجر السواك، البرير، الكباث، المرد(هو الغض)، خمط. انظر: معجم أسماء النبات، أحمد عيسى، ص161.

2) "قال أبو حنيفة الدينوري- وهو من علماء اللغة-: هو أَفضل ما اسْتِيك بفرعه من الشجر ، وأَطيب ما رَعَتْه الماشية رائحةَ لَبَنٍ. وقال أَبو زياد: منه تُتخذ هذه المَساوِيك من الفروع والعروق ، وأَجوده عند الناس العُروق ، وواحدته أَراكة." انظر: **لسان العرب**، مادة(أرك).م10، ص10.

3) ديوان الشماخ، ص33. تميح: تسيل. الرضاب: الريق.

4) ديوان الشماخ، ص60. أشجار الغارة: أشجارتتواجد قرب الماء، وهي أشجار خضراء ملتفة الأغصان.

5) المصدر نفسه، ص55. أبلى: جبال على طريق المدينة من مكة. مناصيه: مواصله الذي يتصل به. حفير: موضع لغطفان في نجد.

6) البشام شجر وحدته بشامة، طيب الريح والطعم، يُستاك به. انظر: اللسان والوسيط والمحيط والصحاح مرعشلي، مادة(بشم)

7) ديوان لبيد، ص170. صعب: جبل صعب المرتقى. السراة: المتن. الأجدل: الصقر.

وورد في شعر الدراسة ذكر لبعض أنواع الشجر، كشجر الطلح[1]، والعرعر[2] والعضد[3] والمُغد[4] وشجر السلام[5] وغيرها[6]، كما استعملوا لفظة "الغيل" في شعرهم للتعبير عن تجمّعات الشجر الكثيفة [7].

- النباتات الصحراوية

العرفج [8]

العرفج من النباتات المعروفة بشدة اشتعالها، وهو يمتاز بسرعة اشتعاله، وسرعة انطفائه، وناره مضيئة .قال الشماخ في وصف صحراء واسعة مترامية، تضيئها نار العرفج:

بِمَفطوحَةِ الأَطرافِ جَدبٍ كَأَنَّما　　　تَوَقُّدُها في الصَخرِ نيرانُ عَرفَجِ[9]

وقوله يصف النصال الحادّة، وهي تلتمع صباحاً، وقد سقطت عليها أشعّة الشمس، عاقداً مشابهةً بينها وبين نيران العرفج:

بِزُرقِ النَواحي مُرهَفاتٍ كَأَنَّمــا　　　تَوَقُّدُها في الصُبحِ نيرانُ عَرفَجِ[10]

---

1) انظر: ديوان لبيد ، ص51.
2) انظر: المصدر نفسه، ص94.
3) انظر: المصدر نفسه، ص71. العضد: الشجر اليابس.
4) المغد:شجرة مثل القثاء يقال لها الفشغة. انظر: ديوان كعب، ص90، ص91.
5) انظر: ديوان الشماخ، ص109.
6) ورد في شعر لبيد "الزنمتين": وهو شجر لا ورق له. انظر: ديوان لبيد، ص94.
7) ديوان الشماخ، ص66. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص167. ديوان كعب، ص119.
8) العرفج "ضرب من النباتات التي تنبت في الأرض السهلية، واحدته عرفجة، وقيل: من شجر الصيف لين، وقيل: طيب الريح أغبر الى الخضرة، وأصل العرفجة واسع لها قضبان كثيرة بقدر الأصل، وليس لها ورق، وله ثمرة صفراء وناره شديدة تسمّى نار الزحفتين." انظر: اللسان، مادة (عرفج). وفي المثل قيل اسرع من النار في يبس العرفج. انظر: مجمع الأمثال للميداني: م1 ،407.
9) ديوان الشماخ، ص39. مفطوحة الأطراف: واسعة الأطراف وهي الصحراء الواسعة. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص91.
10) المصدر نفسه، ص39. زرق النواحي: النصال الزرق الحادة.

الحنضل

الحنضل من النباتات التي تتّصف بالمرارة، ويقال له: الشري والخطبان[1]، وقد ورد ذكره في شعر الدراسة أثناء حديث الشعراء عن النعامة والظليم وهما يرعيان، وقد اخضرّت أنوفهما من كثرة ما يأكلان، فنجد كعباً يصف هذا المشهد في قوله:

والشَّرْيَ حتّى إذا اخضرَّتْ أُنُوفُهما	لا يألوانِ من التنُّومِ ما نقفــــــا
كالخاليَيْنِ إذا ما صَوَّبا ارتفعـــــا	لا يحقرانِ من الخطبان ما نقفا[2]

وفي صورة مشابهة، وصف لبيد النعام قائلاً:

كَلِفٌ بعـــــــارِيَةِ الوَظِيفِ شِمِلَّةٍ	يمشي خلالَ الشرْيِ في خيطـانِ
ظلّتْ تتبَّع مِن نهاءٍ صعـــــــائدٍ	بينَ السَّليل ومدفَع السُّــــــلاَّنِ
سَبَداً من التَّنُّـــــــومِ يخبطهُ الندى	وَنَوادِراً مِنْ حَنْظَلِ الخُطْبـــانِ[3]

كما ذكرشعراء الدراسة أنواعاً من النباتات تحمل دلالات مختلفة، فورد في أشعارهم ذكر للفقع[4]، وقد ضرب به المثل في الضعف والذلّة والهوان. وقال كعب في ذمّ أحدهم، وقد شبّهه في ذلّه وهوانه بالفقع، يقول:

وهو التريكةُ بالمكرّ وحـــــــارثٍ	فِقِعُ القراقر بالمكان الـــــواتنِ[5]

---

1) الحنضل هو الشجر المّر. انظر:اللسان (حنضل). "وقيل نبات ثمرته في حجم حبة البرتقال ولونه يقارب لونها." انظر: الوسيط والصحاح، مرعشلي (حنضل) . والحنضل نبات يتبع الفصيلة القرعية، وهو عشب ينمو كل سنتين، له ثمر لونه أخضر مزركش وعندما ينضج يتحول إلى الاصفر، والثمرة بجميع أجزائها مرة، وينمو في المناطق الصحراوية الدافئة. انظر: د. حسين، فوزي طه قطب، **النباتات الطبية: زراعتها ومكوناتها**، دار المريخ للنشر،الرياض،1981م. ص302. والحنضل هو الشرى، انظر: **معجم أسماء النبات**، أحمد عيسى، ص50.

2) ديوان كعب، ص92. التنّوم: شجر صغار له ثمر مثل الشهدانج. الخاليان: اللذان يقطعان الخلي وهو العشب. الخطبان: الحنظل. النقف: استخراج حبه. انظر أيضاً: ديوان الشماخ، ص97.

3) ديوان لبيد، ص274. شملة: سريعة. الشري: شجر الحنظل. السليل: واد. حنظل الخطبان: صفرة الحنظل وخضرته.

4) الفقع "ضرب من الكمأة". وقيل: الفقع " يطلع من الارض فيظهر أبيض، وهو رديء والجيد ما حفر تحته واستخرج ،والجمع أفقع وفقوع وفقعة. انظر: اللسان، مادة (فقع) . ومن أشهر أنوعها: الشتوي والصيفي والجبلي والأسود. انظر: مقابلة، زايد خالد بني موسى، **ألفاظ النبات في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1985، ص189.

5) ديوان كعب، ص163. التريكة: هي البيضة التي يتركها النعام حين ينقف، ويدفنها تحت التراب، ويعني بها ربيعة بن مكدم. الواتن: الثابت الذي لا يزول.

أمّا لبيد، فذكره مفتخراً بنفسه، يقول:

لـيَ النصرُ منهمْ والـــــولاءُ عليكمُ ومـــــــا كنتُ فَقْعاً أنْبَتَتْهُ القَرَاقِرُ[1]

وذكر شعراء الدراسة المخضرمون أيضاً، نباتات أخرى كالأيهقان[2] والثمام[3] والرمّان[4] وغيرها في أشعارهم.

أمّا نباتات الرعي، فقد اهتمّ بها العرب، وذكروها في أشعارهم، ولكن فترة وجودها قليلة لقصر فصل الربيع، وحلول القيظ، ومنها البقل والقتّ، والبهمى[5]. قال الشماخ:

خَفيفَ المِعى إِلّا عُصارَةَ ما استَقى مِنَ البَقلِ يَنضوهُ لَدى كُلِّ مَشجَجِ[6]

وذكره لبيد في قوله:

لِتَرْعَ مِـــــــــــنْ نَبْتِهِ أُسَيْمُ إِذَا أنْبَتَ حُرَّ البُقُولِ والعُشُبَــــــــــا[7]

وقال الشماخ يذكر القتّ، وهو نبات المرعى:

إِذا ناهَبَت وُردَ البَراذينِ حَظَّهـــا مِنَ القَتِّ لَم يُنظِرنَهـــا أَن تَحَدَّرا[8]

أمّا نبات البهمى، فورد ذكره في شعر الشماخ في وصفه لحمار الوحش، حين يقول:

رَعى بُهمى الـــــدَكادِكِ مِن أَريكٍ إِلى أُبلى مُنــــــــــــاصيهِ حَفيرُ[9]

---

1) ديوان لبيد، ص91. القرقر: الأرض المستوية.
2) الأَيْهُقَانِ: الجرجير البري. انظر: ديوان لبيد، ص202.
3) الثمام: نبت يجعل حول الخيمة، ليمنع السيل ويقي الحر . انظر: ديوان لبيد، ص205.
4) انظر: ديوان لبيد ص140.
5) البهمى نبات واحدتها بهماة، وقيل: بقلة من أحرار البقول، ويطلق عليهاعدّة أسماء، ففي بداية النبت بارضا، وعندما تخرج من الأرض تنبت كما ينبت الحب، ثم يبلغ بها النبت الى أن تصير مثل الحب، وعندما تيبس يخرج لها شوك شبيه بشوك السنبل. وقيل: البهمي نبت تحبه الغنم كثيرأما دام أخضراً، وإذا يبس هرّ شوكه وامتنع، ويقلّ ارتفاعها نحو الشجر. انظر: اللسان (بهم).
6) ديوان الشماخ، ص37. المشجج: اسم مكان من شجّ بمعنى قطع الفلاة أو عبرها.
7) ديوان لبيد، ص36.
8) ديوان الشماخ، ص52. ناهبت: نازعت. ورد البراذين: البراذين الحُمر. تحدّر: تتحدر أي تقبل. انظر: المصدر نفسه، ص37. انظر أيضاً: ديوان كعب، ص151. ديوان لبيد، ص136.
9) المصدر نفسه، ص55.

وذكر لبيد البارض، واصفاً فرسه:

يَلْمُجُ البارِضَ لَمْجاً في النَّدَى   مِنْ مَرابيعِ رِياضٍ ورِجَــلْ[1]

- نباتات أخرى

ومن النباتات التي لها استعمالات صحيّة نبات الخطمي، فكان يؤخذ ورقه وينقع، ثم يدق ليتخذ غسولاً. قال الشماخ:

وَماءٍ قَد وَرَدتُ لِوَصلِ أَروى   عَلَيهِ الطَيرُ كَالـوَرَقِ اللَجينِ[2]

أمّا البسباس فهو نبت طيب الرائحة[3]. قال الشماخ يصف بيض النعام:

فَنَكَّبا يَنقُفانِ البَيضَ عَن بَشَرٍ   كَأَنَّهُ وَرَقُ البَسباسِ مَغسولُ[4]

ومن النباتات المستخدمة بكثرة اليلنجوج، وهو المندل ويعطي رائحة طيبة كالمسك إذا احترق. وقد ذكره الشماخ في بيت صوّر فيه محبوبته التي توقد اليلنجوج في الشتاء لتتبخّر به، وتنشر في مجلسها الروائح الزكيّة، يقول:

يُثَقِّبُ نـــــــارَها وَاللَيلُ داجٍ   بَعيدانِ اليَلَنجـــــوجِ الذَكِيِّ[5]

- الأزهار

أمّا الأزهار، فإنّ شعراء الجاهليّة وصدر الإسلام لم يغفلوا عن وصفها، وإنّ الصحراء الواسعة كانت تنبت أنواعاً كثيرة منها، مما حرّك قريحة الشعراء، على الرغم من قلة تأثرهم وصلتهم في حياتهم المعايشة بها، موازنة بأجزاء وعناصر مهمة أخرى من الطبيعة بنوعيها الصائت والصامت. ومن أنواع الأزهار التي ذكرها شعراء الدراسة المخضرمون في أشعارهم؛ الريحان والأقحوان، والزعفران. ونلحظ اقتران ذكر هذه الأزهار بحديثهم عن محبوباتهم، فقد أفادوا من لون زهر الأقحوان الأبيض في تصوير ثغر المحبوبة، وأمّا الزعفران، فاستمدّوا من لونه وطيب رائحته صوراً

---

1) ديوان لبيد، ص129.البارض: البهمى حين طلع وظهر. مرابيع: أمطار أول الربيع. انظر: المصدر نفسه، ص186.

2) ديوان الشماخ، ص112. الورق: قصد به ورق نبات الخطمي. اللجين: المدقوق.

3) البَسبَاس بقلة، وقيل:من النبات الطيب الريح، وطعمه طعم الجزر، وتتخذ منه الرحال.انظر: اللسان، مادة (بسس).

4) ديوان الشماخ، ص98.

5) ديوان الشماخ، ص117.

متنوّعة. ورد ذكر الريحان في وصف كعب لديار محبوبته، حين يقول:

فأنبت الفَغْوَ والريحـــــانَ وابلُه   والأيهقانَ مع المُكنانِ والذُّرقـــا[1]

وما أجمل قول الشماخ حين وصف ثغر صاحبته، وشبّه بياض لون أسنانها بزهر الأقحوان الأبيض النديّ:

تَميحُ بِمِسواكِ الأَراكِ بَنانُهـــــا   رُضابَ النَدى عَن أُقحُوانٍ مُفَلَّجِ[2]

وفي صورةٍ مشابهةٍ، وصف كعب ثغر محبوبته، وشبّه أسنانها البيض بزهر الأقحوان، قائلاً:

وتَفْتَرُّ عن غُرِّ الثَّنَايَا كأنّهـــــا   أقاحٍ تروَّى من عروقٍ غلاغـلِ[3]

أمّا الزعفران، فلطيب رائحته كانت النساء يطيّبن به الملابس، فيفوح منها الطيب. وذكره الشماخ في وصف محبوبته قائلاً:

وَإِن مَرَّ مَن تَخشى اتَّقَتهُ بِمِعصَمٍ   وَسِبٍّ بِنَضحِ الزَعفَرانِ مُضَرَّجِ[4]

كما وظّف الشمّاخ وكعب لون الزعفران في صورهم وتشبيهاتهم، فنجد الشماخ يصف قوساً صفراء ثمينة، وكأنّها ضمّخت بالزعفران، يقول:

كَأَنَّ عَلَيها زَعفَرانـــــــاً تُميرُهُ   خَوازِنُ عَطّارٍ يَمانٍ كَـــــوانِزُ[5]

أمّا كعب، فشبّه ما على أظلاف الثور الوحشي من حمرة عروق شجر الأرطى بالعبير(الزعفران)، في قوله:

وَأشِجاتٍ حُمْراً كأنّ بأَظْـــلاَف   يديهِ من مـــــــــائهنَّ عبيرا[6]

---

1) ديوان كعب، ص106. الفغو: نبت له ورد يشبه ورد الحنّاء. الأيهقان: الجرجير البري. الذرقا: الحندقوق.

2) ديوان الشماخ، ص33. مفلّج: متباعد. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص58.

3) ديوان كعب، ص126. تفتر: تبتسم. غلاغل: متغلغلة في الأرض.

4) ديوان الشماخ، ص33. السب: الستر. مدرّج: مضمّخ.

5) المصدر نفسه، ص68. أماره: أمدّه بالماء ليذوب. الخوازن، الكوانز: اللائي خزنّ العطر.

6) ديوان كعب، ص69. الواشحات: يعني العروق. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص60.

الجبال

اتخذ الشعراء من السلاسل الجبلية ملاذاً يأوون إليه للاستراحة، أو الاستخفاء، وتحتضن تلك السلاسل وديانًا ومدنًا وقرى كثيرة لجأت إليها القبائل، ونعِمت بخضرتها، فوقف عدد كبير من الشعراء عند رياضها وجناتها يذكرون خيرها وخصبها ونماءها.(1)

ذكر الشعراء المخضرمون هذه الجبال في أشعارهم، وأشاروا إلى قدرتهم على اختراقها، واجتيازها، تحملهم الإبل القويّة، التي تتحمّل معهم المصاعب، قال الشماخ:

إِذا قَطَعَت قُفّاً كُمَيتاً بَدا لَهـــــــا سَماوَةُ قُفٍّ بَينَ وَردٍ وَأَشقَـــــرا(2)

كما وصف كعب رحلته الصعبة، وسيره في الهاجرة، إذ تبدو الجبال وقت اشتداد الحرّ وكأنها لبست السراب، وتقنّعت به، حتى صار لها كالعمائم :

وهاجِرة ٍ لا تَسْتَرِيدُ ظِباؤهـــــــا لأعلامها من السَّرابِ عمــــائمُ(3)

وكان الشعراء المخضرمون يذكرون الجبال مقترنةً بمناسبات معينة، تمثّل انتصاراتهم أو انحدارهم في تلك الجبال، أو ذكر بعض الأبطال من محاربيهم الذين ماتوا في معارك حدثت في تلك الجبال، قال لبيد:

وبالجرِّ مِنْ شرقيِّ حرسٍ مُحاربٌ شُجاعٌ وذو عَقْدٍ منَ القَوْمِ مُحتَرِ(4)

وكقوله مفتخراً بنفسه وبقومه:

جَلَبْنَا الخَيْلَ سائِلَةً عِجـــــــــافاً منَ الضُّمرينِ يخبِطُها الضّريبُ(5)

وفي حديث شعـــراء الدراسة المخضرمين عن ديـــار أحبّتهم، ومواضع سكناهم، أشـــاروا إلى

1) انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص23-26.

2) ديوان الشماخ، ص51. القف : المرتفع من الارض دون الجبل. الكميت: لونه بين السواد والحمرة.

3) ديوان كعب، ص140.

4) ديوان لبيد، ص100. الجر: أصل الجبل. مجرب: شجاع. محتر: وثيق. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص147، ص149.

5) المصدر نفسه، ص37. الضمران: جبلان يقال لأحدهما الضمر، وللآخر الضائن. الضريب: البرد.

جبال كانت معروفة لديهم. كجبل عاقل في قول لبيد:

كُبَيْشَةُ حَلَّتْ بَعْدَ عَهْدِكَ عـــــاقلا وكانَتْ لهُ خَبْلاً على النّأيِ خـابِلا[1]

وذكره كعب في قوله:

كأنَّ بغبطانِ الشريف وعـــــاقلٍ ذُرَا النَّخْل تَسْمُو والسَّفِينَ المُقَيَّرَا[2]

وجبل أحد الذي ذكره لبيد في قوله:

لهندٍ بأعلامِ الأغَرِّ رسُـــــــومُ إلى أُحُـــــــــدٍ كأنَّهُنَّ وُشُومُ[3]

وذكر لبيد جبلي "أبان، والقنان" في حديثه عن رحيلهم عن الديار، قائلا:

دَرَسَ المَنا بِمُتالِعٍ فَأَبـــــــانِ وَتَقادَمَت بِالحُبسِ فَالسوبـــــــانِ

فَنعافِ صارَةَ فَالقَنانِ كَـــــأَنَّها زُبُرٌ يُرَجِّعُها وَليدُ يَمــــــانِ[4]

ذكر شعراء الدراسة بعض مواقع الجبال أثناء حديثهم عن الحمر الوحشيّة وأماكن رعيها، فذكر لبيد جبل القنان في حديثه عن حمار الوحش وأتنه:

رَعاها مَصَابَ المُزْنِ حتى تَصَيَّفَا نِعافَ القنانِ ساكِناً فالأجــــاوِلا

فأجْمادَ ذي رَقْدٍ فأكْنافَ ثـــــادِقٍ فصارَةَ يُوفي فَوْقَها فالأعــــابِلا[5]

وذكره كعب في حديثه عن الحمار الوحشيّ في مواضع مختلفة من شعره، منها:

يَرتعِي بالقَنَان يَقْرُو رِياضـــــاً فانتحى آتنا جدائدَ نـــــــورا[6]

وكذلك ذكر الشمّاخ جبل أريك وجبال أبلى في قوله:

رَعى بُهمى الدَكـــادِكِ مِن أَريكٍ إِلى أُبلى مُنـــــــاصيهِ حَفيرُ[7]

---

1) ديوان لبيد، ص135.

2) ديوان كعب، ص63.

3) ديوان لبيد، ص193. الأغر: جبل أبيض، ينظر إليه وكأنه مجصص كالحمامة البيضاء.

4) ديوان لبيد، ص266. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص207.

5) ديوان لبيد، ص137-136. النعاف: السفوح. الأجاول: اسم موضع. أجماد: جمع جمد وهو المكان الصلب. رقد: اسم جبل. ثادق: اسم ماء لبني فقعس. الأعابل: اسم موضع. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص185، ص 266.

6) ديوان كعب، ص70. يقرو: يتبع. الجدائد: اللواتي لا لبن لهن. النور: النوافر. انظر: المصدر نفسه، ص73، ص146، ص151.

7) ديوان الشماخ، ص55. أَريكٍ: جبل في بلاد ذبيان. أُبلى: جبال على طريق المدينة من مكة.

ارتبط ذكر الجبال في أحاديث الشعراء المخضرمين عن السيول، فقوّة هذه السيول كانت تحطّ الوحوش من قمم الجبال، وتسقط الشجر من قللها، وتنزل العصم من كل جانب من جوانبها، وهذا ما دفعهم إلى تصوير تلك المشاهد في أشعارهم. قال لبيد يصف سيلاً:

وحطَّ وُحُوشَ صاحَةَ من ذُراهــا كأنَّ وُعُولَها رُمْكُ الجِمـــــــــالِ
على الأعـــــراضِ أيْمَنُ جانِبَيْه وأيْسَرُهُ على كُورَيْ أُثَـــــــــالِ
أقــــــــولُ، وصَوْبُهُ مِنِّي بعيدٌ يَحُطُّ الشَّثَّ من قُلَلِ الجِبــــــالِ[1]

واتخذ الشعراء من الجبال أمكنةً للترقّب، لعلوّها وارتفاعها، وفي ذلك قال لبيد:

جلاهُ طلوعُ الشمسِ لمّــا هبطتُهُ وأشرَفتُ من قُضفانِهِ فوْقَ مَرْقَبِ[2]

وكان ارتقاء مثل هذه المراقب المرتفعة فخراً لصاحبه، قال كعب:

فلوِّحَ فيها زادَهُ وربــــــــأتُهُ على مَرْقَبٍ يَعْلُو الأحِزَّةَ قَــاهِرِ[3]

قال لبيد:

فَعَلَوْتُ مُرْتَقَبــاً عَلَى ذِي هَبْوَةٍ حَرِجٍ إِلَى أَعْلاَمِهِنَّ قَتَــــــامُهَا[4]

وجد الشعراء المخضرمون في الجبال صورةً من صور البقاء والخلود، فهي ثابتة لا تتغيّر، قال لبيد:

فَهَلْ نُبِّئتَ عَنْ أخَوَيْنِ دَامــــا على الأيّام إلاَّ ابْنَي شَمَـــــامِ[5]

وأشار لبيد إليها ممثّلاً على جبروت الموت، وسطوته على البشر، فالجبال الثابتة تشهد فناء أجيالٍ عديدة من البشر، وهي خالدة لا تتغيّر،في مواضع عديدة، منها:

عشتُ دهراً ولا يدومُ على الأيـ ـامِ إلاَّ يَرَمرَمٌ وتِعَـــــــــــارُ
وكُـــــــلافٌ وضلفعٌ وبضيعٌ والّذي فَوْقَ خُبَّةٍ، تِيمَـــــــارُ[6]

---

1) ديوان لبيد، ص166-167. صاحة: اسم جبل. رمك: سود. الأعراض: القرى. كوري: جانبي. أثال: اسم جبل. قلل: أعال انظر: المصدر نفسه، ص 35.
2) المصدر نفسه، ص48. القضفان: جبال صغار.
3) ديوان كعب، ص75.
4) ديوان لبيد، ص231. هبوة: الغبار. الحرج: الضيق. القتام: الغبار.
5) ديوان لبيد، ص259. ابنا شمام: رأسا جبل، يضرب المثل بطول صحبتهما.
6) ديوان لبيد، ص78. خبة: أرض، والباقي جبال.

ويؤكّد لبيد أنّه بشر يموت فهو ليس كالجبال الخالدة، وإنّما هو إنسان تصيبه الحوادث:

فلستُ بركنٍ منْ أَبانٍ وصاحةٍ   وَلا الخالداتِ مِنْ سُوَاجٍ وغُرَّبِ[1]

وفي بعض الصور أشار لبيد إلى قدرة الله، وكيف سوّى الأرض وثبّت جوانبها بتلك الجبال، قائلاً:

وَالأرْضَ تَحْتَهُمُ مِهَاداً راسِيـاً   ثبَتَتْ خَـــــــوالِقُها بصُمِّ الجَندَلِ

لو كان شيءٌ خـــالداً لتواءَلَتْ   عصْماءُ مُؤلِفَةٌ ضواحيَ مـأسَلِ[2]

وفي صورةٍ أخرى، نجد كعباً يمدح أصحاب الرسول –صلّى الله عليه وسلم-، ويصف عقولهم بأنّها تزن الجبال قائلاً:

تزنُ الجبالَ رَزانةً أحـــلامهم   وأكُفُّهمْ خَلَفٌ من الأمطــــارِ[3]

1) ديوان لبيد، ص43. صاحة: هضبة. سواج، غرب، أبان: جبال.

2) المصدر نفسه، ص170. الخوالق: الجبال الملس.

3) ديوان كعب، ص58. الخلف: السقي.

الوديان

احتلّت الأودية مكانة مهمّة عند العرب، وهي تعدّ من أهمّ الأماكن الجغرافية البيئية؛ إذ تتوافر فيها مياه الأمطار التي تشكّل الجداول والسيول التي تمرّ من وسطها، وتلتقي مع الأنهار، وتصبّ بعد ذلك في البحار. ولذلك كانت الوديان أرضاً خصبةً تتوافر فيها المياه، فيكثُر النبت، ممّا جعل القبائل العربية تقيم عندها بيوتها وخيامها ومرابعها، فكثُر ذكرها في أخبار العرب وأيّامهم، وشغلت أحاديث شعرائهم.

جاء ذكر الوديان في كثير من شعر الدراسة مقترناً بذكر الأحبّة، والاشتياق إلى ديارهم، قال لبيد:

دَرَسَ المَنَـــــا بمُتَالِعٍ فأبَـــــانِ ... وتقادمتْ بالحبسِ فالسوبَـــــانِ [1]

وقال الشماخ يصف خلوّ الوديان من محبوبته سُليمى وأهلها:

عَفا بَطنُ قَوٍّ مِن سُلَيمى فَعـــــالِزُ ... فَذاتُ الغَضا فَالمُشرِفاتُ النَواشِزُ [2]

وكقول لبيد يتذكّر الديار بعد خلوّ أهلها منها:

فالواديـــــــــانِ فكلُّ مَغْنًى مِنْهُمُ ... وعلى المِيَاهِ مَحَاضِرٌ وَخِيـــــــامُ

عَهدي بها الإنسَ الجميعَ ، وفيهمُ ... قَبْلَ التَّفَرُّقِ مَيْسِرٌ وَنِـــــــــدَامُ [3]

اقترن ذكر الأودية بوفرة المياه والخصب، فيصف لبيد الأرض الجرداء، وقد أخصبت بعد أن سقتها مياه الأمطار التي نزلت على الأودية، يقول:

فقُلْتُ صَـــابَ الأعْـــراضَ رَيِّقُهُ ... يَسْقي بـــــــلاداً قَد أمْحَلَتْ حِقَبَا [4]

---

1) ديوان لبيد، ص266. المنا: منزل. متالع: موضع. الحبس: موضع. السوبان: واد.

2) ديوان الشماخ، ص63. بطن قو: وادي على طريق المدينة من البصرة. المشرفات: الأماكن المرتفعة. النواشز: التي ترتفع عن غيرها.

3) ديوان لبيد، ص198. انظر: المصدر نفسه، ص201.

4) ديوان لبيد، ص36. انظر: المصدر نفسه ، ص36، ص202.

وذكر شعراء الدراسة أسماء وديان عديدة أثناء حديثهم عن النعام والحيوانات الوحشيّة، التي كانت تتخذ من تلك الأودية مرعىً لها، وقد ذكر كعب وادي الجبا في وصفه لحمار الوحش قائلاً:

كأنِّي كَسَوْتُ الرَّحْلَ جَوْناً رَبَاعِياً　　　تَضَمَّنَه وادِي الجَبَـا والصَّرَائمُ(1)

وذكر الشماخ وادي طوالة الذي كان مرعىً للأتن الوحشيّة في قوله:

تذكّرنَ مِن وادي طُوالةَ مشربـاً　　　رَوِيّاً وقد قلّت مياه المحـاجر(2)

كما وصف لبيد ورود الإبل إلى مياه الأودية، قائلاً:

تَظَلُّ رَواياهَمُ تبرضْنَ منعِجـاً　　　ولوْ وردتْهُ وهوَ ريّانُ سـائلُ(3)

ووصف لبيد كذلك ورود النعام إلى ماء وادي السليل قائلاً:

ظلّتْ تتبَّع مِن نهاءِ صعـائدٍ　　　بينَ السَّليل ومدفَع السُّـلاَّنِ(4)

وأشار لبيد في شعره إلى وادي الغبيط، الذي عبرت خلاله مواكب النعمان وقوافله التجارية في قوله:

غداةَ غَدَوْا مِنْهـا وآزرَ سرْبَهُمْ　　　مَواكِبُ تُحْدى بالغَبيطِ وجامِلُ(5)

أمّا الوديان السحيقة فكانت تثير الرهبة في نفوس الشعراء، فنسجوا حولها القصص والأساطير، وخاصة قصص الجنّ والقوى الغيبية، قال لبيد:

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بِالذُّحُولِ كَـأَنَّهَا　　　جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيَاً أَقْدَامُـهَا(6)

---

1) ديوان كعب، ص141. الجون: حمار أسود. الجبا: واد معروف. الصريم: الرمل المنقطع عن معظم الرمل.

2) ديوان الشماخ، ص61. المحاجر: مواضع فيها رعي كثير وماء. انظر: المصدر نفسه، ص64.

3) ديوان لبيد، ص148. الروايا : الإبل. منعج: اسم وادٍ.

4) المصدر نفسه، ص274.

5) ديوان لبيد، ص147. الجامل: جماعة الجمال.

6) المصدر نفسه، ص234. غلب: غلاظ الأعناق. تشذّر: يوعد بعضها بعضاً. الذحول: الأحقاد. البديّ: موضع. رواسياً: ثوابتاً.

الكثبان الرملية:

الكثبان الرملية أشكال عرفها الشعراء فارتسمت صورها في أذهانهم، وحددوا أبعادها هندسيًّا، "فكان ما استطال منها حبلًا، وما اعوجّ حقفًا، وما استدار دعصًا، وما كان بين التقطّع والاتصال منها فهو سقط، وما احدودب كثيبًا ونقًا. وبقيت هذه الأشكال واضحة يستمدّ منها الشاعر صوره، ويعقد بينها وبين ما يريد الحديث عنه تشبيهاته.[1]

وجد الشعراء المخضرمون في أسنمة الرمال المتناثرة أمكنة يذكرونها في أشعارهم، ويقفون عندها في أحاديثهم وحكاياتهم. ونجد كلاًّ من الشمّاخ ولبيد يذكر "رملة عالج" في شعره، فقال الشماخ يشبّه يميناً حلفها بالصاعقة التي تُهيل الكثبان الرملية وتفرّقها في كلّ مكان :

بِصاعِقَةٍ لَو صادَفَت رَملَ عالِجٍ   وَرَملَ الغَنا يَوماً لَهالَت رِمــالَها[2]

وذكر لبيد رملة عالج في قوله:

جاوزنَ فلجاً فالـــــــحَزْنَ يُذْلِ   جـنَ بالليلِ ومِنْ رَملِ عالجٍ كُثُبَا[3]

تعرّض شعراء الدراسة لذكر الرمل في حديثهم عن الثيران الوحشية والبقر الوحشيّ، وغيرها من الحيوانات التي كانت تتعرّض لهجمات الصيادين، فتتخذ الرمال أمكنة للاختفاء؛ لشدّة هذه الرمال وصلابتها وصلاحها للبقاء. وفي ذلك وصف لبيد بقرةً وحشيّة قائلًا:

بَاَتتْ وَأَسْبَلَ وَاكِــفٌ من دِيمَةٍ   يُرْوِي الْخَمَائِلَ دَائِمَاً تَسْجَامُهـــا
تَجْتَافُ أَصْلاً قَـــــالِصَاً مُتَنَبِّذَاً   بعُجُوبِ أَنْقَاءٍ يَمِيلُ هُيَامُـهَــــا[4]

وتحدّث لبيد عن ثور الوحش قائلًا:

يَزَعُ الهَيَـامُ عن الثَّرى ، وَيَمُدُّهُ   بطْحٌ تهايُلُهُ على الـــــــكُثْبانِ[5]

---

1) انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص27-28.
2) ديوان الشماخ، ص104.
3) ديوان لبيد، ص31.
4) ديوان لبيد، ص219. الخميلة: الرملة التي قد غطاها النبت كأنه أخملها. قالص: مرتفع الفروع. متنبذاً: متفرقاً. أنقاء: جمع نقاء، وهو الكثيب من الرمل. هيام: ما تناثر من الرمل.
5) المصدر نفسه، ص271. يزع: يحبس. الهيام: الرمل السائل الذي لا يتماسك.

كما يتّخذ النعام من الكثيب الرمليّ مكاناً يحفظ به بيضه، وأشار لبيد إلى هذا في قوله:

بِكَثيبِ رابيةٍ قليلٍ وَطْـــؤهُ يعتادُ بَيْتَ مُوَضَّعٍ مــرْكُومِ[1]

كما ورد في شعر الدراسة حديثٌ عن الرمال بأشكالها كالصرائم[2] والدكادك [3] والشقائق[4]، وغيرها.

الدارات والبُرق والحرّات

- الدارات

هي الأماكن التي تنزل فيها القبيلة، وقد عرفت بكونها"كل جوبة بين جبال في حزن أو سهل أو رمل مستدير في وسطه فجوة، وهي أرض سهلة لينة بيضاء في أكثر الأحيان، وتنبت فيها الأعشاب والنباتات الصحراوية". [5]

ومن أشهر دارات العرب دارة جُلجُل التي وردت في شعر امرئ القيس[6]، ودارة صُلصُل التي وردت في شعر جرير[7]، ودارة خَنْزَر التي ذكرها الشاعر الجعدي[8]، ودارة مِحصَن التي ذكرها دريد بن الصمة [9]، وغيرها العديد من الدارات. وورد ذكر الدارات في شعر كعب، وذلك خلال حديثه عن حمار الوحش:

عامداً للقنان ينضو رياضاً وطِرَاداً من الذِّنابِ ودُورَا[10]

---

1) ديوان لبيد، ص247.
2) الصريمة: قطعة من الرمل. انظر: ديوان كعب، ص141. ديوان لبيد، ص89.
3) دكادك: رملة متوضعة، ليست مرتفعة. واحدها دكداك، ويقال: دكدك. انظر: ديوان لبيد، ص197.
4) الشقيقة هي الرملة المستطيلة، ولا يقال لها شقيقة حتى يكون فيها نبت. انظر: ديوان لبيد، ص182.
5) انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص34.
6) انظر: الكندي، امرؤ القيس، **الديوان**، دار بيروت ودار صادر للطباعة، بيروت، 1985، ص32.
ألا رب يوم لك منهن صالح ... ولا سيما يوم بدارة جَلجل.
7) انظر: جرير، **شرح الديوان**، (ط1)، (شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، ص209.
ولما حل أهلك يا سليمى ... بدارة صلصل شحطوا المزارا
8) انظر: الجعدي، النابغة، **الديوان**، (ط1)، (شرحه د. واضح الصمد)، دار صادر للطباعة، بيروت، 1998، ص96.
ألمَّ خيال من أميمة موهنا ... طروقًا وأصحابي بدارة خنزر.
9) ابن الصمّة، دريد الجشميّ، **الديوان**، (تحقيق محمد خير البقاعي)، دار قتيبة، 1981، ص44.
ودارة محصن من ذي طلوح ... فسرداح المثامن فالضواحي.
10) ديوان كعب، ص73. ينضو رياضا: يجوزها. الطراد: مياه لم يدر واحدها. الذناب: موضع. دُورَا: من دارات الرمل.

- البُرَق

البُرَق "هي الأرض الغليظة المختلطة بحجارة ورمل، فإذا اتسعت البرقة فهي الأبرق".[1] ويظهر أنّ المقام فيها كان يطيب للعرب لما تحوي من عناصر النبات. وبرق ديار العرب كثيرة، ذُكر بعضها في شعر الجاهليين وغيرهم، كبرقة ثهمد التي وردت في شعر طرفة بن العبد [2]، وغيرها.

وذكر الشعراء المخضرمون البرق في وصفهم للأطلال وذِكر الديار. قال لبيد:

فكأنَّ مَعْرُوفَ الدِّيارِ بِقَـــــادِمٍ   فبراقِ غَوْلٍ فالرِّجَامِ وشـــــــومُ[3]

وقال كعب:

أمن نوارَ عرفتَ المنزلَ الخلقــا   إذ لا تفارقُ بطنَ الجوِّ فالبرقـــــا[4]

وكقول الشمّاخ:

لِيَبكِ عَلى المَيلاءِ مَن كانَ باكِياً   إِذا خَرَجَت مِن رَحرَحان خُدورُها[5]

كما جاء ذكر البُرق من خلال أحاديث شعراء الدراسة عن الحوادث التي اقترنت بها، فذكر لبيد برقة رحرحان مفاخراً في قوله:

جهدوا العداوةَ كلَّها فـــأصدَّها   عنَي مَنَاكِبُ ، عِزُّها معلُـــــــــومُ
منها حُوَيٌّ والـــــذُّهابُ وَقَبْلَهُ   يوْمٌ بِبُرْقَة رَحْرَحَانَ كريـــــــــمُ[6]

---

1) انظر: لسان العرب ابن منظور. **لسان العرب**، مادة(برق).مجلد10، بيروت: دار صادر،ص16.
2) انظر: طرفة بن العبد، **الديوان**، دار بيروت ودار صادر للطباعة، بيروت، 1961، ص19.
لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
3) ديوان لبيد، ص180.
4) ديوان كعب، ص105.
5) ديوان الشماخ، ص57. انظر: المصدر نفسه، ص50.
6) ديوان لبيد، ص190. أصدها: ردها. مناكب: جماعات.

كما أشاروا إلى بعض البُرق خلال أحاديثم عن الحيوانات في شعرهم. ورد ذكر برقة الربيع في حديث لبيد عن زوج النعام وعنايتهما ببيضهما، يقول:

طالتْ إقـــــــــامته وغيَّرَ عهدَهُ   رِهَمُ الرَّبيع بِبُرْقَـــةِ الكَبَوَانِ[1]

كما ذكر لبيد برقة واحف في حديثه عن ثور الوحش:

كأخْنَسَ نَاشِطٍ جــــــــادَتْ عليَهِ   ببُرقَةِ وَاحِفٍ إحَـدى اللّيالي[2]

- الحرّات

تكوِّن الحرّات مظهرًا مهمّاً من المظاهر الطبيعية، وهي أرض ذات حجارة سود، نخرة كأنها أحرقت بالنّار".[3] وقد ذكر الشماخ حرّة ليلى في ذكر أطلال محبوبته، يقول:

فَإِن حَلَّتِ المَيلاءُ عُسفانَ أَو دَنَتْ   لحَرَّةِ لَيلى أَو لِبَدرٍ مَصيرُها[4]

---

1) ديوان لبيد، ص275. الكبوان: واد.
2) المصدر نفسه، ص154. الأخنس: الثور. ناشط: يخرج من بلد إلى بلد. واحف: مكان.
3) انظر: **المنجدالأبجدي**، (ط3)،1986، بيروت: دار المشرق،ص359.، "مادة حرة".
4) ديوان الشماخ، ص57.

الرياض

اقترن ذكر بعض الرياض، بحديث الشعراء عن محبوباتهم وأماكن إقامتهن، قال كعب في وصف محبوبته:

وتـــرنـــو بعيني نعجةٍ أمِّ فـــرقدٍ   تظلُّ بوادي روضةٍ وخمـائلِ(1)

كما تغزّل كعب بحبيبته واصفاً جمالها، وطيب رائحتها التي تفوح منها كرائحة الزهور الجميلة في الرياض قائلا:

ما روضةٌ من رِيَاضِ الحَزْنِ بَاكَرَها   بالنبتِ مختلفُ الألوانِ ممطـورُ

يوماً بأطيبَ منهـــــا نَشْرَ رائحة   بعد المنـامِ إذا حُبَّ المَعَاطِيرُ(2)

وأشار بعض شعراء الدراسة إلى الرياض أثناء حديثهم عن حمار الوحش، ورعيه في تلك الرياض المعشبة. قال لبيد يصف حمار الوحش:

يَلْمُـجُ البـارِضَ لَمْجـــاً فـي الـنَّـدَى   مِـنْ مَـرابـيـعِ رِياضٍ ورِجَـلْ(3)

وقال كعب في وصف حمار الوحش:

عامداً للقنان ينضو رياضـــــــــاً   وطِرَاداً من الذِّنـــابِ ودُورَا(4)

---

1) ديوان كعب، ص125. خمائل: البقعة التي نجم شجرها ونباتها. انظر: المصدر نفسه، ص63.

2) المصدر نفسه، ص78. النشر: الرائحة الطيبة. الحزن: اسم موضع. المعاطير: جمع مِعطار، وهو من يتعهّد نفسه بالطيب ويكثر منه.

3) ديوان لبيد، ص190.

4) ديوان كعب، ص73.

الفصـــــــل الثاني

الطبيعة الصائتة

- الإبل.
- الخيل.
- الثور والبقرة الوحشيّان.
- الحمر الوحشية.
- الظباء والوعول .
- النعام.
- الذئاب والكلاب.
- الأسد.
- الزواحف(الأفعى، الحرباء،.....).
- الحشرات(النحل، الذباب، الجراد، الجنادب،....).
- الطيور.

الإبل

استمدّ الشعراء من الناقة موضوعاً لصورهم، منذُ العصر الجاهلي إلى العصور التي تلته، واستأثرت الناقة بحبّهم[1]، لأنها الحيوان المناسب للحياة في الصحراء؛ لتحمّلها وعورتها، ومقاومتها ظروفها. وهي قلب الصحراء النابض، وملهمة الصبر للإنسان البدوي في الصحراء الموحشة، يتحقق في هيئة خلقها بديع خالقها وصانعها، مما يجعلها مدعاة للتفكر والتأمّل في خلق الله تبارك وتعالى. يقول سبحانه: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت"[2].

وعُدّت الناقة من أساسيات الحياة في العصر الجاهلي، فهي التي رافقت الأعراب وشاطرتهم حياتهم في البوادي، وحملت أثقالهم، وكانت طعامهم إذا جاعوا، ومن وبرها صنعوا خيامهم.

الإبل حيوانات قنوعة ترضى بالقليل، وتصبر على العطش والجوع، فإذا اخضرّت الأرض، وجدت طعامها ولا تكلف مالكها شيئاً، وإن أجدبت، قنعت بالتهام اليابس، وإذا بَعُدَ الماء صبرت على العطش " فلم تكن الناقة مجرّد حيوان في العصر الجاهلي، فقد احتلّت مكانة عظيمة عند العرب بلغت حدّ التقديس"[3]. وقد تردد ذكرها في شعر العصرين، حتى لا تكاد تخلو قصيدة من ذكرها، "ولم يكن حديثهم عنها مثقلاً أو مملاً، وإن طالت الأبيات وكثرت الأوصاف، وتعددت التشبيهات والصور".[4]

ولا عجب أن تشغل الناقة المكانة الكبيرة عند الشعراء المخضرمين، فتستأثر بعنايتهم، وتشغل جزءاً كبيراً من شعرهم، واشتهر العرب بكرمهم، فكانوا يبذلون لضيفهم أغلى ما يملكون، إذ الناقة كانت قرى ضيفانهم، وقد كان لبيد يخفي إبلاً موسومة؛ لينحرها لضيوفه. وذلك قوله:

دَرَى باليساري جَنَّةً عبقريَّة　　　　مُسَطَّعَةَ الأعنَاقِ بُلْقَ القَوَادِمِ[5]

وقد يقدمون له الناقة الكوماء العشار[6]، وهم بذلك يقدمون الأم وولدها. قال كعب في مدح الأنصار:

---

1) انظر: حاوي، إيليا(1980)، **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي**،(ط2)، بيروت: دار الكتاب اللبناني. ص 35-41.
2) سورة الغاشية: 17
3) أبو سويلم، أنور عليان، 1983، **الإبل في الشعر الجاهلي** ، (ط1)، عمّان: دار العلم للنشر.
4) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص97-106.
5) ديوان لبيد، ص260. درى: ختل. اليسارى/السبارى: اسم موضع. جنة: إبل. عبقرية: منسوبة إلى عبقر. مسطّعة: موسومة. بلق القوادم: في أرجلها بياض.
6) الناقة الكوماء العشار: أي الناقة عظيمة السنام، التي مضى على حملها عشرة أشهر.

والمُطعمونَ الضيفَ حينَ ينُوبُهم   من لحمِ كُومٍ كالهِضابِ عِشارِ[1]

وذكروا قلاص الثلج، وهي الإبل الفتية التي كانت تنحر عند سقوط الثلج، وكانوا يطعمون الناس حين يشتد البرد، وهذا العمل يعود على أصحابه بالفضل والمعروف مرة بعد مرة. قال لبيد:

ذعرتُ قلاصَ الثلجِ تحتَ ظلالهِ   بمَثْنَى الأيـادي والمنيحِ المُعَقَّبِ[2]

وكانوا لشدة كرمهم يذبحون للضيف أفضل إبلهم، ما كانت مكتنزة اللحم، عظيمة الجسم، ولا يقدمون الإبل الضعيفة أو المسنّة. قال لبيد:

إذا مـــــا دَرُّهَا لـم يَقْرِ ضيفـاً   ضَمِنَّ لهُ قِراهُ من الشُّحـــــومِ

فلا نتجاوزُ العَطِلاتِ منهـــــا   إلى البَكْرِ المُقارِبِ والكَـــزُومِ

ولكنّا نُعِضُّ الـــسيفَ منهـــــا   بأسْوُقِ عافياتِ اللحمِ كـــومِ[3]

ومما زاد من اهتمام العرب بالإبل، ما كانت تقدّمه من فوائد، وما كانوا ينتفعون بها في شؤون حياتهم المختلفة، ومنها استخدامهم لها لحمل المتاع والماء. [4]

وكذلك احتلّت الناقة مكانة عظيمة عند الشعراء المخضرمين، فهي ملاذهم إذا ألمّهم الهمّ، وهي وسيلة تسليتهم، فتروّح عنهم الهموم وتنسيهم أحزانهم بالسفر عليها، وقد تردد هذا المعنى في معارض مختلفة من شعر الشماخ ولبيد وكعب.

فهذا الشماخ يسلّي نفسه بامتطاء ناقة نشيطة، ففؤاده يأبى أن يسلو ذكرى حبيبته، مع بخلها بالوصل عليه، مما أهمّه وأضجره، فيقول:

هَل تُسلِيَنَّكَ عَنها اليَومَ إِذ شَحَطَت   عَيرانَةٌ ذاتُ إِرقالٍ وَإِعناقِ[5]

وكـانت ناقته وسيلةً لتسرية همومــه أيضــاً حين ثقل عليه دينه، ومنعه أخـوه الـعون، ورأى أن الأمر

---

1) ديوان كعب، ص59.

2) ديوان لبيد، ص 52.   القلاص: الفتاء من الإبل. قلاص الثلج: التي تنحر عند سقوط الثلج. ذعرتها: أطعمت فيها حتى دفئ الناس. مثنى الأيادي: يعود على أصحابه بالفضل والمعروف مرة بعد مرّة.

3) المصدر نفسه، ص253-254. انظر أيضاً: الديوان ، ص74، ص263   العَطِلاتِ: طوال الأعناق. المقارب: الدنيء. الكزوم: الناقة المسنة الهرمة

4) انظر: ديوان كعب، ص55 . و انظر أيضاً: المصدر نفسه ، ص 132.

5) ديوان الشماخ، ص91. عيرانة: الناقة النجيبة النشيطة. الإرقال، الإعناق: ضرب من السير.

ميؤوس منه[1]. ويرى الشماخ في مواضع مختلفة من شعره أن الترحال على ناقة شديدة سريعة، أمر يزيل هموم النفس[2]. أمّا كعب، "فكان يعمد دائماً إلى جعل ناقته وسيلةً للهروب من الهموم، أو من ذكرى المحبوبة والديار وماتثيره في نفسه من أحزان" [3]، إلّا في موضعين من شعره اتخذ فيهما الناقة وسيلة تبلّغه ديار محبوبته البعيدة، الأول في قصيدته المشهورة "بانت سعاد"[4]، والثاني في قوله:

حلّتْ نوارُ بأرضٍ لا يبلغُهـــا إلا صموت السُّرى لا تُسأمُ العَنَقا[5]

وفي قصائد أخرى، نجد كعباً يتخذ من ناقته وسيلة لتسلية نفسه، والابتعاد عن محبوبته التي لا يستطيع رؤيتها، أو وصلها[6]. وكذلك نجد لبيداً يترك ذكر أطلال الأحبة، ويروّح عن نفسه بركوب ناقة ضخمة قوية، قائلاً:

فصددْتُ عنْ أطلالِهنَّ بجسرةٍ عَيْرَانَةٍ كالـــعَقْرِ ذِي البُنْيــانِ[7]

وفي مواضع أخرى، نراه يحتاج إلى ناقته القوية الضامرة للوصول إلى ديار المحبوبة:

هَلْ يُبْلِغَنِّي دِيارَها حَـــــرَجٌ وَجْناءُ تَفْري النَّجَــاءَ والخَبَبَــا[8]

ومن الملاحظ أن الشعراء جميعاً متشابهون في وصف نوقهم، من حيث الضخامة، واكتناز اللحم، والقوة، والسرعة في الجري، والقدرة على احتمال الأسفار، واجتياز المسافات الطويلة إبّان اشتداد القيظ، كما أنهم متشابهون في صفة جميع أجزاء جسمها.[9]

وبعض الشعراء لم يتوقف عند ما تم ذكره عن الناقة، بل ذهب الى وصف أعضائها وأجزاء جسمها بدقة بالغة. فقد وصف الشماخ النـــاقة "وصفاً حسياً في غـالبيته، فصور شكلهــا وجسمهــا،

---

1) انظر: المصدر نفسه، ص48.
2) انظر: المصدر نفسه، ص60، ص77 ، ص 102 ، ص 113.
3) محمد، السيد إبراهيم،1986، **قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي**، بيروت: المكتب الإسلامي. ص58.
4) انظر: ديوان كعب، ص111.
5) ديوان كعب، ص106. صموت السُّرى: ناقة لا ترغو ولا تضعف عند السرى. العنق : سير فيه سرعة.
6) انظر: ديوان كعب : ص95 ، ص 131 .، ص 136 ص151،150
7) ديوان لبيد ص268. جسرة: ضخمة. العقر: القصر.
8) المصدر نفسه، ص31. حرج: ضامرة . وجناء: عظيمة الوجنتين. أو كثيرة اللحم. تفري النجاء: تمضي مضيا شديداً.
9) انظر: **الشماخ بن ضرار الذبياني: حياته وشعره**، ص 182-194 .

ورأسها، وعنقها، وسنامها، وذراعيها،وذنبها...وأسنانها، ولونها".[1]

اختار الشماخ ناقة تتصف بصفات معينة كي توصله إلى غايته، فهي ناقة تفضل غيرها من النوق في حسن خلقتها، وكذلك في قوتها وضخامتها، وقال: إنها (غلباء)، و(ركباء)، مستوية الجنبين، و(علكوم)[2]، ذات عنق طويل مائل، ومنكب سمين وكاهل متين، عيناها براقتان، وأذناها بيضاوان كريمتان. واسترسل واصفاً اياها بالكثير من كريم الصفات .ومما قال:

وَقَد تُلاقي بِيَ الـــحاجاتِ دَوسَرَةٌ	في خَلقِها عَن بَناتِ الـفَحلِ تَفضيلُ
غَلباءُ رَكبـــــــاءُ عُلكومٌ مُذَكَّرَةٌ	لِدَفِّها صَفصَفٌ قُدّامُهــــــــــا ميلُ
تَرمي الغُيوبَ بِمِرآتَينِ مِن ذَهَبٍ	صَلتَينِ ضاحيهِما بِالشَمسِ مَصقولُ
وَحُرَّتَينِ هِجــانٍ لَيسَ بَينَهُمـــــا	إِذا هُما اشتَأَتــــــا لِلسَمعِ تَمهيلُ[3]

ويصف الشماخ في أبيات له أخفاف ناقته القوية تارةً[4]، وتارةً أخرى يصف ذنب بعيره السمين الغليظ مشبهاً إياه بعذوق النخل المرتبة فوق بعضها.[5]

كما يصف كعب ناقته معتدّاً بها وبنفسه، فهو يقطع عليها المفاوز والأماكن الموحشة النائية، التي يسكنها الجنّ، وهي ناقة صموت، لا ترغو من الضجر، كثيرة التلفت والانتباه واليقظة ، وعلى الرغم من شدة دأبها وكلالها، فهي لا تقلق نسوعها لاكتناز لحمها، ويتابع وصفها، فهي ناقة مرتفعة الظهر، ذات قوائم طوال، قوية شديدة، كريمة الأصل، تسير بخيلاء، وتعارض في سيرها الإبل الفتية من غير تكلف أو انخذال، لفضل كرامتها، وهي سريعة كالنعام المذعورالفارّ من الخطر.يقول:

مخوفٍ به الجنـــان ، تعوي ذئابه	قطعتُ بفتلاءِ الذِّراعين بـازلِ

---

1) ذياب، محمدعلي، 2003، **الصورة الفنية في شعر الشماخ**، عمّان: وزارة الثقافة. ص66**.** انظر ايضاً: ديوان الشماخ ص26 ، 27، 43 ، 110 .

2) غلباء: غليظة الرقبة. ركباء: عظيمة الركبة. علكوم: شديدة صلبة.

3) ديوان الشماخ ص95 ،96 . دوسرة: الناقة الشديدة الضخمة. وانظر وصف كعب لها في ديوانه: ص111-113، بانت سعاد... . انظر ايضا: ديوان كعب: ص 121، 122، 123 ، ص 141، 144 ، ص 150،151 صفصف: استواء وملاسة. صَلتَينِ: ملساوين الصلت : الصقيل. الحُرَّتَان: الأذنان. هجان: بيضاوان. اشتأى: استمع.

4) ديوان الشماخ ص50.

5) ديوان الشماخ ص87. انظر ايضا: ديوان كعب ص112.

صَمُوتِ السُّرَى خَرْساءَ فيها تَلَفُّتُ لنبأة ِ حقٍّ أو لتشبيهِ بـــــاطلِ
تظل نسوعُ الـرّحلِ بعد كلالهـــا لهنّ أطيطٌ بين جوْز وكـــاهلِ
رفيعِ المحـــالِ والضلوعِ نمتْ بهِ قوائمُ عُوجٌ ناشِزاتُ الخَصَائلِ
عُذَافِرَةٍ تَختَـــالُ بالـــرَّحْلِ حُرَّة تباري قلاصا كالنعام الجوافلِ
بوَقْعٍ دِرَاكٍ غيرِ مــــــا مُتَكَلَّفٍ إذا هبَطَتْ وَعثاً ولا مُتَخَاذِلِ[1]

وقد أكثر الشعراء المخضرمون من نعت الناقة بالجماليّة، أي تشبيهها بالجمل في صفاته، من حيث القوة، والصلابة، والنشاط، والصبر، ومن أمثلة ذلك قول لبيد يصف قوة ناقته، ويجعلها كقوة الفحل، إذ هي عقيم لا تحبل، وهذا أقوى لها وأشد:

لو لا تُسلِّيكَ اللبَانَةَ حـــــرَّةٌ حَـــرَجٌ كأحناءِ الغَبيطِ عَقيمُ
حرْفٌ أضرَّ بها السِّفَارُ كأنَّها بعد الكَلالِ مُسَدَّمٌ مَحْجُومُ[2]

كما يؤكّد الشماخ في غير موضع من شعره شبه ناقته بالجمل، فهي وثيقة الأعضاء، تشبه الجمل في خلقها وشدتها، وعِظَمها، وقوة احتمالها التي تفوق فيه غيرها من كرام الإبل. ومن قوله:

جُمالِيَّةٌ في عِطفِها صَيعَرِيَّةٌ إِذا البازِلُ الوَجناءُ أُردِفَ كورُها [3]

ومما سبق ذكره، نجد أن الشعراء الثلاثة التقوا على وصف الناقة باكتناز اللحم وعظمه، وبالصلابة والشدة، وبالقوة، وبالغلظة، وكانت عبارات (مقذوفة)، و(عيرانة)، و(عذافرة)، و(الحرف)، و(الوجناء)، و(غلباء)، و(مذكرة)، و(دوسرة)، و(جسرة)،و(علنداة) [4]... من أكثر الصفات التي دارت على ألسنهم.

---

1) ديوان كعب، ص128،127 . انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص 121-122. بفتلاءِ الذِّراعين: ذراعا ناقته مالا عن زورها. بازِل: الذي طلعت نابه من الإبل، و يكون في العام التاسع من عمره. نسوعُ الرّحلِ: الحبال، مفردها نسع: وهو سير من جلد عريض تشد به الرحال. أطيط: صرير. جوز: الوسط من كل شيء وَعث: كل لين الموطئ. لا متخاذل: أي السير الذي لا تخذلها فيه قوائمها.

2) ديوان لبيد، ص184. وانظر أيضاً: ديوان لبيد، ص 194، ص 248-250 . أحناءِ الغَبيط: خشب من جوانبه. مسدّم: المعدول عن طروقته. وطروقته: التي يضن بها. والمسدم: الفحل الهائج يحبس عن الضراب. محجوم: مشدود فمه بحجام.

3) ديوان الشماخ، ص 59. وانظر أيضاً الديولن ، ص 73. جمالية: لها صفات الجمال المذكرة القوية. صيعرية: القوة والنشاط. الكور: الرحل.

4) علنداة: الناقة الضخمة الطويلة. والمفردات المذكورة تم شرحها فيما سبق، من خلال شرح الأبيات.

وقد كان الشعراء المخضرمون كلفين بتصوير قوة الناقة وضخامتها، وسرعتها، وجلدها، وقوة تحمّلها، ومقاومتها ظروف الحياة القاسية، وقدرتها على اجتياز المفاوز الرهيبة. فيصف الشماخ ناقته الصبور، التي تنطلق في سيرها بصمت، وتمضي مسرعة طوال الليل، وتتابع السير نهاراً، وقت اشتداد الحرّ والقيظ. في قوله:

حَرفٌ صَموتُ السُرى إلّا تَلَفُّتِها — باللَيلِ في سَأَدٍ مِنها وَإِطـــــراقِ
جُلذِيَّةٌ بِقُتـودِ الـــرَحلِ نـــاجِيَةٌ — إذا النُجـــــومُ تَدَلَّت عِندَ تَخفـاقِ
وَإِن رَمَيتَ بِها في طامِسٍ دَأَبَت — إذا تَرَقرَقَ آلٌ بَعدَ رَقــــــراقِ[1]

وكذلك كعب، حين يصف ناقته السريعة النشيطة القوية، التي لا ترغو عند السفر ولا تكلُّ إذا كلّ غيرها، وهي التي ستبلغه ديار نوار البعيدة:

حلّتْ نوار بارضٍ لا يبلغهـــــا — إلا صموتُ السُّرى لا تسأم العَنَقا
خطّارةٌ بعد غِبِّ الجهد نـــاجيةٌ — لا تشتكي لِلحفا من خُفِّهــا رقَقا[2]

وعلى الرغم من أنّ شعراء الدراسة قد وصفوا الناقة بقوّة التحمّل، وبالنشاط وبالسرعة الزائدة، إلّا أنّ الصحراء المرعبة، وطول السرى والإدلاج قد بدا واضحاً في أجسام الإبل وعيونها وأخفافها. فيصف الشماخ ناقته وقد أصاب القرح أخفافها من شدة الحر، وطول السرى على الأرض المعزاء، كما لا تبقي سرعة السير لها جنيناً في أحشائها، فتقذف بأجنتها قبل كمالها[3]، ويصف ناقته في موضع آخر، دامية تشتكي من كلومها[4]:

والعيس دامية المنــــاسم ضُمّرٌ — يقذفن بالأسلاء تحت الأركب

وقال الشماخ يصف الإبل التي غـــارت عيونهـــا من شدّة التعب والـــحرّ، وقد نضحت عرقاً في حرّ

---

1) ديوان الشماخ، 91- 92 .انظر: ديوانه، ص 58-59. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص 252. سأد: إمعان في السير. جلذية: قوية صلبة. قتود: خشب الرحل. تخفاق: الانحدار بالغياب. طامس: القفر الذي يصعب اجتيازه.

2) ديوان كعب، ص 106 . انظر أيضاً: الديوان ص62 ، ص 79، ص 91 ، ص 95 ، ص 111 ، ص 121 ، ص 131. العنق: سير فيه سرعة. خطارة: التي تخطر بذنبها في السير، وتضرب به يميناً وشمالاً من النشاط. الرقق: ان ينهك الخف فيحفى لكثرة السير.

3) انظر: ديوان الشماخ ، ص 27 -29.

4) ديوان الشماخ، ص113. العيس: الابل البيض. الأسلاء: جمع سلى، وهي الجلدة الرقيقة من البطن. الأركب: الركب، جمع ركبة.

الهاجرة:

خوص العيون تبارى في أزمّتها　　　　إذا تفصّدن في حرّ الصياخيد[1]

وكذلك قول لبيد، يصف ناقته التي أتعبها السير، وجشّمها قطع الطرق الصعبة، فعادت هزيلة ضامرة:

فَكَلَّفْتُها وَهْمــاً فآبَتْ رَكِيَّــــــة　　　　طليحاً كألْواحِ الغَبيطِ المُذَأَّبِ[2]

وبعض الشعراء المخضرمين كان في وصفه للناقة يمتزج بها، ويشعر بشعورها، ويضفي عليها صفات العقلاء، فيناجيها وينصت إلى نجواها، ويستمع إلى شكواها. وفي وصف ضجر الناقة وتذمّرها، وكيف تشكو إلى صاحبها ما تعاني من الجهد والتعب، بالتلمظ والصريف، يقول كعب:

فإذا رفَعتُ لها اليَمينَ تَزَوارَتْ　　　　عن فرج عــوجٍ بينهنَّ خليفُ

وتكون شكواها إذا هي أنجدتْ　　　　بعد الكَلاَلِ تَلَمُّكٌ وصَرِيفُ[3]

كما وصف الشعراء المخضرمون الناقة بهذه الصفات الدالة على الصلابة، وصفوها بالسرعة كذلك، وبكل الصفات الدالة عليها، فقالوا: (ناجية)، و(ذعلبة)، و(مذعورة)، و(خطارة) ، و(أمون)، و(هلواع)....وكلّها صفات تدور حول السرعة وضروب السير. [4]

ونجد الشماخ يصف ناقته النشيطة، وكأنّ تحت جنيبها هرّاً، أو ابن آوى ينشب مخالبه بها، فيثيرها مسرعة، يقول:

كَأَنَّ اِبنَ آوى موثَقٌ تَحتَ غَرضِها　　　　إِذا هُوَ لَم يَكلِم بِنابَيهِ ظَفَّــــــرا[5]

ويصفها في موضع آخر، ناقة قوية يحتاج راكباها إلى تسكينها بالإبساس والقرقرة، خشية أن تلقي بهما على الأرض. أمّا كعب، فيصف سرعة ناقته وقوتها قائلاً:

---

1) المصدر نفسه، ص43 . انظر: ص51 . انظر أيضاً: ديوان كعب، ص 160. خوص العيون: غائرات العيون. تفصدن: نضحن بالعرق. الصياخيد: جمع صيخود، وهو هاجرة النهار الحارة.

2) ديوان لبيد، ص 53. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص135-136 . الوهم:الطريق الضخم. ركيّة: مهزولة. طليح: ضامر. الغبيط: الذي يوضع على ظهر البعير. المذأب: له ذئبة،فرجة تكون في مقدّمه.

3) ديوان كعب، ص 96 . انظر أيضا: الديوان ص 62. تزاورت: تمايلت بصدرها. عوج: طوال. أنجدت: علت نجدا، اي مرتفعا. تلمّك: تلمّظ، وهو أن تمرّ بعض أنيابها على بعض. الصريف: صوت أنيابها، وهو أشد من التلمظ.

4) أمون: التي يؤمن عثارها. هلواع: سريعة مذعانة. انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي. ص105. وانظر أيضاً: **الصورة الفنية في شعر الشماخ**، ص 66-68.

5) ديوان الشماخ، ص 50 . انظر أيضاً: الديوان: ص 52. الغرض: حزام الرحل. يكلم: يجرح. ظفّر: حدش بأظفاره.

فَطِـــــــرْتُ بِرَحْلي واسْتَبَدَّ بِمثْلِهِ　　　عَلَى ذَاتِ لَوْثٍ كَالبَلِيَّةِ ضامِرِ[1]

ولم يكتف الشعراء المخضرمون بهذه الأوصاف، فقد حاولوا أن يقابلوا بينها وبين الحيوانات الأخرى القوية السريعة، كالثور الوحشي، والحمار الوحشي، ليضفوا على نوقهم طابع الشدة، وصفة السرعة التي كانوا يسعون إلى توكيدها. فهذا الشماخ يصف ناقته، ويشبهها بحمار الوحش الفتيّ، الضخم الذي يتصف بالقوة والشدة. يقول:

كَأَنّي كَسَوتُ الرَحلَ جَوناً رَباعِياً　　　بِليتَيهِ مِن زَرِّ الحَميرِ كُلـــومُ

عُلَندى مِصَكّـــاً قَد أَضَرَّ بِعانَةٍ　　　لِما شَذَّ مِنها أَو عَصاهُ عَذومُ[2]

ونجد كعباً يشبّه ناقته بحمار الوحش قوّةً وسرعة، فيقول:

كأنّ الرَّحلَ منهـــا فوق جأْبٍ　　　يقلِّبُ آتنا خلجــــــاً حيالاَ[3]

وأمّا لبيد، فيشبّه ناقته بالثور الوحشي نشاطاً وسرعة، فيقول:

عُذافِرَةٌ تَقَمَّصُ بالـــــرُّدافَى　　　تخونهَا نزولي وارْتحَـــالي

كأخْنَسَ نَاشِطٍ جـــــادَتْ عليَهِ　　　ببُرقَةِ وَاحِفٍ إحَدى اللّيالــي[4]

وكذلك نجد لبيداً يصف ناقته، ويشبّهها في سرعتها وفزعها، بسرعة ظليم أفزعته ريح الشمال، يقول:

تَنْجُو نَجَــاءَ ظَلِيمِ الجَوِّ أفْزَعَـهُ　　　ريحُ الشَّمَالِ وشَفّانٌ لها دِرَرُ[5]

أمّا كعب، فيصف سرعة ناقته، مشبهاً إياها بطائر القطا، الذي أحس بازيّاً يطلبه، فتجنبه بالفرار مسرعاً: [6]

---

1) ديوان كعب، ص 76 انظر أيضاً: الديوان ص 62، 68، 79، 91، 106، 111،122-123، 128، 150-151. ذات لوث: شديدة. البليّة: الناقة التي تعقل على قبر صاحبها، ولا تعلف ولا تسقى حتى الموت.

2) ديوان الشماخ، ص 105. انظر أيضاً: الديوان ص59 الجون:الاسود من حمر الوحش. رباعياً: ألقى رباعيته، أي بلغ خمس سنين من عمره. الزر: العض. عُلَندى: الغليظ الضخم. المصك: القوي الشديد. العانة : القطيع من حمر الوحش. العذوم: العضوض.

3) ديوان كعب، ص131. انظر أيضا: ديوان لبيد: ص 194، ص250 . جأب: الغليظ من حمر الوحش. الأتن:جمع أتان،وهي الحمارة الوحشية. الخلوج: التي اختلج عنها ولدها بذبح أو بموت. حيال: جمع حائل، وهي التي حال عليها الحول ولم تحمل.

4) ديوان لبيد، ص 154. تقمّص: تنزو به. انظر أيضاً: ديوان كعب، ص68.

5) ديوان لبيد، ص87 . نتجو: تمر كمر الظليم. الجوّ من الأرض: مطمئنها. شفّان : الرياح الباردة. درر: درر من المطر.

6) ديوان كعب، ص 107. انظر أيضا: ديوان لبيد، ص223، 269. وانظر أيضا: ديوان الشماخ، ص60، 73. تنجو: تسرع. ذو العضاه: مكان. والعضاه : ما عظم من الشجر وله شوك.

تَنْجُو نَجاءَ قَطاةِ الجَوِّ أَفْزَعَهــا   بِذي العِضَاهِ أَحَسَّتْ بَازِياً طَرَقا

وبهذا، يكون الشعراء المخضرمون قد حرصوا على وصف نوقهم بالقوة والصلابة، وتشبيهها بالثور الوحشيّ أو الحمار الوحشيّ تارةً، أو بالظليم والقطا تارةً أخرى؛ لتوكيد سرعتها وبيان نشاطها.

الخيل

شُغف العربي بفرسه، فوجد فيه صديقاً حميماً ، يُنجده في الشدّة والرخاء، ولا يخفى ما للخيل في نفس العربيّ من مكانة رفيعة، حتّى إنّه لم تُعرف أمّة تجلّ الخيل وتعترف بفضلها مثل العرب، وعُدّت الخيل من أشرف الحيونات وأفضلها، وقد أحبّها العرب منذ القدم، وكانوا لا يأنفون من خدمتها، ورعايتها والاهتمام بها، إلى أن بلغ بهم أنهم " كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس ينتج."[(1)]، ففضّلوها وآثروها على أنفسهم، فقالوا عن العربيّ أنه "كان يبيت طاوياً ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وأهله وولده، فيسقيه المحض، ويشرب الماء القراح، ويأكل التمر، ويعلفه الشعير في الصيف، ويجلله بالأكسية التي تصونه، وتمنع عنه أذى الرياح في الشتاء".[(2)]

ولم تفقد الخيل أهميتها عندما أشرق نور الإسلام على ربوع الجزيرة العربية، بل كانت وسيلة مهمة للمسلمين في قتال الكفار والمشركين، وانتشار الإسلام في أرجاء المعمورة، فأوجب الله سبحانه تهيئتها عند الاستعداد للمواجهة والقتال، يقول تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ...)[(3)]. وصوّر القرآن الكريم أهميتها، فأقسم بها الله تعالى في قوله: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) [(4)].

وفي ديوان العرب، نجد الشعراء قد أفسحوا مجالاً واسعاً لوصفها والتباهي بها، فلم يُعن الشعراء في العصر الجاهلي ولا في العصر الإسلاميّ بشيءٍ عنايتهم بالخيل والإبل قياساً إلى الشعر الذي تناول بقيّة الحيوانات الأليفة.

إنّ طبيعة الحيــاة العربية، وقسوة الظروف الطبيعية في جزيرة العرب جعلت العربي يستحب في خيله

---

1) القيرواني، ابن رشيق،**العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، 65/1.
2) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**. ص108 .
3) سورة الأنفال ،6 .
4) سورة العاديات، 1-5 .

الصلابة، والضخامة والامتلاء؛ لتكون قادرة على تلبية كل مطلب، وهذا ما حمل لبيداً على تشبيه فرسه بالهراوة؛ لأنها لا تتخذ إلا من أصلب الأعواد وأشدها، فشبهها بعصا الرعاء الذين يعدون بإبلهم وهي لا تفارقهم، لأنهم يتخذونها سلاحاً، يدفعون بها عنهم السباع وهوام الليل، فقال:

تهدي أوائلهـــــنَ كُلُّ طمـــــــرّةٍ　　　جَرْداءَ مِثْلِ هِرَاوَةِ الأعْـــــزابِ[1]

ويصف كعب فرسه الكميت، بأنه شديد، ضخم القوائم،[2] و حوافره من شدة صلابتها كأنها أُلبست الحديد، فلا تتناثرولا تدمى لسير مهما اشتد. حيث يقول:

وإنّ الكُمَيْتَ عند زَيْدٍ ذِمامَـــــــــةٌ　　　وما بالكُمَيْتِ من خَفَـــاءٍ لِمَنْ رَأى

ممرٌّ كسرحـــــــانِ القصيمةِ منعلٌ　　　مَسَاحِيَ لا يُدْمِي دَوابِرَهـــا الوَجَى

شَدِيدُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا　　　كأنّ مكانَ الرِّدْفِ من ظهرِه وَعَى[3]

كما يصف لبيد فرسه "الجوْن" ، ويعدد صفاته المحمودة كقصر رسغه، وجشّة صوته، كما أنّ فرسه موثق الخلق، مدمج فيه استواء مع ارتفاع، طويل سريع الجري، كريم الأصل ، يقول:

ولَقَدْ أغْدو ومـــا يَعْدَمُني　　　صاحِبٌ غيرَ طويلِ المُـــحتبَلْ

ساهِمُ الوَجْهِ شَديدٌ أسْـــرُهُ　　　مغبَطُ الحــارِكِ مَحبوكُ الكَفَلْ

بأجشِّ الصوتِ يعبُوبٍ إذا　　　طرقَ الحَيَّ منَ الغَزْوِ صَهَلْ[4]

وقد يُكنّى عن الخيل ببعض صفاتها الجسمانية، التي تضفي عليها جمالاً، مثل ذات الذيل الطويل، والتي تُدعى الذيّال، وهذه الخيول تمشي بتبختر ودلال، وقد ذكرها الشماخ في إحدى أراجيزه: [5]

---

1) ديوان لبيد، ص39. الطّمرة: المشرفة من الخيل ، ويقال: السريعة. الهراوة: العصا الغليظة، وكذلك اسم فرس كانت لعبد القيس. عصا الاعزاب: الاعزاب هم المنقطعون مع إبلهم عن الحيّ ، واحدهم عزب، والعزب لا تكاد تفارقه عصاً يتخذها سلاحاً يدفع بها عنه السبع وهوام الليل.

2) وصف كعب فرسه أنه فرس موثق الخلق، شديد ضخم، حادّ البصر، انظر: ديوان كعب ص63-64.

3) ديوان كعب، ص45-46. ذِمامة: حق،وحرمة. ممر: المدمج الخلق. السرحان: الذئب. القصيمة: قطعة من الأرض. مساحي: مفردها: مسحاة، وهي آلة من حديد كالمجرفة يجرف بها الطين ونحوهز وهي هنا الحوافر. دوابرها: أواخرها. الوجى: الحفا. الشظى: عظيم ملصق بعصب الذراع. عبل الشوى: ضخم القوائم والنسا: عرق يستحب قصره وتشجنه.وعى العظم: إذا جبر بعد كسر وصح، وذلك أشد له.

4) ديوان لبيد ص128-129. انظر أيضاً: الديوان، ص48-49 ، ص 189. المحتبل: موضع الحبل من رسغ الفرس. أي أنه فرس قصير الرسغ(صفة محمودة في الخيل). شديد الأسر: موثق الخلق. الحارك: الكاهل. محبوك الكفل: مدمج فيه استواء مع ارتفاع. يعبوب: طويل سريع، أو كثير الجري.

5) ديوان الشماخ 128. الذيّال: طويل الذيل، المتبختر من الخيل. السرحان: الذئب.

يتبعن ذيالاً كسرحان الغضا

ويُكنّى عن الفرس بلونها، كما ذكرها الشماخ بالشقراء في قوله:

فَفَرَّجتُ كَربَ النَفسِ عَنّي بِحَلفَةٍ كَما شَقَّتِ الشَقراءُ عَنها جِلالَها [1]

ومن إعزازهم للخيل أنهم سمّوها ونسبوها كما يسمّون أبناءهم وينسبون رجالهم فمنها؛ الأعوج والسابح واللاحق، فقد "حفلت قصص الفروسية العربية بذكر كثير من أسماء الخيل التي كانت تمثل أصحابها، التي كانت لا تقل بطولاتها عن بطولات فرسانها، فاستحقت بذلك الإعجاب والتقدير."[2] وذكر الشماخ في شعره "فارس أطلال"، وأطلال هو اسم فرس بكير الليثي، الذي قتل في فتوحات أذربيجان ، وكان الشماخ مشاركاً في تلك الفتوحات. فقال:

لَقَد غادَرَت خَيلٌ بِموقانَ أَسلَمَت بُكَيرَ بَني الشُدّاخِ فارِسَ أَطلالِ [3]

وذكر لبيد في شعره أيضاً (الرعشاء وملحوباً)[4]، كما ذكر أسماء خيول أخرى، مثل "قرزل، والجوْن، وتحجُل، والنَّعامَة، والخبالُ"[5]. وفي رثائه لعوف بن الأحوص، قرن اسمه بالفرسان والخيول، والمجالس والرماح، في إشارة إلى شجاعته وأصالة رأيه، يقول:

عَوْفَ الفَوَارِسِ وَالمَجَـــــــا لِسِ والصَّوَاهـــــــلِ والذَّوابـــلْ[6]

وفي وصف الشعراء المخضرمين للخيول وكثرتها، إشارة إلى قوة الجيش ومنعته [7] كما ارتبط ذكرها بالبطولة والشجاعة في الحرب، ويتجلّى ذلك في قول الشماخ، مفتخراً ببطولته في فتوحات أذربيجان:

وَقَـــــد عَلِمَتْ خَيلٌ بِموقانَ أَنَّني أنا الفارِسُ الحامي لَدى المَوت نَزّالُ[8]

---

1) ديوان الشماخ 104 . الحلفة: الحلف مرة واحدة. جلال الفرس: ما تلبسه الدابة لتصان به.
2) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**. ص107 .
3) ديوان الشماخ، ص101. موقان: بلد بأذربيجان حيث يظن أن الشماخ قد قتل في غزوة عرفت بغزوة موقان. أطلال: اسم فرس بكير.
4) الرعشاء (اسم فرس)، وفارسُ الرعشاءِ هو عتبة بن جعفر. انظر: ديوان لبيد 67. وملحوب:اسم فرس، وصاحبُ ملحوب هوعمرو بن خالد بن جعفر .انظر: ديوان لبيد ص101.
5) انظر: ديوان لبيد ص150.
6) ديوان لبيد، ص135. الصواهل: الخيول. الذوابل: الرماح.
7) ديوان كعب، ص99. انظر أيضاً: ديوان لبيد ص178.
8) ديوان الشماخ، 101. علمت خيل: أي شهدت لي الخيل وفرسانها انني الفارس النزال.

وفي شعر الفتوح كلفٌ بذكر الخيل والجراح التي تصيبها من رماح الأعداء وسيوفهم، وفخر بثباتهم بخيولهم في المعركة، وهجومهم بها على الأعداء. كما خلّد الشعراء ذكرها، فوصفوها بأحسن وصف، وتغنوا في مفاتنها، وافتخروا بشجاعتها. وفي ذلك قال لبيد:

معاقِلُنا التي نأوِي إليهـــــــــــا　　　بنــــاتُ الأعـوجية لا السُّيوفُ[1]

ويذكر كعب الجموح من الخيل، ويفتخر بقدرته على ترويضه، حتى ينقاد لها، يقول:

إذا شِئتُ أَعْلَكْتُ الجَمُوحَ إذا بَدَتْ　　　نواجذ لحييه بأغلظِ مـــا عجمْ[2]

صوّر الشعراء المخضرمون ضمور خيلهم وسرعتها بصور شتّى بعضها من الحيوان، وبعضها من الطير، وبعضها من الجماد[3]. ولقد دأب بعضهم على تشبيه الفرس بجوارح الطير، وأمعنوا في إبراز سرعتها بتلك التشبيهات الحسية، التي لم تخل من حركة وقوة، ومن أوضح تلك المشبَّهات بها الشاهين والصقر، فشبه لبيد فرسه بالطير الجارح الذي يكر بلا توان في قوله:

وكَـــأنِّي مُلْجِمٌ سُوذَانِقــــــاً　　　أجْدَلِيّاً، كَـــــــرُّهُ غَيرُ وَكَـــــلْ[4]

كما صوّر الشعراء الخيل المسترسلة بأسراب القطا الذي يريد الماء[5]، وتتجلى في هذه الصورة معاني التتابع والاسترسال، والتحفّز والانطلاق، والانثيال، والهجوم والمباغتة والاندفاع[6]. وقد شبّه لبيد أعناق الخيل وطولها بالرجال القيام، ووصف سيرهنّ السريع بسرعة أسراب القطا:

يُرَيْنَ عصائِباً يركُضْنَ رهواً　　　سوابقهنَّ كالرَجْل القيـــــــــامِ
كأنَّ سِرَاعَهَا مُتَوَاتِـــــرَاتٍ　　　حَمَامٌ باكِرٌ قَبْلَ الحَمَـــــــــامِ[7]

كما وصف لبيد خيول عمرو بن خالد بن جعفر، وهي تسير في جماعات متتابعة في قوله:

شهابُ حُروُبٍ لا تَزالُ جِيادُهُ　　　عَصائبَ رهْواً كالقَطا المُتَبَكِّرِ[8]

---

1) ديوان لبيد ص116 ، انظر أيضا: الديوان ص 37. ص245. بناتُ الأعوجية: خيول أصيلة تنسب إلى الفحل " أعوج " .

2) الديوان، ص138. أعلكت: أمضغت. الجموح: هي الخيل المتمردة الشاردة. النواجذ: التي تلي الأنياب من الأضراس. لحييه: فكيه. عجم: عض.

3) انظر: أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي،ص95-100

4) ديوان لبيد ص129. ملجم: واضع اللجام. السوذانق: الشاهين(نوع من الطيور الجارحة). الأجدل: الصقر. الوكل: الضعيف البليد.

5) انظر: ديوان لبيد ص233-232.

6) انظر: **المطر في الشعر الجاهلي**، ص 197-202

7) ديوان لبيد ص258. يروى: كأن عجالها متباريات حمام وارد... متباريات: يتبارين في السير، يعارض بعضهن بعضا.

8) ديوان لبيد ص101. شهاب حروب: شعل حروب. عصائب: جماعات وفرق. رهوا: متتابعة. المتبكر في ورد الماء وشرب.

وبهذا نخلص إلى أنّ شعراء الدراسة المخضرمين صوّروا خيلهم بصور شتّى، بعضها من الحيوان، وبعضها من الجماد، بياناً لسرعتها وقوّتها. كما اقترن ذكر الخيل في شعرهم بالحروب والقوّة، والمنعة، متغنّين في مفاتن الخيل، مفتخرين بشجاعتهم.

الثور والبقرة الوحشيان

برزت قصص الحيوان عند شعراء الجاهلية والإسلام بشكل لافت للنظر، ذلك أنها ارتبطت إلى حدٍّ كبير بطبيعة البيئة المحيطة بهم، إذ ألفوا مشاهدة الثور وبقر الوحش، فكان انعكاس هذه المشاهدات اليومية لتلك الحيوانات أن ظهرت في أشعارهم، حتى غدت سمة أساسية تميز شعرهم.

وكان للثور الوحشي حضور بارز عندهم، فقد أفسح له الشعراء مساحة رحبة في قصائدهم، وتتبعوه بصفاته المختلفة، ورصدوا الأماكن التي يرتادها، وكثيرا ما كانوا يشبهون نوقهم به، بل إن الناقة كانت الذريعة التي يتوسلون بها للوصول إلى وصف الثور الوحشي.

وقد انفرد الثور الوحشي باهتمام خاص، فكان الشعراء يقصون حكايته، فيصفون وحدته وانفراده عن قطيع الوحش، في رملة نديّة، أو في روضة معشبة، أو في بُرقة جرداء مختالاً بقوّته، معتزّاً بعنفوانه، هانئاً بوحدته.[1] وقام بعض الشعراء برسم ملامحه بدقة وإتقان،فوصفوا لونه وقوائمه، وأعضاءه وقرنيه، وعينيه وجلده وأنفه. كما تحدث الشعراء عن رحلة الثور ومقاومته لأخطار الطبيعة التي تحيط به وتترصده، فيحاول مقاومتها وإثبات وجوده وأحقيته بتلك الحياة.

وقد فطن الشعراء إلى مشاعر الثور، فصوروه قلقاً، تغلبه الرياح، فتميله ذات اليمين وذات الشمال، وهو دان، لأرطاة أو أية شجرة غيرها، لائذ بها، يبيت ليلته لا يغمض له جفن، فالتيار شديد الانصباب، والرعد غليظ الصوت، وكثيراً ما اختار الشعراء لوصف الثور وقت لمعان البرق، ويزيد بعضهم التماعه؛ ليكشف ضوؤه اللماح عن هذا الثور الضامر، ويظل طول الليل ساهراً يعاني المتاعب والآلام، حتى إذا أشرق الصباح، فاجأه الصيّاد، فيرميه بسهامه، فإذا لم تصب هدفها يرسل كلابه الضارية، فيهرب الثور منها وتندفع وراءه، وحين يحس بقربها منه وتبدأ بعضه، يدرك أنه لا مفر من القتال والمواجهة، فيستدير ويبدأ المعركة مع الكلاب ويضربها بقرنيه، فيثخنها جراحاً، وينتشي فرحـاً بنصره . وهذه الصـورة مكررة ومعـادة في الشعر،

---

1) انظر: **المطر في الشعر الجاهلي**، ص147.

قلّما يتغير فيها الخيال او الألفاظ(1)، وإنما تتغير نهاية قصة الثور الوحشي بموته إن كان غرض الشاعر رثاءً، وإن كان شعره في غير الرثاء من الأغراض الشعرية كالمديح مثلاً فنجد أن الثور يسلم.

كما يذكر كعب قصة ثور وحشي، تلمع وشومه في قوائمه الأربع، مشبهاً إياها بالدبياج أو بجلد النمر ، وقد أخرجت أصوات الرعد الشديدة هذا الثور في ليلة ممطرة، فالتجأ إلى شجر الأرطى، وكان يحفر أصولها بأظلافه، فاصطبغت باللون الأحمر، وكان يدور بنشاط حول تلك الأشجار، إلى أن أحس بصوت وقع في نفسه الريبة، وإذ بصياد أطلق كلابه الضارية المتأهبة، فانطلقت تعدو نحوه مسرعة، فقاومها منفرداً وأوسعها ضرباً بقرنه(2). ووصف لبيد قصة ثور وحشي ، مشابهة في أحداثها لما سبق ذكره في قصة كعب، مع اختلاف ببعض التفصيلات، ففي نهاية المعركة بين الثور الوحشي والكلاب، كانت الكلاب صرعى، فمضى الثور مجتازاً الكثبان الرملية يعدو سريعاً، وكان سليماً لم يجرح.(3)

إن وصف الشعراء المخضرمين للثيران الوحشية لم يكن غاية مباشرة، بل كانوا يستطردون إليها استطراداً؛ ليظهروا من خلالها قوة رواحلهم وسرعتها. وقد شبه كعب ناقته بالثور الوحشي الذي في قوائمه سواد، وله قرنان هما مصدر قوته، ويدافع بهما عن نفسه، يقول:

شَبَّهْتُها لَهِقَ السَّــرَاةِ مُلَمَّعـــاً	مِنْهُ الْقَوَائمُ طَاوِيَ المُصْرانِ
فغدا بمعتدلينْ لـــم يسلبهمـــا	لا فيهما عوجٌ ولا نقـــدانِ
وكِلاَهُمَا تَحْتَ الضَّبَابِ كَأنَّمَا	دهن المثقَّفُ ليطه بدهــانِ(4)

كما شبه لبيد ناقته القوية الشديدة بالثور الوحشي، وقد ذكر أوصافه في قصة تضمنتها أبيات عديدة، يقول:

كأخْنَسَ نَاشِطٍ جـــادَتْ عليَهِ	ببُرقَةِ وَاحِفٍ إحَدى اللّيالي

1) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص 131-132 . انظر أيضاً: الصالحي، عباس مصطفى، **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ص89-97. انظر أيضا: **المطر في الشعر الجاهلي**، ص147-148 .

2) انظر: ديوان كعب، ص69-70.

3) انظر: ديوان لبيد، ص 271-273.

4) ديوان كعب ص 160-161. انظر أيضاً: ديوان كعب، ص 68. اللهق: الأبيض. السراة: الظهر. التلميع: أن يكون في قوائم الثور الوحشي سواد يخالف لونه. الطاوي: خميص البطن. المصران: أراد الموضع، أي الحشى حيث يكون المصران. معتدلان: القرنان، لا اعوجاج فيهما . النقدان: المتآكلان. المثقّف: المقوّم للرماح. ليطه: قشره الأعلى. أي انه جعل قرني الثور كالرمحين له لما كان يحتمي بهما.

أضَلَّ صِـــوَارَهُ وتَضَيَّفَتْـهُ　　　نَطُوفٌ أمـــرُها بيَدِ الشَّمَـــالِ[1]

كما أكثر الشعراءُ المخضرمون من ذكر اللون الأبيض في وصفهم للثور الوحشيّ، فالشاعر لبيد يشبهه بالثوب الأبيض في قوله:

فاجتازَ مُنْقَطَعَ الكثيبِ كأنَّهُ　　　نِصْعٌ جَلَتْهُ الشمسُ بَعْدَ صِوانِ[2]

وأمّا صورة البقرة الوحشية، فإنها تختلف بعض الشيء عن قصة الثور الوحشي ، فتزيد عنه في الشخصيات والأحداث، وبعض التفصيلات. وقد أبدع لبيد في وصف البقرة الوحشية، ولم يذكرها ذكراً عابراً، فقد رسم لها لوحة متكاملة من خلال قصة ابتدعها، تملؤها الحياة والعاطفة والصراع، وقصيدته تدور حول بقرة وحشية بائسة، فقدت صغيرها فافترسه الأسد وهي لا تدري، وتبذل غاية الجهد في البحث عنه، إلى أن يدركها الليل وسط عاصفة هوجاء، ومطر شديد وبرد قارس، ولكنها كانت قوية ذات عزيمة فجعلت تبحث عن مأوى آمن تحت الأشجار، علّه يقيها من البرد والمطر، وبقيت ليلتها منتظرة شروق الشمس لتعاود البحث كرة أخرى، وجعلت تصيح منادية صغيرها، وإذا بها تحس بصوت خفيف لا تعرف مصدره، وخطر داهم يتربص بها، فهناك صياد يتتبع خطواتها، فتعدو لا تلوي على شيء، قد ملأها الخوف وملكها الرعب، فتنهال عليها السهام، ولكنها لم تصبها لحذرها وسرعتها، فيلجأ الصياد إلى إرسال كلابه، فتهرب البقره مسرعة وكلاب الصيد في اثرها، وتستمر المطاردة، إلى أن تدرك أنه لا مناص من المواجهة، فتتوقف عن العدو، تخوض قتالاً شرساً مع الكلاب، وكانت النتيجة مصرع اثنين من الكلاب. وسجل لبيد كلّ هذه الصور والأحداث المشاعر في معلقته التي تعدّ من عيون الشعر العربي.[3]

ومن مظاهر توحّش الأمكنة، وخلوّها من الساكنين أن يأتيها بقر الوحش، وقد ردّد كثير من الشعراء ذكر البقر الوحشي يرعى في الأطلال بعد رحيل القوم، وقد وصف لبيد البقر الوحشي وقد سكنت هذه الديار بعدما خلت من سكانها قائلاً:

---

1) ديوان لبيد، ص154- 155 وانظر أيضا: 155-158. أخنس: الثور. الناشط: يخرج من بلد إلى بلد. واحف: مكان. البرقة: الموضع يخلط ترابه أو رمله حصى. خنس الثور: ارتداد أنفه في وجهه. الصوار: قطيع بقر الوحش. تضيّفته: هذا مثل، أي نزلت به منزل الضيف. نطوف: سحابة تمطر، أمرها بيد الشمال بإذن الله.

2) ديوان لبيد، ص272. منقطع الكثيب: حيث انقطع. النصع: ثوب أبيض خالص البياض جلته الشمس. الصوان :الشيء تصون فيه ثوبك.

3) ديوان لبيد، ص 217-225 . انظرأيضا: الديوان، ص 247 .

وَالعِيْـنُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلائِهَـــــا عُوذاً تَأَجَّلُ بِالفَضَـاءِ بِهَامُهَا(1)

أمّا كعب، فيخبر أنّه كان بينه وبين من يحبّها مسافات يرتع فيها بقر الوحش، وهو يريد هجرها والابتعاد عنها أكثر، وذلك في قوله:

لقد سَكَنــــتْ بَيْنِي وبَيْنَكِ حِقْبــــةً بأَطْلائِها العِينُ المُلَمَّعةُ الشَّوَى(2)

فطن الشعراءالمخضرمون إلى سعة عيون المهاة وجمالها، وقد جعلوا النساء شبيهات بقطيع من بقر الوحش، يقول لبيد: (3)

غشيتُ ديـارَ الحيِّ بالسَّبُعـــــانِ كمـــا البـدرُ فالعينـانِ تبتـدرانِ

مَنازِلُ مِنْ بِيضِ الخُدُودِ كأَنَّهَـــا نعاجُ المَـــلاَ مِنْ مُعْصِرٍ وعوانِ

أمّا الشماخ، فلم يلتفت في شعره كثيراً إلى الثور والبقر الوحشي(4)، وقد ورد ذكر البقر الوحشي في ديوانه عند تشبيهه النساء بالبقر الوحشي في جمالهن، دون تحديد لمواضع الجمال، فقد تركها مطلقة في قوله:

إلـى بـقَرٍ فيهنَّ للـــعَيْنِ منظَـــرٌ ومَلهىً لمنْ يلهـــــو بهنّ أنيقُ

رَعَيْنَ النّدى حتى إذا وَقَدَ الحصى ولم يبقَ من نوءِ السماك بُروقُ(5)

كما شبه يدي الناقة في غلظتها بيدي البقرة الوحشية، وفي سرعتها بقائمتي ظليم، وذلك قوله:

يَدا مهاةٍ ورِجـــــلا خاضِبٍ سَنِقٍ كأنّه مِن جَنأُهُ الشــريَ مخلولُ(6)

---

1) ديوان لبيد ص 203 . العين: البقر، الواحد عيناء، والذكر أعين. ساكنة: مطمئنة. أطلاؤها: اولادها، الواحد طلا. العوذ: حديثات النتاج. تأجّل: تصير آجالا ، الواحد اجْل: وهو القطيع من الظباء والبقر والشاء. الفضاء: المتسع من الأرض. بهامها: جمع بهمة، وهي الصغيرة من أولادها .

2) ديوان كعب، ص44. سكنت:هدأت ورتعت. الشوى: القوائم.

3) ديوان لبيد،ص 266 . انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص139، ص182. غشيتها: نزلت بها. السبعان: جبل. بيض الخدود: صاحبات الخدور. الملا: الصحراء، أو المتسع من الأرض. المعصر: الفتاة المدركة. العوان: متوسطة العمر.

4) انظر : **الصورة الفنية في شعر الشماخ**، ص 86 .

5) ديوان الشماخ، ص 86. الندى: هنا، النبت أوالعشب. وقد الحصى: اشتدّ حرّه. النوء : المطر. السماك: نجم في طلوعه مطر، وهو السماك الأعزل.

6) المصدر نفسه، ص97. خاضب: الظليم وهو ذكر النعام الذي اغتلم فاحمر ساقاه. سنق:الذي أصابه البشم. جناه: أكله. الشري: الحنظل. المخلول: الذي وضع في فمه الخلال ، فسال لعابه. والخلال: عود يوضع في لسان الفصيل ليمنع من الرضاعة.

الحمر الوحشيّة

لا تختلف صورة الحمار الوحشيّ في الشعر العربيّ كثيراً عن صورة الثور الوحشيّ، أو البقرة الوحشيّة، إذ تحدّث الشعراء عن الحمار الوحشيّ في مجال وصفهم لرواحلهم وغلظتها، وصلابتها، وقوّة عدوها وشدّته. وقصّة الحمار الوحشيّ في الشعر العربيّ غنيّة بالمشاهد والأحداث، تبدأ في فصل الربيع، فتجد الحمار الوحشيّ يرتع وأتنهُ في المراعي الخُضر، حيث غزارة المياه وتنوّع النباتات والأعشاب، لا يكدّر عيشه شيء، ولكنّ هذا الربيع لا يدوم طويلا، إذ يبدأ الصيف بقيظه وسمومه، فتجفّ الكثير من الآبار ومنابع المياه ،وتذهب خضرة الأشجار وتصبح الأعشاب هشيماً، وفي هذا الوقت العصيب تبرز مهمّة الحمار الوحشيّ قائد القطيع، وتتعاظم المسؤولية الملقاة على عاتقه للحفاظ على حياة القطيع وأمنه، فيبيت ليله ساهراً تؤرّقه الهموم، ثمّ تسعفه الذاكرة لإيجاد أقرب موارد الماء إليه وأكثرها أمناً، فيعزم أمره، ويأمر الأتن بالرحلة ليلاً، فيستتر بظلمته ليُخفيَ القطيع عن أعين الصيادين، ويبدأ الحمار بالصياح على أتنه، ودفعهنّ أمامه بشدّة وغلظة، فيواجهنُهُ بالمعاسرة، فلا يبالي بذلك، بل يظلّ صابراً محتدّاً عليهنّ، حتّى يبلغ بهنّ الماء، وهناك تروي الأتن غُلّتها، وتطفئ عطشها الملتهب، لكنّ الصيّاد المستتر في قترته[1]، يتحفّز ويقذفها بسهامه، ولكنّه يخطئها، فتحلّ الفوضى، وينزل الهلع بالنفوس، فتنطلق الحمر مذعورة فزعة، تنشد السلامة، والحمار خلفهنّ يدفعهنّ ويبتعد بهنّ عن مصدر الخطر. ويصوّر الشعراء الحالة النفسيّة للصيّاد وهو يجمع سهامه الخائبة بحزن وحسرة، ويلوم حظّه العاثر، ويتذكّر حال زوجه وصبيته الذين يرتقبون عودته وقد اشتدّ بهم الجوع. وقصّة الحمار الوحشيّ هذه لم ترد بهذه التفاصيل عند كافّة الشعراء، بل يتباينون في ذلك تبايناً كبيراً، فاختلفت اللوحة لديهم طولًا وعرضًا وضيقًا واتساعًا وغنى وفقرًا، حسب طبيعة كل شاعر، وموج نفسيته التي تتولّى رسم تلك اللوحة وانتقاء ألوانها، وانحناءات خطوطها بحسب ما تحتضنه من المشاعر والأفكار والرؤى. [2]

شبّه الشعراء نوقهم بحمر الوحش بدافع إظهار قوّتها، فاتخذوا من الحمار الوحشي مشبّهاً به، وخلعوا عليه نعوتاً كثيرة، ومسمّيات عديدة، ومن هؤلاء الشمّاخ، الذي أطلق على حمار الوحش

---

1) القترة: مكمن الصائد الذي يكمن فيه ويستتر للصيد.

2) انظر: العرفي، سعد عبد الرحمن:**"سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي: دراسة في المضمون والنسيج الفني"**، رسالة دكتوراة، السعودية، جامعة أم القرى، ص450-452. وانظر أيضاً: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص137-142.

(جأباً)، ومثله كعب بن زهير، ولبيد بن ربيعة، ووصفوه في أشعارهم: فهو "جون وأحقب وقارح، وجحش"، ولأنثى حمار الوحش: :أتان، حائل، حقباء، جدود" ، ومن الصفات التي ترددت في شعر الشمّاخ: "أحقب ناشطاً"، "أحقب سهوقاً"، ويسمّي الأتان" حقباء قاربة"، أو خنساء". ومن أوصاف حمار الوحش التي صارت له علماً أيضاً، القارح، وذو جدة، وذو جدتين، ومكدّم، ومستقبل، والجون الرباعي، وعيْر، والأتان عيْرانة، وغيرها. [1]

كان الشمّاخ من أوصف الناس للحمر الوحشيّة، ومن شدّة تعلّقه بالحياة البريّة وبالإبل والحمر على وجه الخصوص، شبّه نفسه بالحمار الوحشيّ وزوجته بالأتان[2]، وكان كعادته في معظم قصائده، يصف ناقته القويّة السريعة التي ستوصله إلى غايته، وما يكاد يبدأ، حتّى يشبّهها بحمار الوحش، ومن هذه الصور قوله:

فَقُلتُ لِصُحبَتي هَــل يُبلِغَنّي — إِلى لَيلى التَهَجُّرُ وَالبُكـــورُ
بِناجِيَةٍ كَأَنَّ الرَحلَ مِنهـــا — وَقَد قَلِقَت مِنَ الضُمرِ الضُفورُ
عَلى أَصلابِ جَـأبٍ أَخدَرِيٍّ — مِنَ اللائي تَضَمَّنَهُنَّ إيـــرُ[3]

ونجد الشمّاخ يشبّه ناقته، في قصيدة أخرى، بحمار الوحش الفتيّ الضخم، الذي يطارد أتنه، ويجعلهن لا يتركن القطيع ويمتثلن لأوامره، فهو قائد نشيط، قويّ شديد، وكذلك كانت ناقته[4]. وكذلك لبيد، شبّه قوّة ناقته بقوّة حمار الوحش وشدّته قائلاً:

كأنَّ قَتُودي فَوْقَ جأبٍ مُطَرّدٍ — يُفِزُّ نحُوصاً بالبراعيمِ حائِلا[5]

ولا يختلف كعب عن الشمّاخ ولبيد، إذ يشبّه ناقته بشدّتها وقوّتها بحمار الوحش، فيقول:

---

1) انظر: **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، ص 84-85.
2) انظر: ديوان الشماخ، ص 103.
3) ديوان الشماخ، ص 54-55. التهجّر: سير الهواجر. البكور: السير بكرة. الناجية: الناقة السريعة. الرحل: مركب للبعير، خاص بالرجال. قلقت: اضطربت. الضمر: لحاق البطن. الضفور: جمع ضفر، وهو ما يشد به البعير. الأصلاب: جمع صلب، وهو من الظهر ما فيه فقار. الجأب: حمار الوحش. الأخدري: الأسود. تضمنهن: اشتمل عليهن. إير: جبل بأرض غطفان، وقيل موقع بالبادية.
4) انظر: ديوان الشماخ، ص 105. انظر أيضاً: الديوان ص59.
5) ديوان لبيد، ص136. انظر أيضا: الديوان ، ص194، ص250.

كأنّ الرَّحـــلَ منها فوق جأْبٍ يقلِّبُ آتنا خلجــاً حيــــالاَ(1)

كما شبّه لبيد فرسه بحمار الوحش الرئيس والقائد الذي يقود القطيع، ووصفه بالشجاعة والقوّة قائلاً:

منْ نَسا النّــــــــاشِطِ إذْ ثَوَّرْتهُ أوْ رَئيسِ الأخدَ رِيّـاتِ الأُوَلْ

فَهْــوَ شَحّــــــــاجٌ مُدلٌّ سنـقٌ لاحِقُ البطنِ إذا يعدو زملْ(2)

وعندما ينتقل الشماخ إلى وصف جسد الحمار، نجده يتطرّق إلى أدقّ التفاصيل، كما قال يصف ألوان الحمر الوحشيّة:

في عانَةٍ حُقبٍ عَلَت أَصلابَهــا جُدَدٌ وَحانَ سَوادُها الأعنـاقـا

سالَت عَلى أَذنابِها وَتَخــالُهـــا بُرداً عَلى أَكتافِها أَخلاقـــا(3)

أمّا كعب، فوصف الأتن ولونها، ووصف قوّة قوائمها، فهي قويّة شديدة كالصخرة الصلبة، وهي ملساء لا كدوح فيها، فقال:

يَرْتَعي بالقَنَان يَقْرُو أرِيضــاً فانتحى آتنـــا جدائدَ نـــورا

ألصق العذمَ والعذابَ بقبّـــاءَ ترى في سَـراتِهـــا تحسيرا

سَمْحةٍ سَمْحَجِ القَوائِم حَقْبـــاءَ من الـــجونِ طُمِّرتْ تطميرا

فوقَ عُوجٍ مُلْسِ القَوائِم أُنْعِلْنَ جــــلاميدَ أو حُذينَ نُسورا(4)

وكـذلك وصـف كعب في شعره رشـاقة حمـار الوحش الذي شبّه به ناقته، ووصـف بياضــاً من لـونه قد

---

1) ديوان كعب، ص131. جأب: الغليظ من حمر الوحش. الأتن:جمع أتان،وهي الحمارة الوحشية. الخلوج: التي اختلج عنها ولدها بذبح أو بموت. حيال: جمع حائل، وهي التي حال عليها الحول ولم تحمل. انظر أيضاً الديوان: ص53، ص70-73،ص128-129، ص141 -143.

2) ديوان لبيد، ص 129. الناشط: الثور. الأخدريات: أتن الوحش. الأخدري: حمار الوحش. شحّاج: كثير التصويت. مدلّ: جريء. سنق: بشم لكثرة ما أكل. لاحق البطن: ضامر. زمل: اعتمد في عدوه على أحد شقّيه، رافعاً الجنب الآخر.

3) ديوان الشماخ، ص84-85. عانة: قطيع من حمر الوحش. حقب: جمع حقباء: وهي الأتان التي في بطنها بياض. جدد: جمع جدّة: وهي الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه. البُرد: ثوب فيه خطوط. أخلاق: جمع خلق: وهو البالي. واخلاق هنا وصف للبرد.

4) ديوان كعب، ص70-71. وانظر أيضاً: وصف كعب للأتن في ديوانه، ص151. القنان: جبل. يقرو: يتبع. انتحى: اعتمد. الجدائد: اللواتي لا لبن لهنّ. النور: النوافر. العذم: العضّ. القبّاء: الضامر. السراة: الظهر وأعلى كل شيء. التحسير من الوبر: سقوطه من العضاض، وتحسّر اللحم عن أعلاها: أي ذهب. السمحة: المواتية السهلة. السمحج: الطويلة. الحقباء: التي في بطنها بياض. الجون: التي ألوانها سود. طمّرت تطميرا: طوّلت وثبّتت قوائمها على وجه الأرض. العوج: الأيدي والأرجل الشديدة. الملس: اللواتي لا كدوح فيهنّ ولا أثر. الجلاميد: الصخور الصلبة. النسور: جمع نسر، وهي لحمة كالنواة في باطن الحافر.

جلّل سراته وبطنه.[1]

كان الشعراء المخضرمون يلحّون في أوصافهم للحمار الوحشي على صفات الغلظة والقسوة[2]، والفظاظة، ووصفوا قبح وجهه[3]، وصوته الذي نعتوه بالتغريد والتطريب والدعاء.[4] ولم يكتفِ الشعراء بالوصف الحسيّ لحمار الوحش، كما صوّروا أدقّ تفاصيل طباعه وقوّته ومشاكسته، وآثار الندوب والعضّ على وجهه، فقال الشمّاخ:

كَأَنّي كَسَوتُ الرَحلَ جَوناً رَباعِياً بِليتَيهِ مِن زَرِّ الحَميرِ كُلــــومُ

عُلَندى مِصَكّاً قَد أَضَرَّ بِعـــــانَةٍ لِما شَذَّ مِنها أَو عَصـــاهُ عَذومُ

تَرَبَّعَ أَكنافَ القَنانِ فَصــــــــارَةٍ فَماوانَ حَتّى قاظَ وَهوَ زَهومُ[5]

وفي شعر للبيد بن ربيعة، ترك فيه التركيز على وصف جسد الحمار، وانتقى وصفاً من أفعاله، فوصف حماره بالمسحل، والسحيل هو أحد أصوات الحمار وأدلّها على القوّة والتحدّي، وذلك أنّ الحمار يصوّت معلناً أنّ هذه الأرض التي هو فيها أصبحت من أملاكه، وهو بهذا التصويت يعلن أنّ أتانه في حمايته، ونجده يصف التصاق الحمار بأتانه؛ لتوفير أقصى درجات الحماية لها، فقال:

حرْفٌ أضرَّ بها السِّفَارُ كأنَّهـــا بعد الكَـــلالِ مُسَدَّمٌ مَحْجُومُ

أو مِسْحلٍ سَنِقٍ عِضَادةَ سَمحجٍ بسرائِها نَدَبٌ لـــه وكُلُـومُ[6]

كما يصف لبيد هذا الحمار بأنّه شديد القوّة، فقد فرض سطوته على هذه الأماكن، فلا يسود فيها أحد

1) انظر: ديوان كعب، ص53.

2) صوّر لبيد شدّة وصلابة الحمار الوحشي التي تكسر الصفيح في ديوانه، ص 138.

3) انظر ديوان لبيد، ص194. انظر أيضاً: الديوان، ص 158.

4) انظر ديوان لبيد، ص193.انظر أيضاً: ديوان كعب، ص128 . انظر أيضاً: ديوان الشماخ، ص78.

5) ديوان الشماخ، ص 105. ليتيه: صفحتا عنقه. كلوم: جروح من عض الحمير. علندى: الغليظ الضخم. المصك: القوي الشديد. العانة: القطيع من حمر الوحش. العذوم: العضوض. تربّع: أقام زمن الربيع. أكناف: نواحي. القنان، صارة: اسماء جبال. ماوان: قرية وقيل: واد فيه ماء. قاظ: أقام زمن القيظ. زهوم: سمين.

6) ديوان لبيد، ص184. يُروى: حرف تخونها السفار. حرف: ضامرة. السفار: السفر، أو هو الحديد الموضوع على أنف الناقة. المسدّم: الفحل الهائج يحبس عن الضراب. محجوم: مشدود فمه بحجام. يُروى: مسحل شنج. المسحل: الفحل من الحمر، سمي بذلك لأن صوته السحيل. السنق: البشم. الشنج: الملازم للأتان. عضادة سمحج: يمشي إلى جانب عضد تلك السمحج، يعني الأتان الطويلة الظهر. السراة: الظهر. الندب: أثر الجراح.

غيره، وهو فيها كالملك يتجوّل في مملكته، فبقي مُسيطراً على هذه المواضع شهورًا متتابعة، حتى ذهب الربيع وأقبل الصيف وانتصف واشتد أواره. (1)

وقد رسم شعراء الدراسة لوحات عدة تصوّر ارتباطًا ثنائيًا بين الحمار الوحشي وأتانه، حيث يظهر شديد المحافظة عليها، يحوطها ويذبّ عنها، حتى لو أبت أو تمنّعت عليه، فإنّه لا يتراجع بل يزداد إصرارًا على صيانتها، لأنه يعرف من الأخطار والمفآجات ما لا تعرف هي(2). فهذا لبيد يصف معاناة حمار الوحش لكثرة معاندة الأتان له، إلّا أنّه استمرّ في رعايتها وحمايتها، فهي لا تدرك الأخطار المترتّبة على تعجّلها في ورود الماء مثله، فيبقى ينتظر الفرصة المناسبة، وعندما يقرر الحمار التحرك، ينطلق مسرعاً إلى الماء:

حَتّى تَهَجَّرَفي الرَّواحِ وَهَاجَهُ   طلبُ المُعَقِّبِ حقَّه المظْلومُ

قِرِباً يَشُجُّ بها الخُرُوقَ عَشيَّةً   رَبِذٌ كَمِقلاةِ الـوليدِ شَتيمُ (3)

ورسم لبيد لوحة صوّر فيها الوضع النفسي للأتان، فهي في حمى الحمار، وهي تعاني من شدّة الظمأ، وهوالذي يجب أن يجد حلاً، وكلّما ساء الأمر أكثر ازداد عنادها له(4). كما سجلّ الشعراء ظاهرة ضرب الأُتن للحمار ورفسها صدره ووجهه، فما إن يقترب منهنّ إلّا ويشرعن في ضربه بأشدّ ما يكون دون أن يظفر منهنّ بلذّة الوصال، قال الشمّاخ:

إِذا ما استافَهُنَّ ضَرَبنَ مِنهُ   مَكانَ الرُمحِ مِن أَنفِ القَدوعِ(5)

ولكعب بن زهيرأيضا أبيات أظهر فيها مدافعة الحمار عن أتنه، وما يناله لقاء ذلك من كدم وعضّ،

---

1) انظر: ديوان لبيد، ص185.

2) انظر: **رسالة سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي**، ص: 55 -56. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص210-211.

3) ديوان لبيد، ص187. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص210-213. يُروى: وهاجها. تهجّر: عجل الرواح الى الماء. هاجه: حركه. المعقّب: صاحب المال يطلب حقه مرة إثر مرة. يُروى: يشج بها الحزون. يُروى: كمقلاه الوليد. قرباً: طالباً الماء. يشجّ بها: يركب بها. الخروق: الاراضي الواسعة. الحزون: الأراضي الغليظة. الربذ: السريع. مقلاة الوليد: خشبة يلعب بها الصبيان. شتيم: قبيح الوجه.

4) انظر: ديوان لبيد، ص186-187.

5) ديوان الشماخ، ص 79. انظر أيضاً: الديوان، ص 85. استاف: شمّ. القدوع، ويُروى: القروع: هو الفحل يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريماً، فلا يزال يضرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يرجع. والمعنى: أن هذا الحمار إذا جاء يتشمم أتنه رمحنه بأرجلهن لأنهن حملن منه، والاتان إذا حملت منعت الحمار من الوقوع بها، فجعل رمح الاتان الموضع الذي يصيبه حافرها من أنفه بمنزلة الموضع الذي يصيبه الرمح من أنف الفحل.

تدفعه إلى ذلك غيرته عليها.[1]

إنّ الماء هو ما يشغل حمار الوحش أكثر من غيره[2]، فطالما فكّر وتأمّل، وحين تقفز إلى ذهنه صورة مورد للماء، يؤرّقه الخطر الذي يحيط به، فكثيراً ما اتخذ الرماة تلك الموارد والعيون مواضع يتربّصون فيها للوحش. وكان الشعراء يعقبون سوْق الحمار للأتن، بعد الجهد الطويل، والعناء المضني بالانعطاف بها نحو المورد العذب، والمنهل الصافي، قال كعب:

وظَلَّ سَرَاةَ اليَوْمِ يُبْرِمُ أمــرَه   برَابِيَةِ البَحَّــــاءِ ذاتِ الأَعَابِلِ
وهمَّ بوردٍ بــــالرُّسيسِ فصدَّهُ   رجالٌ قعودٌ في الدُّجى بالمعابلِ
إذا ورَدتْ ماءً بليلٍ تعرَّضــتْ   مخافةَ رامٍ أو مخـــــافةَ حابلِ[3]

ويصوّر الشعراء المخضرمون الجأب الذي يسبق الأتن ليكشف لها موارد الماء التي يكمن بقربها الصيادون، وما أجمل الصورة التي صوّرها الشمّاخ لكبير الحمر الوحشية، الذي يتمتع بصفات القائد، فهو يسبق القطيع إلى مورد الماء ويطمئن على أمن قطيعه ثم يقتاد أتنه إليه، فتجتمع الأتن حوله شامخة الرؤوس والصدور كأنّهن رماح منتصبة، ووصف حمار الوحش وهو يوجّه الأتن النافرة ويجمعها معاً فيقول:

فَظَلَّ بِهـــا عَلى شَرَفٍ وَظَلَّت   صِيــامـــاً حَولَهُ مُتَفالِيــــــاتِ
صَوادِيَ يَنتَظِرنَ الـــوِردَ مِنهُ   عَلى ما يَرتَئي مُتَقـــابِعــــاتِ
فَوَجَّهَهــــا قَوارِبَ فَاتـــلَأَبَّت   لَـــهُ مِثل القَنـــا الـــمُتَأَوِّداتِ
يَعَضُّ عَلى ذَواتِ الضُغنِ مِنها   كَما عَضَّ الثِقافُ عَلى القَناةِ[4]

وللشماخ أبيات يصف فيها حمار الوحش وهو يسوق أتنه، كأنّه أجير يحدو إبله في طريقها إلى الماء،

---

1) انظر: ديوان كعب، ص 131.

2) انظر: **المطر في الشعر الجاهلي**، ص202-205.

3) ديوان كعب،ص128-129. انظر: ديوان كعب، ص 146. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص194-196. سراة اليوم: أعلاه. البحّاء: موضع. الأعابل: حجارة بيض. الرسيس: ماء، ويقال وادٍ. صدّه: منعه. الدّجى: جمع دجيّة: وهي ما يبنيه الصائد ليستتر به. المعابل: النصال العراض. تعرّضت: أخذت تتلفّت يمنة ويسرة. حابل: الذي ينصب الحبالة والشرك.

4) ديوان الشماخ، ص30. انظر: ديوان لبيد، ص164. الشرف: المكان العالي. صياماً: قائمات. متفاليات: يحتك بعضها على بعض. صوادي: عطشى. ما يرتئي: أي ما يرى على القلب. متقابعات: أي يمشين خلف الحمار. وجهها: ساقها. قوارب: جمع قاربة، وهي الطالبة للماء ليلاً. اتلأبّت: أقامت صدورها ورؤوسها. القنا: الرماح. متؤودات: متمايلات. الثقاف: خشبة أو حديدة تسوى بها الرماح. القناة: الرمح.

كما أنّه أوردهن ماءً عذباً صافياً، لم تكدّره قطعان الماشية الأخرى، وبيّن الشماخ كيف سبق الحمار أتنه ليطمئن إلى خلوّ المورد من المزاحمة والأخطار. (1)

أمّا لحظة الورد، فقد صوّرها لبيد بطريقة مختلفة عن معظم الشعراء المخضرمين الذين صوّروا التوجّس والحذر في سلوك الحمار ومشيته أثناء تقدّمه إلى الماء، أمّا لبيد، فحماره يتقدم إلى مورد الماء آمنًا، يسير مطمئناً هادئاً كأنّه ضيف، مما يدلّ على جرأة الحمار وشجاعته، ورباطة جأشه فتجده يعوم في الماء إلى أعلى صدره، وذلك في قوله:

فَتَضَيَّفَـــا مــاءً بِدَحْلٍ سَـــاكنــــاً　　　يستنُّ فــــوقَ سراتــــهِ العُلجُومُ

غَلـــلاً تضمَّنَهُ ظِـــلالُ يـــراعةٍ　　　غَرْقَـــى ضفــــادِعُهُ لهنَّ نئيـــمُ

فمضى وضاحي الماءِ فوق لَبانِهِ　　　ورمى بها عُرْضَ السريّ يعومُ(2)

وبهذا، فقد نالت الحُمر الوحشية نصيباً وافراً من شعر الدراسة عامّة، ومن شعر الشمّاخ خاصّة، فعرضوا في شعرهم إلى بيان صفاتها الجسدية، وألوانها وطباعها وجاء حديثهم عنها مرتبطاً بوصفهم رواحلهم وهي تشقّ الصحراء المهلكة، فكانوا يريدون إضفاء طابع السرعة والشدّة والصلابة على هذه الرواحل، فشبهوها بالحّمر الوحشيّة بياناً للسرعة وقدرة الاحتمال.

الظباء

تحدّث الشعراء عن الظباء كثيراً في أشعارهم، فذكروا أوصافها و"راقهم فيها تناسق الأعضاء ورشاقتها، فشبهوا بها كل ما وجدوه رائقا في نظرهم، جميلاً في نفوسهم، ورددوا في تشبيهاتهم هذه جوانب معينة من هذا الحيوان، أما ذكرها مقرونة بالأطلال فقد وقف الشعراء عنده وقفات طويلة، وهم يستذكرون أيام لهوهم وصباهم لوداعتها وجمال صورتها، وتناسبها مع ما يحملون لهذه الديار من مكانة رفيعة"(3) وفي حديث الشعراء المخضرمين عن الأطلال، وصفوا الديار وما فيها من الظباء والبقر، وذكر لبيد خلّو الديار من أهلها، وكثرة الظباء والآرام والنعام فيها فيقول:

---

1) انظر: ديوان الشماخ،ص55-56.

2) ديوان لبيد، ص 88-89. يُروى: تصيّفا: أي قصداه بالصيف. الدحل: غار يكون في أصل الجبل يضيق من الاعلى ويتسع من آخره. يستن: يسير. السراة: الظهر. العلجوم: الموج او الضفدع. غللا: ماء جارياً ظاهراً. اليراعة: القصب. النئيم: الصوت الضعيف.

3) **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص 142.

لم تُبيِّنْ عنْ أهلِهـــــا الأطـــــــلالُ قد أتَى دونَ عهدِها أحـــوالُ
ليسَ فيهـــا مـــا إنْ يُبَيِّنُ للســــــا ئِلِ إلاَّ جَـــــآذرٌ ورئـــــالُ
والعــــواطي الأدمُ الســـواكنُ بالـ ـسلانِ منهـا الآحـادُ والآجالُ(1)

كان الشعراء يعمدون إلى تصوير الظباء الخواذل، وفي هذه الحالة تتبين محاسنها؛ لحذرها وتنبهها وقد جمع لبيد في تصويره للحدوج بين الظبية والمهاة في قوله:

كأنَّ نعاجاً من هجـــائنِ عـــــازفٍ عَلَيها وآرامَ السُّلِيِّ الـخَواذِلا(2)

كما شبه لبيد الهوادج التي تحمل النساء بالكناس، وهو بيت الظبي، فيقول:

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الـــحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُــوا فَتَكَنَّسُوا قُطُنَاً تَصِرُّ خِيَامُهَـا(3)

وقد أكثر الشعراء من استخدام صفات الظبية لتصوير المرأة، وراقهم منها حور عينيها، وسواد مقلتيها، وطول عنقها واستدارته، وخفة حركتها ورشاقتها. فشبه كعب أم شداد بظبية لينة كحيلة العينين، فاترة الطرف، وهاتان الصفتان من صفات الجمال عند العرب، حيث يقول:

أرى أمَّ شـــدادٍ بهـــا شبهَ ظبيــــــةٍ تُطِيفُ بمَكْحُولِ المَدَامِعِ خـاذِلِ
أغنَّ غضيضِ الطرفِ رخصٍ ظلوفُه ترودُ بمعتمٍّ من الرَّملِ هـائلِ(4)

وشبه لبيد النساء الجميلات بالظباء في قوله:

تَرُوحُ إذا رَاحَ الـــــشَّرُوبُ كـــأنّه ظِباءُ شقيقٍ ليسَ فيهنَّ عاطِلُ(5)

اكتفى بعض الشعراء بسمة خاصة من سمـــات الظبية، كالجيد مثلاً، وذلك في قول الشمـــاخ

---

1) ديوان لبيد، ص 150. انظر: ديوان لبيد، ص 268. الرئال: صغار النعام. العواطي: الظباء، لانها تعطو أي تتناول أوراق الأشجار. السلان: موضع. الآجال: القطعان.
2) ديوان لبيد، ص 139. النعاج: بقر الوحش. عازف، السلي: اسم موضع. الآرام: الظباء.
3) ديوان لبيد، ص 205. شاقتك: دعتك إلى الشوق إليها. الظُّعن: النساء اللواتي في الهوادج. تحملوا: ارتحلوا بجمالهم. تكنّسوا: دخلوا الهوادج، والكناس: شيء يتخذه الظباء، تجذب أغصان الشجرة، فيقع إلى الأرض فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به. هذا الكناس.
4) ديوان كعب، ص125. تطيف: تتخيّل إليها. الخاذل: المتخلف عن أمّه. الأغن: الذي في صوته غُنّة لصغره. غضيض الطرف: فاتره. الرخص: اللين الناعم. ظلوف: جمع ظلف، وهو ظفر ضخم مشقوق يكون لبعض الحيوانات كالبقر والشاة والظباء. ترود: تذهب وتجيء للرعي. المعتّم: التام. الهائل: الذي لا يتماسك إذا وطئ .
5) ديوان لبيد، ص 148. انظر أيضا: الديوان، ص 150. الشروب: كثير الشرب. شقيق: اسم مكان. العاطل: المرأة العارية من الحلي.

واصفاً محبوبته التي أطال الوقوف على أطلال دارها، بأنها ظبية جميلة بلا زينة، وأحسن ما فيها جيدها:

دار الفتـــاة التي كـــــنا نقول لهـــا يا ظبيةً عُطــــلاً حُســـــانة الجيد(1)

وكغنة الصوت ورخامته في قول كعب وهو يصف سعاد لحظة رحيلها مع قومها، وكيف بدت كغزال أغنّ، و في عينيها حياء و اكتحال:

وَما سُعــــــادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ(2)

وقد يشبه الشاعر ناقته بالظبية في سرعتها وشدّة عدوها، كما قال لبيد واصفاً ناقته:

قَـــدْ تجــــاوَزْتُ وتحْتي جَسْرَةٌ حَرَجٌ في مِرْفَقَيْها كــــــــــــالفَتَلْ

تسلُبُ الكـــانِسَ لمْ يُوأرْ بِهَــــــا شُعْبَةَ السّاقِ إذا الــــــظِّلُّ عَقَلْ(3)

كما وظّف الشعراء المخضرمون الظباء في تصوير سرعة نوقهم، وقت اشتداد الحرّ، حيث تلجأ الظباء إلى الظلّ. قال كعب:

يَخْبِطْنَ بالقومِ أنضاءَ السرِيح وقد لاذتْ من الشمسِ بالظِّلِّ اليَعَافِيرُ(4)

ويصف كعب الظباء وقت الهاجرة، فمن شدة الحرّ كأنّ الجبال قد لبست السراب وتقنّعت به، حتى صار لها كالعمائم، وكأن الظباء قد شويت بنيران لاهبة، يقول:

وهـــاجِرةٍ لا تَسْتَرِيدُ ظِباؤهــــا لأعلامها من الــــسَّرابِ عمائمُ

ترى الكاسعاتِ العفرِ فيها كأنمـا شواها فصلاّها من النارِ جـاحمُ(5)

---

1) ديوان الشماخ، ص 42. دار الفتاة: موطنها. عطلاً: لم تُعنَ بزينتها. حُسّانة الجيد: جميلة العنق.

2) ديوان كعب، ص109. غداة البين: ساعة الرحيل. الأغن: الذي في صوته غنة. انظر: ديوان كعب، ص 106.انظر أيضا: ديوان لبيد، ص 140،ص 72.

3) ديوان لبيد،ص 121. جسرة: ناقة ضخمة. الحرج: التي لا تركب. الفتل: اندماج في مرفقي الناقة. تسلب: تهجم على حين غرة. الكانس: الظبي الذي دخل كناسه. لم يوأر به: لم يشعر بها. الساق: ساق الشجرة. الشعبة: ما تفرق من الاغصان. عقل: اعتدل.

4) ديوان كعب، ص79 . انظر أيضا: ديوان كعب، ص68. يخبطن بالقوم: يسرن على غير هدى وقصد. السريح: السير الذي تشد به الخرمة فوق رسغ البعير. أنضاء السريح: بقاياه الخلقة البالية. لاذت: احتمت. اليعافير: جمع يعفور، وهو الظبي الذي لونه كلون العفر وهو التراب.

5) ديوان كعب، ص140. لا تستريد: أي لا ترود وقت الحر، فتذهب وتجيء. الأعلام: الجبال. الكاسعات: المستنفرات بأذنابها من الحر حيث تضعها بين أفخادها. قال بعضهم: التي تكثر حركتها. شواها: أنضجها الحر. صلاها: أحرقها. الحاجم: الموقد للنار.

كما صوّر الشمّاخ ناقته السريعة كأنها ظبية ترعى بعيدة عن ولدها، حتّى إذا ما تذكّرته وأحسّت الخوف عليه، عادت مسرعة إليه، يقول:

فبعَثْتُ هِلْواعَ الرَّواحِ كأنَّهـــا   خَنســـاءُ تتبعُ نائياً مِخراقـــا(1)

ودخل حديث الظباء في معتقدات الجاهليين، وكانت لهم أحاديث كثيرة في السانح والبارح (2)، قال كعب في سرعة انتشار الشيب في شعره:

عَلاَ حاجِبَيَّ الشَّيْبُ حتّى كأنّه   ظباءٌ جرت منها سنيح وبارحُ(3)

الوعول

تعدّ الوعول مثالاً للقوّة، وتُتّخذ موضوعاً للتأسّي، وقد اتخذها الشعراء مثالاً للعجز عن إدراك الخلود في هذه الحياة، والبقاء فيها؛ فهي على قوّتها لا تنجو من الدهر ونوازله، فهي تجعل الجبال الشوامخ مساكن لها، ولكنها لا تعصمها من الموت، وهذا دليل على أنّ القوة مهما عظمت فهناك ما يقهرها، وهذا ما عبّر عنه لبيد متحدّثاً عن جبروت الموت، ومعتبراً بمن فنيَ من عظماء الناس:

لو كان شيءٌ خـالداً لتواءَلَتْ   عصْماءُ مُؤلِفَةٌ ضواحيَ مأسَلِ

بظُلُوفِها وَرَقُ البَشَامِ ودُونَـها   صَعْبٌ تَزِلُّ سَرَاتُهُ بـــالأجدَلِ(4)

ومبعث اعتبار الشعراء الوعول في مأمن حصين، أنها تجعل مساكنها في أعالي الجبال، وقد اتخذ كعب من معاقل الوعول الآمنة هذه مثالاً، يشير به إلى ما يوفره الأنصار من أمن وحماية لمن يستجير بهم، قائلاً:

وإذا نزلتَ ليمنعوك إليهمُ   أصبحتَ عند معاقِل الأغفارِ(5)

---

1) ديوان الشماخ، ص82 . انظر أيضاً: ديوان الشماخ، ص83. هلواع الرواح: سريعة السير. الخنساء: الظبية في أنفها خنس، أي ارتداد وقصر. نائياً مخراقا: قصد بها ولد الناقة المبتعد النائي.

2) انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص 146.

3) ديوان كعب، ص51 . جرت: سرت وفرّت. السانح: الذي يمر من يسار الرائي إلى يمينه. البارح: ما مر من يمين الرائي إلى يساره، والعرب تختلف في التميّن والتشاؤم بهما، فهما عندهما حسب اعتقاد كل قبيلة، لأنه قد يتفاءل قوم بأحدهما ويتشاءمون بالآخرة، والعكس بالعكس.

4) ديوان لبيد، ص170. تواءلت: نجت. عصماء: أروى، أي أنثى الوعل. مؤلفة: تألف الإقامة هناك. ضواحي: نواحي بارزة. مأسل: اسم جبل. البشام: شجر طيب الريح والطعم، تتخذ منه المساويك. الصعب: الجبل الصعب المرتقى. السراة: المتن. الأجدل: الصقر.

5) ديوان كعب، ص60. المعاقل: الحصون، والمعقل ها هنا أعلى الجبل. الأغفار: أولاد الأرويّة، والأرويّة: أنثى الوعل، والوعل: تيس الجبل.

وكان الشعراء يذكرون الوعول في حديثهم عن المطر، وكيف يضطرها للنزول، ونجد لبيداً يصف تلك الوعول الضخمة فزعة من المطر والسيول، تاركة حماها وأماكن تحصنّها الجبلية، يقول:

فَحَدَّرَ العُصْمَ مِنْ عَمَايَةَ للسّهْـ ـلِ وَقضَّى بصـــــاحَةَ الأرَبا

فَالماء يَجْلُو مُتُونَهُنَّ كَمَـــــا يجلو التّـــــلاميذُ لُؤلؤاً قَشِبَا(1)

أمّا كعب، فدلّل على جمال مليحته، بأنها لو ظهرت لوعل، يسكن الجبال الشامخة، لنزل تاركاً معقله الآمن، مسرعاً إليها، يقول:

ولَوَ أنّها جادتْ لأَعْصَمَ حِرْزُه مَتَمنِّعٌ دون السّمـــــاءِ مُنِيفُ

لاستنزلتهُ عيطلٌ مكحـــولةٌ حَوْراءُ جادَ لها النَّجَادَ خَرِيفُ(2)

وقد شبّه الشماخ صاحبته المتمنّعة التي لا ينال منها وصلاً بالأروى الحرون، التي تعتصم بأعلى الجبل حذر أن تصطاد فيقول:

كِلا يَومَي طُوالَةَ وَصلُ أَروى ظَنونٌ آنَ مَطَّـرَحُ الظَنـــونِ

وما أروى وإنْ كرمتْ علينــا بأدنى مِن موقَّفةٍ حَـــــرونِ

تُطيفُ بها الرمـــــاةُ وتتّقيهم بأوعالٍ معطفةِ القـــــرونِ(3)

---

1) ديوان لبيد، ص35. العصم: الأوعال. عماية: جبل بالبحرين. صاحة: جبل من أطراف عماية. قضى الأرب: أي أفرغ ما فيه من ماء. متونهن: أي متون العصم. التلاميذ: غلمان الصاغة. القشب: الجديد.

2) ديوان كعب، ص95. أعصم: الوعل، يكون في ذراعيه أو في إحداهما بياض، وسائره أسود او أحمر. حرزه: مكانه الذي يحترز به، يعني به الجبل. المنيف: المشرف. استنزلته: أي جعلته يترك معقله ويسرع إليها. العيطل: طويلة العنق. الحوراء: التي في عينيها حور، وهو أن يشتد بياض البياض في العين ويشتد سواد سوادهما. النجاد: ما ارتفع من الأرض . خرفت البهائم: أصابها الخريف، أو أنبت لها ما ترعاه.

3) ديوان الشمّاخ، ص112. طوالة: اسم بئر. الظنون: الذي لا يوثق به، البئر الظنون: القليلة الماء، التي لا نثق بمائها. أدنى: أقرب. الموقّفة: الأروية التي في قوائمها خطوطاً تخالف لونها، أو التي في قوائمها خطوط سواد، والتوقيف: البياض مع السواد. الحرون: قصد بها الأروية وهي واحدة الأروى، وهي أنثى الوعل التي تحرن في أعلى الجبل فلا تبرح. الأوعال: جمع وعل، وهو تيس الجبل. معطفة القرون: أي أن قرونها محنية إلى الأعلى مع إقبال أطرافها بعضها على بعض.

النعام

عاش النعام في بلاد العرب زمناً طويلاً، وعرفوا من أحواله شيئاً كثيراً تبينت في أعمالهم، وفي شعرهم وأمثالهم، وكان الشعراء يستقصون أوصافه، ويقفون عند بعض عاداته وقوفاً طويلاً. وكانوا يزعمون في خلقه مزاعم غريبة.[1]

وقد ضرب العرب المثل في خرق الرأي، وفساد العمل، وإيثار البعيد على القريب، بالنعامة تهجر بيضها، وتتركه في العراء، وتذهب لتحتضن بيض نعامة أخرى.[2] وقالوا: "أحمق من نعامة"، و"أموق من نعامة"، وقالوا: أجبن من نعامة، وأعدى من ظليم. وهم في أمثالهم تلك، إنّما يؤكدون معاني الخوف والذعر، والحمق والحذر، والسرعة. [3]

إن السرعة هي الصفة الأهم التي عني الشعراء بإبرازها، وهي ما يتميز به النعام، فنجد الشماخ يصف الظليم والنعامة، وهما مندفعان في سيرهما، كأنهما زخّة من المطر السريع، وإذا اشتدّ جريهما، يخدّدان الأرض بأظلافهما من شدّة قوّتهما، يقول:

إذا استَهَلّا بِشُؤبوبٍ فَقَد فُعِلَت   بِما أَصابا مِنَ الأَرضِ الأَفاعيلُ[4]

وقد وظّف الشعراء الصفة الغالبة على النعامة، وهي سرعة عدوها، في صور مختلفة من شعرهم، واستغلوا هذه الخصلة، فشبهوا بها مطاياهم وسرعة سيرها في الأرض الصلبة، فشبه الشماخ ناقته السريعة، التي يريد أن توصله ديار أحبّته، بالنعامة، بياناً لسرعتها في قوله:

هل تبلغني ديار الحي ذعلبةٌ   قـــوداءُ في نُجُبٍ أمثالهـــا قود[5]

أمّا كعب، فيشبّه ناقته السريعة بنعــامة ربداء، واسعة الخطـو، سريعـة، تنسف الأرض برجلهــا، فتثير

---

1) الجاحظ،، أبو عثمان عمرو بن بحر (1965)، **الحيوان،** تحقيق عبد السلام هارون، (ط2) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مجلد145/1. ومجلد 321/4،310. مجلد 321/4،310، 326.

2) انظر: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي،** ص108. ، انظر أيضاً: **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري،** ص127. انظر:أيضاً: **الطبيعة في الشعر الجاهلي،** ص 153.

3) انظر: الجاحظ، **الحيوان،** م198/1. انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي،** ص 148.

4) ديوان الشماخ،ص98. استهلّا: تدفّقا في الجري. الشؤبوب: دفعة من المطر.

5) ديوان الشماخ، ص42. الذعلبة :النعامة ،وقيل: الناقة السريعة السير. القوداء : طويلة العنق والظهر. نجب: جمع نجيب، وهو القوي من الإبل. القود: جمع قوداء، وهي الضامرة. وقد تكرر وصف النعامة في حوالي (14) أربعة عشر بيتاً من شعر ديوان الشماخ. انظر :الصورة الفنية في شعر الشماخ، ص 85-86.

التراب والغبار:

أفتلك أمْ ربداءُ عاريةُ النَّســـا　　　زجاءُ صادقةُ الرواحِ نسوفُ(1)

وكذلك لبيد، فهو يقطع الأرض البعيدة المترامية الأطراف، بائدة المعالم، على ناقة ضخمة كريمة، وشبهها لسرعتها بظليم أفزعته ريح الشمال:

وأقطَعُ الخَرْقَ قد بادَتْ مَعَالِمُهُ　　　فمَا يُحسُّ بـــهِ عينٌ ولا أثَــــرُ

بِجَسْرَةٍ تَنْجُلُ الظُّرَّانَ نـــاجِيَة　　　إذا توقَّدَ في الدَّيمومةِ الـــظُّرَرُ

تَنْجُو نَجَاءَ ظَلِيمِ الجَــوِّ أفْزَعَهُ　　　ريحُ الشَّمَالِ وشَفَّانٌ لهـا دِرَرُ(2)

كما كانوا يذكرون الظليم أو النعام الذي احمرّت ساقاه وأطراف ريشه، لكثرة رعيه العشب؛ لأنه يكون أسرع في هذه الحالة وأنشط، فلا تتمكّن الخيل من طلبه. كقول الشماخ في تشبيه ناقته بالظليم:

يَدا مَهاةٍ وَرِجلا خاضِبٍ سَنِقٍ　　　كَأَنَّهُ مِن جَناهُ الشَريُ مَخلولُ(3)

كما شبه لبيد فرسه في المعركة بالظليم قائلاً:

وترى الـمسوَّمَ في القِيادِ كأنَّهُ　　　صَعِلٌ إذا فقدَ السِّبــاقَ يَصُومُ(4)

كما عرض الشعراء لذكر النعام في حديثهم عن ديار الأحبة، وخلوّها من أهلها، ولم يجد الشعراء حيواناتٍ أكثر وداعةً من الظباء والآرام والنعام، ترود مثل هذه الأماكن التي يحفظون لها أحسن الذكريات لتكون متناسبة مع عظم منزلة الديار في نفوسهم. ومثال ذلك وصف لبيد لقطيع من النعام، الذي اتخذ من ديار الأحبّة مقرّاً له، فلا يسمع في تلك الديار إلّا أصوات الظلمان، وأصوات انهيار الرمل، كما أصبحت مليئة بالنعام وصغاره:

---

1) ديوان كعب، ص96. انظر أيضاً: الديوان، ص 91. الربداء: النعامة. الرّبدة: بياض إلى سواد. يريد: أفتلك الأتان أم هذه النعامة الربداء أشبهت ناقتي. النسا: عرق يجري في الفخذ ثم يجري في الساق، وقوله: عارية النسا: أي عارية موضع النّسا، فلا لحم عليه ولا ريش. الزجاء: واسعة الخطو بعيدته، دليل على سرعتها. النسوف: التي تنسف الأرض برجلها فتثير التراب والغبار.

2) ديوان لبيد، ص86-87 . تنجل: ترمي به . الظران: الحجارة. الديمومة: الملساء المستوية. وقيل: الأرض الواسعة تتوقد من حر الشمس. تنجو: تمر كمر الظليم. الجوّ من الأرض: مطمئنها. شفّان :الرياح الباردة. درر: درر من المطر. كما شبه لبيد ناقته بالظليم في مواضع أخرى، انظر: المصدر نفسه، ص232، ص273.

3) ديوان الشماخ، ص97. خاضب: الظليم وهو ذكر النعام الذي اغتلم فاحمر ساقاه. سنق:الذي أصابه البشم. جناه: أكله. الشري: الحنظل. المخلول: الذي وضع في فمه الخلال، فسال لعابه. والخلال: عود يوضع في لسان الفصيل ليمنع من الرضاعة.

4) ديوان لبيد، ص191. المسوّم: الفرس المعلم. الصعل: الظليم. يصوم: يقوم.

تحمّلَ أهلُها إلاَّ عـــــــــراراً وعزفـــاً بعدَ أحيْاءٍ حِـــلالِ

وخَيْطاً مِن خَواضِبَ مُؤلِفَــاتٍ كأنَّ رئالَهــا أُرْقُ الإفَـــالِ[1]

استقصى الشعراء أوصاف النعام، ووقفوا طويلاً عند عاداته، وضخامة حجمه، أمّا ذكر النعام، فيسمّى الظليم، وقد أكثر الشعراء المخضرمون من ذكر رأس الظليم في قصائدهم، ووصفوه بالصعل، ومن ذلك قول لبيد:

أَفَذَاكَ أمْ صَعْلٌ كـــأنّ عِفَاءَهُ أوزاعُ ألقاءٍ على أغصـــــانِ

يُلقي سقيطَ عفائِه مُتقاصـــراً للشدِّ عاقدَ منكبٍ وجــــرانِ

صعلٌ كسافلةِ القنـــاةِ وظيفُهُ وكأنَّ جُؤْجُؤهُ صفيحُ كــرانِ[2]

أمّا عدو النعامة ففيه تبَخْتُر، وكأنّها ترقص، حيث وصفها الشمّاخ بقوله:

هَيْق هِزَفّ وزَفَّانِيَّة مَرَطَـــى زَعْراء ريش ذُناباها هَراميلُ[3]

ووصفها كعب في قوله:

عَوَاسِلٌ كرَعِيلِ الرُّبْدِ أَفْزَعَها بالسيِّ من قانصٍ شـلٌّ وتنفيرُ[4]

وكان صوت النعام يلفت انتباه الشعراء، وهم يسمعونه في القفار الواسعة، أمّا النعام نفسه، فقد زعم بعضهم أنّ الظليم منه فاقد لحاسّة السمع، وأنّه عُوّض عنها بحاسة الشم. هذا ما قالته العرب وهذا ما قاله بعض شعرائهم[5]، وكان للبيدٍ رأي آخر، فقال إنه يسمع، واحتج من زعم أنها تسمع بقول لبيد:

---

1) ديوان لبيد، ص151. انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص202 . تحمّل: ارتحل. العرار: صوت ذكر النعام. العزف: انهيار الرمل، وما تحدثه من دويّ عند ذلك، وقد نسبه العرب إلى الجنّ، فقالوا: العزف صوت الجن. الحلال: المقيمون. حيّ حلال: كثير العدد. الخيط: القطيع من النعام. خواضب: اصطبغت أطرافها بماء الأعشاب. مؤلفات: تعيش مع ألافها. الرئال: صغار النعام. أرق: جمع أورق، وهو الأسود. الإفال: جمع أفيل، وهو الفصيل، أي الجمل الصغير.

2) ديوان لبيد، ص273. الصعل: الظليم، دقيق العنق، صغير الرأس. العفاء: الريش. أوزاع: قطع. ألقاء: ما ألقي. السقيط: ما سقط من ريشه. متقاصراً: مجتمعاً، أي إذا أراد أن يعدو اجتمع. عاقد منكب: تقبّض فعقد منكبه. الجران: باطن الحلق. الوظيف: عظم الساق. الجؤجؤ: الصدر. الكران: البربط، يقول: كأن صدره صدر عود. الصفيح: الخشب المشقوق.

3) ديوان الشماخ، ص 97. الهيق: الظليم. الهزفّ: الظليم المسنّ السريع، أو النافر، أو الطويل. الزفانية: النعامة التي تزفن، أي ترقص في عدوها. مرطا: أي أسرعا. الزعراء: التي تحات ريشها. ذناباها: ذنبها. هراميل: ساقط.

4) ديوان كعب، ص80. العواسل: التي في سيرها اضطراب واهتزاز لخفتها وسرعتها. رعيل: جماعة. الربد: النعام، وهي ما كان لونها كلون الرماد. السيّ: ما استوى من الأرض، أو هو موضع بعينه. الشلّ: الطرد. التنفير: النفور عن المكان بذعر.

5) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص 155.

وصُحْمٍ صِيامٍ بَينَ صَمْدٍ ورَجْلةٍ   وبيضٍ تؤامٍ بينَ ميثٍ ومــذنبِ
متى ما أشأ أسْمَعْ عِراراً بِقَفْرَة   تجيبُ زماراً كاليَراعِ المثقَّبِ[1]

ولم يترك الشعراء المخضرمون الألوان التي ميّزوا بها هذا الحيوان، وهم يعرضون للحديث عنه، فكان اللون الأسود أو الرماديّ هما اللونان اللذان لوّن بهما الشعراء صورة هذا النعام وأهداب ريشه، وهذا ما حملهم على تشبيهه برجال الهند لسواده. وقد شبه لبيد الظلمان ذات اللون الأسود في الصحراء، بجماعات من الأحباش، قائلاً:

ورقـــاقٍ عُصَبٍ ظُلْمـــانُهُ   كحَزيقِ الحَبَشيِّنَ الـــزُّجَلْ[2]

أما كعب، وفي صورة مشابهة، شبه النعامة والظليم بعبدين حبشيين، أسرعا في الهرب من سيّدهما، بعد أنّ فكّ قيداهما وأُطلقا [3] وفي موضع آخر، شبّه كعب الظليم والنعامة، برجل وامرأته من بلاد النوبة في لونيهما، يقول:

وكـــــأنّها نوبيّةٌ وكـــــأنّهُ   زوجٌ لهـا من قومِها مَشعوفُ[4]

واهتمّ الشعراء ببيض النعام ولونه، وقد أثار لونه الأبيض شجون الشعراء، فاقتصروا على تشبيه المرأة بلون البيضة وهو اللون الأبيض؛ ليؤكدوا هذا اللون فيها، كما لفت نظرهم حنين النعام وشدة هياجه عند تذكره بيضه وهو بعيد عنه، فيعود من فوره بسرعة كبيرة، لا يلوي على شيء حتى يصل إليه، فيحتضنه ويدفئه[5]. فلبيد عندما يتحدث عن الظليم والنعامة، يتحدث عنهما وهما يبكّران على بيض باضاه في أول الربيع، فقدم عهده، وغيّرته الأمطار، يقول: [6]

حتى إذا أفــدَ العشيُّ تروحَــا   لِمَبِيتِ رِبْعِيِّ النِّتــاج هجَــانِ

---

1) ديوان لبيد، ص48. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص151، ص247. صحم: الحمير السود. صيام: قيام. الصمد: المكان الغليظ. الرجلة: مسيل الوادي. تؤام: اثنتين اثنتين. الميث: الأرض السهلة. المذنب: مجرى الماء. العرار:صوت ذكر النعام ، الزمار : صوت انثى النعام. اليراع: زمارة من قصب.
2) ديوان لبيد،ص121. الرقاق: الصحراء المتسعة. الظلمان: ذكور النعام. الحزيق: الجماعة. الزجل: المجتمعون المحتشدون.
3) انظر: ديوان كعب، ص92.
4) ديوان كعب، ص97. النوبية: نسبة إلى النوبة، والنّوب جماعة من السودان يسكنون بلاد النوبة. المشعوف: الإلف الذي لا يفارق. الشعف: الولوع بالشيء، حتى لا يعقل غيره.
5) انظر: الجاحظ، الحيوان، مجلد 327/4-329.
6) ديوان لبيد، ص275. أفد: قدم وعجل عليهما. تروّحا: بكرا عليه. مبيت ربعي النتاج: يعني بيضهما الذي باضاه في أول الربيع. هجان: أبيض. الرهم: الأمطار الضعيفة. البرقة: رملة يخالطها حصباء. الكبوان: واد.

طـــــــالتْ إقـــامته وغيَّرَ عـهدَهُ رِهَمُ الرَّبيع بِبُرْقَةِ الكَبَـــــوَانِ

ولم يكن الشماخ بعيداً عن هذه الصورة، حيث صور ذكر النعام وأنثاه، ينطلقان كأنهما زخّة من المطر السريع، وقد حرثا الأرض حرثاً بأظلافهما، من شدّة عدوهما وسرعتهما، وحين وصلا وجدا البيض وقد انفلق بعضه عن صغارهما، ومن ثمّ اكمل وصف حالة الأبوين، وكذلك وصف الفراخ(1). ويصف كعب النعامة والظليم في موضع يُدعى "النفاخ"، حيث الماء الوفير، فيتغذيان على المغد واللصف، وأنواع أخرى من النبات، حتى تخضرّ أنوفهما من كثرة ما يأكلان، ثم يعودان إلى بيضهما بسرعة وصفها الشاعر بالطيران، فهما لا يلتفتان لشيء، حتى يصلا إلى البيض:

ظَلاَّ بأَقْرِيةِ النَّفَّـــــاخِ يومَهمـــــا يَحْتَفِرَانِ أُصُولَ المَغْدِ واللَّصَفَا

والشَّرْيَ حتّى إذا اخضرَّتْ أُنوفُهما لا يألوانِ من التنُّومِ ما نقفـــــا

راحا يطيرانِ معوجَّين في ســـرعٍ ولا يريعــان حتى يهبطا أنُفا(2)

وممّا تجدر ملاحظته ما للمطر من أهميّة كبيرة في قصة الظليم والنعامة، التي تكرر ذكرها في الشعر الجاهلي والإسلاميّ(3)، وما كان الشعراء يرسمونه من فزع الظليم من المطر، وخوفه وهربه وشدّة هلعه، وكيف يفرّ من العاصفة والمطر والريح الباردة، وينطلق مسرعاً إلى بيضه ليحفظه من المطر، وما إن يصل هو والنعامة إلى عشّهما حتّى تحتضن النعامة البيض، وتبعث فيه دفء الحياة. قال لبيد:

تَنْجُو نَجَاءَ ظَلِيمِ الجَـــوِّ أَفْزَعَــــهُ ريحُ الشَّمَالِ وشَفّانٌ لهـا دِرَرُ(4)

---

1) انظر: ديوان الشماخ، ص98.

2) ديوان كعب،ص92، 91 . انظر أيضاً: الديوان، ص 92-93. الأقرية: مسايل الماء إلى الرياض. النفاخ: اسم موضع. المغد: شجرة مثل القثاء يقال لها الفشغة. اللصفا: نوع من النبات يشبه الخيار. الشري: شجر الحنظل. يألوان: يقصّران. التنّوم: شجر صغار له ثمر مثل الشهدانج. نقف: شقّه عن حبّه. يطيرانِ معوجَّين: أي منحرفين نحو بيضهما. لا يريعان: لا يرجعان أو لا ينعطفان. الأُنف: التي لم تُرع من قبل.

3) انظر: **المطر في الشعر الجاهلي**، ص206، 207 .

4) ديوان لبيد، ص 87. تنجو: تمر كمر الظليم. الجوّ من الأرض: مطمئنها. شفّان: الرياح الباردة. درر: درر من المطر.

الذئاب

الذئب حيوان عرفه العرب جيداً، فهو مصدر التهديد لأنعامهم، التي هي المصدر الرئيسيّ لرزقهم ، فكانوا يخشونه في حلّهم وترحالهم. ولكعب أبيات يصف فيها الذئب، ويرفض شراء غنم له؛ خشية عليها منه. يقول:

أخشى عليها كسوباً غيرَ مدَّخرٍ ... عَارِي الأشَاجِع لا يُشْوِي إذا ضَغَمَا
إذا تلوّى بلحمِ الشاةِ تبَّرهـــــا ... أشلاءَ بردٍ ولم يجعلْ لها وَضمـا(1)

وكانت الذئاب تؤذي الرعاة، تغتنم الفرص، فتهجم على ماشيتهم، وتفترس ما تستطيع افتراسه منها. لهذا، كانوا إذا نزلوا أرضاً مسبعة(2)، خافوا منها، وأوقدوا بها ناراً في الليل، لطرد السباع عنهم. وإذا جاع الذئب، صار شرساً جريئاً لا يهاب الإنسان، فيهجم على الغنم، مع وجود الرعاة معها، وقد يهاجم البشر. والذئب حريص على المطالبة، فإذا عجز استغاث عاوياً فتتجمع الذئاب لعوائه، وتهاجم الإنسان وتأكله(3). وفي وصف الذئب وافتراسه قال كعب:

إن يغدُ في شيعةٍ لم يثنهِ نهـرٌ ... وإن غدا واحداً لا يتّقِي الظّلمـــا
وإنْ أطَافَ ولم يَظْفَرْ بِضَائنةٍ ... في لَيْلَةٍ سَاوَرَ الأقْوامَ والنَّعَمَــــا
وإنْ أَغَــارَ ولــم يَحْلَ بِطَائلَةٍ ... في ظُلْمةِ ابنِ جَمِيرٍ سَاوَرَ الفُطُمَا(4)

أمّا لبيد، فأشار إلى الذئاب وطعامها، فهي تتعيّش من الصيد، وتعتمد على جهدها، ووصفها حين افترست ولد البقرة الوحشية في معلّقته، قائلاً:

لِمعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَـازَعَ شِلْـوَهُ ... غُبْسٌ كَـوَاسِبُ لا يُمَنَّ طَعَامُهَــا(5)

---

1) ديوان كعب، ص147. أخشى عليها: اي أخاف على الغنم. الكسوب: الذئب.عاري الأشاجع: أي العروق والأعصاب المتصلة بالأصابع وأصولها، لشدة هزاله. لايشوي: لايخطئ، بل يصيب المقتل. الضغم: العض. تلوّى: انعطف. تبّرها: مزّقها. البرد: الثوب المخطط يلتحف به. الوضم: الخشبة التي يقطع عليها الجزّار اللحم.

2) أرض مسبعة: أي ذات سباع.

3) **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، ص124. انظر أيضاً: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد10/7، 64.

4) ديوان كعب، ص148. الشيعة: القوم والتبع والأصحاب. النهر: الزجر. الظّلم هنا من الظّلم. أطاف: من الطواف. ضائنة: النعجة. ساور: واثب. النعم: المواشي الداجنة. لم يحل: لم يصب منها شيئاً. ظلمة ابن جمير: الليل والظلمة، وقيل: أظلم ليلة في الشهر. الفطم: السخال.

5) ديوان لبيد، ص218. انظر أيضاً: الديوان ص 150. المعفر: ابنها الذي سحب في التراب وعفر. القهد: ضرب من الضأن تصغر منه الآذان وتعلوها حمرة.. شلوه: بقيّته. الغبسة: صفرة إلى سواد، والغبس: ذئاب بهذا اللون. كواسب: تكسب ما تأكل. لا يمنّ طعامها: تتعيش من الصيد وتعتمد على جهدها.

وكان لصوت الذئب وقع في نفوس الشعراء، فإذا أرادوا أن يذكروا الفزع والرعب، ذكروا عواءه، قال كعب:

وذِئاباً تَعْوِي وأَصْواتَ هـــــامٍ مُوفِياتٍ مع الظَّــــلامِ قُبورَا[1]

وإذا أراد الشاعر أن يدلّل على شجاعته، دلّل بعدم فزعه من الذئب وصوته؛ لأنّ الذئب لا يصوّت –في أغلب الأحيان- إلّا في حالات الجوع.[2] ونجد كعباً يصف رحلته على ناقته، معتدّاً بها وبنفسه، فهو يقطع بها المفاوز والأماكن الموحشة النائية، التي يسكنها الجنّان "جمع جن"، والذئاب، يقول:

مخوفٍ به الجنان ، تعوي ذئابـــه قطعتُ بفتـــلاءِ الذِّراعين بازلِ
تُجَاوِبُ أَصْدَاءً وحِيناً يَرُوعُـــها تضورُ كسّابٍ على الرَّكبِ عائلِ[3]

وفي حديث كعب عن رحلاته في القفار الموحشة، يصف ذئباً قد رأى ما فيه من الوحشة، فاقترب منه مقدار ما يرمي من النبل، وبدأ يعدد أوصافه بدقة وبراعة، يقول:

قطَعْتُ يُمَاشِينِي بهـــا متضائلٌ من الطُّلْسِ أحيـاناً يَخُبُّ ويَعْسِلُ
تقرَّبَ حتى قلتُ لـــم يدنُ هكذا من الإنـس إلا جـــاهلٌ أو مضلَّلُ
مَدى النَبلِ تَغشاني إذا مــا زَجَرتُهُ قُشَعريرَةٌ مِـــن وَجهِهِ وَهُوَ مُقبِلُ
إذا ما عَوَى مُسْتقبِلَ الرِّيحِ جَاوبَتْ مَسَـامِـعُـه فَـاهُ علـى الـزَّادِ مُعْوِلُ
كأنَّ دخانَ الرَّمثِ خالطَ لـــونهُ يُغـلُّ بـه مـن بـــاطـنٍ ويـــجـلـلُ
بصيرٌ بأدغـــال الضَّراءِ إذا خدى يَعـيـلُ ويَخْـفَــى بالجَـهَـاد ويَـمْثُلُ
تَرَاه سَمِيناً مـــا شَتَا وكـــأنه حميٌّ إذا ما صــافَ أو هو أهزلُ[4]

1) ديوان كعب، ص 68. الهام: ذكور البوم. موفيات: من وافى المكان، أي أتاه.

2) **الحيوان** 378/1 ، وانظر أيضاً: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص 163.

3) ديوان كعب، ص 127، 128. بفتلاءِ الذِّراعين: ذراعا ناقته مالا عن زورها. بازلِ: الذي طلعت نابه من الإبل، و يكون في العام التاسع من عمره. الأصداء: جمع صدى، وهو طائر كالبوم. يروعها: يخيفها. تضوّر: صوت الذئب، وهو أن يلويه تلوية عند الجوع. كسّاب: محترف. العائل: المحتاج وذو العيال.

4) انظر: ديوان كعب، ص 118-120. متضائل: نحيف. الطلس: الذئاب، في لونها طلسة، أي تعلوها كدرة. يخب: من الخبب، وهو نوع من العدو. العسلان: عدو الذئب. مدى النبل: مرمى النبل. الزجر: الطرد بالصياح وغيره. مستقبل الريح: أي باتجاه هبوبها. جاوبت مسامعه: أي إذا قابل الريح دخلت في فمه ثم خرجت من مسامعه لخلاء جوفه. معوّل: مصوّت. الرمث: نبات بري يشبه الغضا، ودخانه أبيض تعلوه غبرة. يغلّ به: يدخل. بصير: خبير. الضراء: الشجر الملتف الذي يستر. خدى: أي أسرع وزجّ بقوائمه. يعيل: يميل في ناحيته. الجهاد: الارض الصلبة. يمثل: يظهر. الحميّ: الممتنع عن الطعام. صاف: من الصيف. الهزال: الضعف.

أمّا الشماخ، فذكر الذئب في وصفه لرحلته إلى ديار الحبيبة، وكيف هزم الذئب وطرده عن مورد الماء، قائلاً:

ذَعَرتُ بِهِ القَــــطا وَنَفَيتُ عَنهُ   مَقامَ الذِئبِ كَـــــــالرَجُلِ اللَعينِ(1)

وذكر الشماخ مطاردة الطيور الجارحة للذئاب، في رؤوس الجبال قائلاً:

تُطارِدُ سيدَ صارَاتٍ وَيَومـــــاً   عَلى حِزّانِ قـــــاراتِ الـجُموعِ(2)

وقد استحسن العرب تشبيه الشاعر خيله بالذئب، كما قال الشماخ في إحدى أراجيزه:

يَتْبَعْنَ ذَيَّالاً كسِرحانِ الغَضا (3)

كما شبّه كعب فرسه الكميت بالذئب، ووصفه أنّه قويّ البنية، ضخم القوائم، و حوافره من شدة صلابتها كأنها أُلبست الحديد، فلا تتأثر ولا تدمى لسير مهما اشتد، يقول:

ممرٌّ كسرحانِ القصيمة منعــلٌ   مَسَاحِيَ لا يُدْمِي دَوابِرَها الوَجَى(4)

أمّا لبيد فشبّه خيول قومه السريعة الشديدة بالذئاب قائلاً :

يَخرُجْنَ من خللِ الغُبارِ عَوابساً   تَحْتَ العَجاجَةِ في الغُبارِ الكَـابي(5)

الكلاب

شاطرت الكلاب العربيّ حياته الصعبة، وعانت مثله ما كان يعانيه في حلّه وترحاله(6)، وقام العربيّ بتدريبها والانتفاع بها في الحراسة، ومرافقة قطعان الماشية لحمايتها من الذئاب(7). وكانت الكلاب بدورها تحتفي بضيفه، وتنبّهه إلى أعدائه، وكانت كذلك تنبح على القادمين ليلاً، فتحذر أهل ذلك المكان، يقول لبيد:

---

1) ديوان الشماخ، ص 113. ذعرت: أفزعت. القطا: طير معروف. نفيت: طردت. اللعين: الطريد.
2) ديوان الشماخ، ص 79. السيد: الذئب. صارات: اسم جبال، وقيل: صارت جبال واحدها صارة. حزّان: جمع حزن، وهو ما غلظ من الأرض. القارات: أصاغر الجبال وأعاظم الآكام. الجموع: الأحياء المجتمعة.
3) ديوان الشماخ، ص 128. الذيّال: طويل الذيل، المتبختر من الخيل. السرحان: الذئب.
4) ديوان كعب،ص 45. مُمر: المدمج الخلق. السرحان: الذئب. القصيمة: قطعة من الأرض. مساحي: مفردها: مسحاة، وهي آلة من حديد كالمجرفة يجرف بها الطين ونحوهز وهي هنا الحوافر. دوابرها: أواخرها. الوجى: الحفا.
5) ديوان لبيد، ص 39. العوابس: الذئاب العاقدة أذنابها. الكابي: المنتفخ الكثير، الذي لا يستقر على وجه الأرض.
6) الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 174/2،175.
7) الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 302/1 ، مجلد178/2.

فبِتْنـــــــا حَيْثُ أمْسِيْنَأ قَريبـــــاً   على جســـــداءَ تنبحُنـــــا الكليبُ[1]

وأولاها العرب اهتماماً كبيراً، " وحرصوا على إبراز خصائصها، من فراهة ونشاط وحدّة في السمع والبصر وخلق خاص، وحفظوا أنسابها كالخيل"[2]،وأطلقوا عليها الأسماء، فمنها رَكاح وسَائِل اللذان وردا في شعر لبيد العامريّ:

فأصبحَ وانْشَقَّ الضَّبابُ وهــاجَهُ   أخُو قَفْرَةٍ يُشْلي رَكاحـــــاً وسَائِلا[3]

ويعتبر موضوع الصيد من المواضيع التي أكثر شعراء الجاهلية والإسلام من ذكر الكلاب فيها، وكانوا يذكرونها في مجالاتٍ متعددة، وأغراض مختلفة، وذكروها في حديثهم عن رواحلهم، بعد تشبيهها بالثيران الوحشية أو البقر الوحشي،[4] كما كانوا يصوّرون المعركة بين كلاب الصيد والثور الوحشي. [5]

وقد أسهب الشعراء في ذكر أسماء كلاب الصيد، وأسماء أكثر الصيادين شهرة وقبائلهم، وأورد لبيد بعض أسماء كلاب الصيد التي خاضت معركة لاصطياد ثور وحشي، وذلك في قوله:

فَتَقصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ فَضُرِّجَتْ   بِدَمٍ وَغُودِرَ في الْمَكَرِّ سُحَامُهَا[6]

وفي موضع آخر، نجد لبيداً يصف الصياد الذي شبهه بالذئب، وقد أطلق كلابه الضارية لتهاجم ثوراً وحشياً، ثم كانت نتيجة هذه المعركة أن الثور صرع الكلاب.[7]

كما وصف الشعراء المخضرمون حال الكلاب بعد رجوعها من معركة الصيد التي خاضتها في مهاجمة ثور الوحش، وكيف أثخنها الثور بالجراح، فتضرّجت بالدماء. وقد وصف لبيد هذه المعركة، وصوّر حال الكلاب وهي عائدة من القتال، وكيف ترك الثور في أعناقها الجروح:

---

1) الديوان، ص 37 . جسداء: اسم موضع ببطن جلذان. الكليب: الكلاب.

2) **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، ص 149.

3) لبيد،ص 239 . انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص213. أصبح: طلع عليه الصبح. هاجه: أثاره. أخو قفرة: صياد يحالف القفار. يشلي: يؤسد ويغري. ركاح وسائل: أسماء كلاب.

4) انظر: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص102-105. انظر أيضاً: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص117-120.

5) انظر: ديوان لبيد، ص138.

6) ديوان لبيد، ص 312. تقصّدت: أي البقرة، قصدت الكلبة التي اسمها كساب. تقصدت: قتلت. كساب: اسم كلبة. ضرّجت: خلطت. غودر: ترك. المكرّ: الموضع الذي يُكرّ فيه. سُحام: اسم كلب.

7) انظر: ديوان لبيد، ص 272 .

فغادرَها صَرْعى لدَى كُلِّ مَزحفٍ   ترى الـــــقدَّ في أعناقِهِنَّ قَوافِلا[1]

ومن الجدير ذكره أنّ الصيّاد كان يطلق كلابه بعد يأسه من الرمي، ذكر لبيد هذا حين وصف محاولة صيد بقرة وحشية يئس الرماة من إصابتها بالنبال، فقال:

حَتَّى إِذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا   غُضْفَاً دَوَاجِنَ قَافِلاً أَعْصَامُهَا[2]

وكان العرب "في الجاهلية والإسلام يؤثرون من كلاب الصيد ما كان ضارياً، حذق الطرد، وأتقن قواعد الصيد وتعوده، فهو حريص على إدراك الطريدة، قد ضمره التعليم، وطراد الوحش، واعتبروا استرخاء آذانها من صفاتها الحميدة، وكانوا يعمدون إلى تجويعها؛ كي تكون شرهة نهمة مصممة على نيل الصيد"[3]. وقد وصف لبيد كلاب الصيد الغضف، وهي تعدو مسرعة تطارد ثوراً وحشياً:

فجالَ ولم يعكمْ لغُضْفٍ كأنـــــها   دِقاقُ الشَّعيلِ يَبْتَدِرْنَ الـــجَعَائِلا[4]

ولكعب شعر يصف فيه كلاب الصيد العوابس، زرق العيون من الغضب ، واسعة الأشداق ، وهي متمرّنة على الصيد ومستعدة له، مصممة على نيل الطريدة، وهي سريعة كأنها طافية من خفتها كالنحل تطير مع اتجاه الريح، وتهاجم ثوراً وحيداً، وتنهش أعقابه وأردافه، والثور يذود عن نفسه بقرن صلب يطعن به الكلاب المهاجمة، يقول: [5]

مقعياتٍ إذا علونَ يفـــاعـــــاً   زرقـــــــــاتٍ عيونها لتغيـرا

---

1) ديوان لبيد، ص138. انظر أيضاً:ديوان لبيد،ص 223-225. مزحف: معترك. القد: القطع والجرح.. قوافل: وهنّ عائدات من المعركة.

2) ديوان لبيد، ص 311. انظر أيضاً ديوان لبيد 240. يئس: أي علم الصيادون موضع البقرة، وقيل : معنى يئس أنهم يئسوا أن يصيبوا البقرة لعدوها. الغضف: كلاب الصيد مسترخية الآذان. الدواجن: المتعودات الضارية ، وقيل: هي المقيمة مع اصحابها. القافل: اليابس. الأعصام: قلائد من أدم تجعل في أعناق الكلاب ، الواحدة: عصام.

3) **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**،ص 151 . انظر أيضاً: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص121.

4) ديوان لبيد، ص 138 . انظر أيضاً: الديوان، ص 88 . جال: أي الثور. يعكم: يرجع. الغضف: كلاب الصيد مسترخية الآذان. دقاق الشعيل: الفتائل الدقيقة. يبتدرن: يتسابقن إلى. الجعائل: جمع جعل، وهو ما قدر لهن من رزق مكافأة على عملهن.

5) ديوان كعب، ص 70. مقيعات: من الإقعاء، وهو القعود على الذنب مع الانتصاب. اليفاع: المرتفع من الأرض. زرقات عيونها: من الغضب. تغير: تهجم وتشنّ الغارة. الكالح: العابس، الفاتح فاه. العوارض: الرباعيات والأنياب. طافيات: شديدة العدو والوثوب، تبدو لخفّتها وسرعتها وكأنها تطفو على الأرض لرفعها قوائمها كما يطفو الشيء فوق الماء. اليعاسيب: جمع يعسوب، وهو أمير النحل. الدبور: الريح الغربية. الأسيل: القرن. يثقّفه فيهنّ: يقوّمه فيطعن في الكلاب. النابي: أي لا ينبو عن الطعن. المأطور: المعطوف.

كالِحـــــــــــاتٍ معـــاً عَوارِضَ أَشْدَا قٍ ترى في مشقِّـــــها تأخيـــــــرا
طافِيـــــــــــــاتٍ كـــــــأنهنّ يَعَاسِيـ ـبُ عَشِيٍّ بــــــــارَيْنَ رِيحاً دَبُورَا
بأسيلٍ صَـــــــــــــدقٍ يثقفـــــــه فيـ ـهنّ لا نابِياً ولا مـــــــــــأطُورَا

الأسد

عاشت الأسود في أماكن معروفة في الجزيرة العربية، وذُكرت مناطق وجبال بأنّها مأسدة(1)، كما ورد ذكر الأسد كثيراً في أشعار العرب، إلّا أنّ الشعراء لم يذكروه حيواناً معروفاً لديهم، فلم يصفوا أعضاءه أو طريقة عيشه، ولكنّه ذُكر في أحاديث الشعراء عن مفاخرهم، ومفاخر قبائلهم، وانتصاراتها، أو في ذكر مناقبهم ومناقب ممدوحيهم، فشبهوا الفتيان والفرسان الشجعان، والممدوحين بالأسود أوبأحد ألقابها، كالليث والضيغم.

وإذا كان الأسد أقوى الوحوش، وأعظمها رهبة، فقد ذكره الشعراء للتعبير عن القوّة والشدّة، فقد وصف كعب أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – بالأسود قائلاً:

همُ الأسدُ عندَ البأسِ والحشدِ في القرى وهم عند عقدِ الجـار يُوفونَ بالذِّممْ(2)

وغالباً ما يأتي الشعراء على ذكر الأسود في بيان المفاخرة في المعارك والتباهي في البطولات، فنجد كعباً يصف قومه، مفاخراً في قوله:

إنّي امرؤ أقني الحيــــــــاءَ وشيمتي كــــرمُ الطبيعةِ والتجنبُ للخَـــــنا
مِنْ مَعْشَــــــــــــرٍ فيهمْ قُرُومٌ سَادَة وليوثُ غابٍ حين تضطّرمُ الوغَى(3)

كما شبه كعب الأنصار بالأسود الضارية، مادحاً إياهم، ومضفياً عليهم طابع القوة والهيبة، يقول:

دَرِبوا كما درِبت أُســـــودُ خفيَّةٍ غُلبُ الرقابِ من الأسودِ ضواري(4)

---

1) أرض مأسدة: من الأسد، أي الارض التي تكثر فيها الأسود. انظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: ص171-174.

2) ديوان كعب، ص138. البأس: الشدّة والحرب. الحشد: الجمع. حشد القوم للقرى: أي جمعهم للطعام والضيافة. العقد: الميثاق والحلف.

3) المصدر نفسه، ص42. أقني: أحفظ وألزم. الطبيعة: السجيّة التي فُطر عليها الإنسان. الخنا: الفحش في الكلام. معشر: القوم. القروم: السادة العظماء. تضطرم الوغى: أي تشتعل نار الحرب وتشتد.

4) ديوان كعب، ص59. دربوا: اعتادوا ضراوة الأسود. خفيّة: موضع تكثر فيه الأسود. غلب الرقاب: غلاظها. الضواري: اللواتي ضرين يأكلن اللحوم.

وفي وصف كعب لما لاقاه من شدّة ورهبة، حين كان طريداً مهدور الدم، ووقف بعد ذلك بين يدي الرسول-صلى الله عليه وسلّم- مع وعيه لوضعه وخطورة موقفه، فيرى أنّ موقفه هذا أهيب عنده من السير بأرض الأسود، ذات الشجر الملتفّ، وفيها ذاك الأسد الضيغم الضاري، ويصف قوّته الشديدة، وفتكه بخصومه، وكيف تخشاه حمر الوحش، فمن يقرب منطقة عيشه هالك لا محالة، يقول:

لَـــــذاكَ أَهَيبُ عِندي إِذ أُكَلِّمُـــــــهُ وَقيلَ إِنَّكَ مَسبـــورٌ وَمَسؤولُ

مِن ضَيغَمٍ مِن ضِراءِ الأُسدِ مُخدره بِبَطنِ عَثَّرَ غيلٌ دونَـــــهُ غيلُ

يَغدو فَيَلحَمُ ضِرغامَين عَيشُهُـــــما لَحمٌ مِنَ القَومِ مَعفورٌ خَـراذيلُ

إِذا يُساوِرُ قِرنـــــــــــــاً لا يَحِلُّ لَهُ أَن يَترُكَ القِرنَ إِلّا وَهُوَ مَفلولُ

مِنهُ تَظَلُّ حَميرُ الوَحشِ ضـــــامِرَةً وَلا تُمَشّي بِواديهِ الأَراجيلُ (1)

الزواحف

- الأفعى

إنّ انتشار الأفاعي في جزيرة العرب، هو الذي جعل الشعراء يمنحونها هذه الأهمية، ويذكرونها في قصائدهم، ويوظفونها في الصور التي دارت في أذهانهم، حتى تعددت أسماؤها ، وأكثر ما يذكرونه منها: الأفعى والأسود، والشجاع والأرقم(2). ونجد كعباً يشبّه الذئب والغراب بشجاعين، أي بحيّتين، مدّتا عنقيهما وهما تدرجان نحو غايتيهما، يقول:

كـــأنّ شُجاعيْ رملةٍ درَجا معاً فمَرَّا بـنا لَوْلاَ وقوفٌ ومَنْزِلُ(3)

أمّا لونها، فقد أشار إليه الشمّاخ في حديثه عن الأحناش، وهي نوع من الأفاعي يتميّز بسواد لونه، فوصف شعر محبوبته الكثيف، شديد السواد، بحيّات مدهونة بالزيت في بريقها ولمعانها:

قامَت تُريكَ أَثيثَ النَبتِ مُنسَدِلاً مِثلَ الأَساوِدِ قَد مُسِّحنَ بِالفاقِ(4)

---

1) ديوان كعب، ص115. المسبور: الممتحن. الضيغم: من صفات الأسد، والضغم: هو العضّ. مخدره: مكمنه الذي يستتر فيه. عثّر: موضع. الغيل: الغيظة، وهي تجمعات الأشجار الكثيفة. يلحم: يطعم اللحم. الضرغام: شبل الأسد. المعفور: المطرح في التراب. خراذيل: مقطّع. يساور: ينقضّ ويثب. القرن: المقاوم له. المغلول: المنهزم. الضامرة: الساكنة التي لا تصوّت خيفة أن يسمعها. الأراجيل: جمع الراجل: وهو الذي يمشي على رجليه.

2) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 4\243 .

3) ديوان كعب، ص120. الشجاعان: مثنى شجاع، وهو الحيّة. درجا معا: مشيا .

4) ديوان الشماخ، ص91. أثيث النبت: كثيره ملتفه، أي شعرها المنسدل والمسترسل. الأساود: جمع أسود، وهو الحيّة. مسحن: دلكن بالأيدي. الفاق: الغض من الزيت.

واقترنت صورة الأفعى بصورة القوّة؛ فشكلها وما تحمله من السمّ الزعاف إلى فريستها، يبعث الهلع والرعب في النفوس. فكان الشعراء يصفون الرجال الشجعان، أو فرسان قومهم بالأفاعي لقوتهم وهيبتهم. كقول كعب مخاطباً قومه:

لقد كنتم بالسَّهلِ والـــــحزنِ حيّةً   إذا لدغت لم تشفِ لدغتهـا الرُّقى[1]

وكقول لبيد يشبه قوماً أشدّاء، ذوي نفوذٍ ومنعة بحيّة الوادي:

همُ حيّةُ الوادي فإنْ كنتَ راقيــاً   فدونَكَ أدْرِكْ ما ازدهَوْا من فِنائكَا[2]

وذكرت أنواع مختلفة من الافاعي في أشعار العرب الجاهليين والإسلاميين[3]، فنجد الشماخ يورد في شعره ذكر الحيّة الجبليّة، إذ يشبه اضطراب زمام راحلته في سيرها، بتلوّي أفعى الجبل، في سرعته وملاسته:

وكلُّهنّ يُبـــــــاري ثِنيَ مُطّرِدٍ   كحيّةِ الطَّوْدِ ولّى غير مطــرودِ[4]

وذكر الشماخ أيضاً حيّة الماء في حديثه عن نفسه، وكان يُضرب بها المثل بأنها لا تضرّ ولا تنفع، فأراد الإشارة إلى أنه ليس بالضعيف المستكين، وإن كان رجلاً كريماً واسع الخلق، فإنّه إذا اعتُدي عليه يردّ الاعتداء ويقهر المعتدي:

لا تحسبنّي وإنْ كنتُ امرءاً غَمِراً   كحيّةِ المــــاء بين الطيِّ والشِّيدِ[5]

وللشمّاخ بيت يصف فيه الأحناش، وهي نوع من الأفاعي السود، التي تصطادها العقبان، وتحملها في مناقيرها، يقول:

تَرى قِطَعاً مِنَ الأَحنـــاشِ فيهِ   جَمـــــاجِمُهُنَّ كَـالخَشلِ النَزيعِ[6]

---

1) ديوان كعب، ص45. السهل: الأرض اللينة. الحزن: الأرض الغليظة. لدغت: لسعت. الرّقى: التعاويذ التي يستشفى بها من الداء.

2) ديوان لبيد، ص120. هم حيّة الوادي: هم ذوو نفوذ ومضاء. ازدهوا منه: استخفوا به وتهاونوا. الفناء: الساحة. والمعنى أن هؤلاء القوم قد تعدوا عليه، وكنّى عن ذلك بأنهم استخفوا بساحته، أي بما تحت حمايته.

3) انظر: الجاحظ، الحيوان، مجلد4/239، 266.

4) ديوان الشماخ، ص43. يباري: يعارض. الثني: الزمام. الطود: الجبل العظيم. غير مطرود: بيان لاستقامة حركته، لا يكون فيها اضطراب.

5) ديوان الشماخ، ص45. غمر: الذي لم يجرّب الأمور. وقيل: هو الكريم، الواسع الخلق. حيّة الماء: الناشئة في الماء. الطيّ: البئر المطويّة، أي المعروشة بالحجارة والآجر. الشيد: الجص.

6) ديوان الشماخ، ص80. الأحناش: جمع حنش وهو الحيّة. الخشل: المقلّ السخيف اليابس الخفيف. ويقال: الخشل هو ما انكسر من رؤوس الأسورة والخلاخيل، وقد شبه الشاعر رؤوس الحيّات به؛ لأنها سخيفة قليلة اللحم والعظام. النزيع: المنزوع.

ولكعب أبيات يشبّه فيها الخمر بسمّ الأفعى، يقول:

تَسَاقَوْا بِمـــــاءٍ مِنْ بِلاَدٍ كـــــــأنّه   دمــاءُ الأفاعي لا يبلُّ سليمُها
مجاجاتِ حيّاتٍ إذا شربوا بهــــــا   سَمَا فِيهُمُ سُوَارُها وهَمِيمُها(1)

- الحرباء (2)

الحرباء دُويبة إذا بدت الشمس، لجأ بظهره إلى أصول الشجر وشماريخ النخل، فإن رمضت الأرض، ارتفع، ثم هو يقلب بوجهه أبداً مع الشمس حيث دارت حتى تغرب، وكلّما حميت عليه الشمس رأيت جلده يخضرّ(3). وكان الشعراء يكنّون بإشارتهم إلى الحرباء عن شدّة الحرّ، قال كعب يصف اشتداد الحرّ أثناء سيره في رحلته:

حتَّى إذا انتصَب الحِـــرْباءُ وانتقلتْ   وحــانَ إذ هجّروا بالدّوِ تغويرُ
قالوا تنحَّوا فمسّوا الأرضَ فاحتولوا   ظِلاًّ بمُنْخَرَقٍ تهفو به المُورُ(4)

وكذلك كعب يصف اليوم الذي سار فيه، فهو يوم حارّ جدّاً، حتّى إنّ الحرباء قد شُوي ظهره بالنار من شدّة الحرارة، ورغم تلك الصعوبات، إلّا أنّه واصل سيره على ناقة قويّة وسريعة:

يَوماً يَظَلُّ بِهِ الحَرباءُ مُصطَخِـــماً   كَأَنَّ ضـــاحِيَهُ بِالنارِ مَملولُ(5)

وكقول الشمّاخ ينعت قوّة راحلته ونشاطها، وهي تقطع الصحراء المقفرة:

إذا مـــــا حرابيُّ الظهيرة لم تقِلْ   نسأْتُ بها صَعْراءَ طالَ امْتعاضُها(6)

---

1) المصدر نفسه، ص149. تساقوا: اي سقى بعضهم بعضاً. يقصد بالماء هنا الخمر. لا يبلّ: لا ينجو ولا يبرأ. السليم: اللديغ، سمّي بالسليم تفاؤلاً بالنجاة. مجاجات: ما مجّ من السمّ والعقار. سما: صعد. سوارها: سورتها. الهميم: الدبيب، وهو أثر الخمر في الشارب.

2) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 145/1.

3) **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص209.

4) ديوان كعب، ص80. انتصب: عرّض نفسه للشمس. هجّروا: ساروا وقت الهاجرة. الدوّ: المفازة. التغوير: يريد هنا القيلولة من حرّ الهاجرة. تنحّوا: أي اناخوا رحالهم ناحية فيها الفيء والظلّ، وتجنّبوا حرّ الهاجرة. احتولوا: احتوشوا. المنخرق: مهبّ الرياح. المور: التراب تثيره الرياح.

5) ديوان كعب، ص113. المصطخم: المنتصب من الحر. ضاحيه: ما ظهر منه للشمس. المملول: من الملّة، ويقال: هي النار.

6) ديوان الشماخ، ص72. حرابيّ: جمع حرباء. لم تقل: من القائلة، وهي وقت اشتداد الحر وسط النهار. نسأت بها: زجرتها لتزيد من سرعتها. الصعراء: أي الناقة المائلة العنق من النشاط. امتعاضها: غضبها.

- الفأرة

ذكر كعب في بيت له الفأر للدلالة على صغر الشيء، فشبّه الجنين في رحم الناقة بولد الفأرة، قائلاً:

مثل درصِ اليربوع لم يرب عنهُ غَرِقاً في صُوانِه مَغْمــــــورَا[1]

كما ذكر كعب اليربوع والحوت في بيت واحد، ندب فيه حظّه قائلاً:

فلو كنتُ حوتاً رَكَّضَ الماءُ فوقَه ولَوْ كُنْتُ يَرْبُوعاً سَرَى ثم قَصَّعَا[2]

الحشرات

- النحل

عرف العرب النحل المنتج للعسل ، والعسل من الأغذية الثمينة عند أهل الجاهليّة، وقد استعملوه في المعالجة من أمراض عديدة، نص عليها في كتب الحديث والطب. وقد أطلق العرب لفظة "العسل"على ما يشبه العسل في الحلاوة أو في الشكل، فقالوا: عسل العرفط، وهو صمغ العرفط لحلاوته. وقد اشتهرت جبال "بني سُليم"، بكثرة ما بها من عسل، وبقيت على شهرتها هذه في الإسلام.[3]

أمّا الشماخ، فجعل عيون الناظرين المشوقة بالنظر إلى محبوبته، وكأنّ بها عسلاً من حلاوة النظر إليها، وهذا العسل قد جُمع من ريق نحلات ضامرات لطاف الخصور، يقول:

كَأَنَّ عُيونَ النـــاظِرينَ يَشوقُهــا بِها عَسَلٌ طـــابَت يَدا مَن يَشورُهـا

---

1) ديوان كعب، ص73. الدرص: ولد الفأرة. اليربوع: فأر طويل الرجلين والذنب، قصير اليدين. لم يرب عنه: أي لم يزد عليه. الصوان: الرحم. المغمور: الذي غمره الماء.

2) ديوان كعب، ص86. ركّض: يقال: ارتكض الماء في البئر إذا اضطرب، ولعلّه يريد"ركّد"، أي إذا سكن الماء وتوقف عن الحركة. قصّع: أي دخل القاصعاء، وهو أحد حجرة اليربوع.

3) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 5/ 416-418 ، ومجلد 10/6.

تَناوَلْنَ شَوْباً مِن مُجاجـاتِ شُمَّذ   بِأَعجازِها قُبٌّ لِطافٌ خُصورُها[1]

ويشبه كعب كلاب الصيد السريعة، شديدة العدو، باليعاسيب الطائرة، تدفعها الريح الغربية، وتبدو لخفّتها وسرعتها، كأنها تطفو على الأرض:

طافِياتٍ كـــــــــــأنهنّ يَعَاسِيـ   ـبُ عَشِيٍّ بارَيْنَ رِيحـــاً دَبُورَا[2]

- الذباب

الذباب حشرات لا تغنى إلّا في روضة طويلة النبت، فكان وجوده بالنسبة للشعراء يعني الحياة ويقظتها، ولهذا اقترن ذكره بالغناء والرياض والزهور، فنجد كعباً يشبّه غناء الذباب في الرياض، وهو لا يفهم، بغناء سكرانٍ قد تعقّد لسانه، فهو لا يغني ولا يفهم عنه:

ومُسْتأْسِدٍ يَنْدَى كأنّ ذُبابَـــــه   أخو الخمرِ هـاجت شوقَه فتذكَّرا[3]

كما ورد ذكر الذباب في موضع الذمّ ؛ إذ يسبب الإزعاج للإبل[4]، فهو يتعلّق بها ويؤذيها، مما يجعلها مضطربة، ولكنّ الشمّاخ يصوّر ناقته الفتيّة، وهي تطرد عنها هذا الذباب كلّما حطّ على صدرها أو خواصرها الملساء، كما في قوله:

تَذُبُّ ضَيفاً مِنَ الشَعراءِ مَنزِلُهُ   مِنها لَبانٌ وَأَقـــــــــرابٌ زَهاليلُ[5]

- الجراد

إنّ الجراد من الحشرات التي تخاف الشعوب عامة من ذكرها، فهي ترمز إلى الفناء، وما دخلت أسراب الجاد منطقة إلّا وأفنت الزرع، وغدا أخضرها يابساً. وقد روى الجاحظ أخباراً كثيرة عن أكل الجراد وطيب لحمه[6]. وسُمّيت الأرض التي لا نبت فيها مجرودة، أي كأنها أصبحت عرضة

---

1) ديوان الشمّاخ، ص58. يشوقها: يهيجها. طابت: من الطيب. يشورها: يجنيها. تناولن: أخذن، والضمير يعود لأسنانها. الشوْب: العسل المشوب: أي المخلوط. مجاجات: جمع مجاجة، وهو ما يمجّه النحل من فمه، أي ما يلقيه. شمّذ: جمع شامذ: وهي النحل، سميت بذلك لانها تشمذ بأذنابها، أي ترفعها. قبّ: جمع قباء، أي الضامرة. لطاف: رقاق.

2) ديوان كعب، ص 70 . طافيات: شديدة العدو والوثوب، تبدو لخفّتها وسرعتها وكأنها تطفو على الأرض لرفعها قوائمها كما يطفو الشيء فوق الماء. اليعاسيب: جمع يعسوب، وهو أمير النحل. الدبور: الريح الغربية.

3) ديوان كعب، ص 63. المستأسد: الروض الذي تكامل نبته. يندى: أصابه الندى.

4) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 3/ 390.

5) ديوان الشمّاخ، ص 97 . الشعراء: ذباب أزرق يعلق بالإبل، فتضطرب من لسعه. اللبان: الصدر. الأقراب: الخواصر، واحدها قرب. زهاليل: جمع زهلول، وهو الأملس.

6) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 565،566/5.

للجراد، وهذا ما صوّره لبيد في قوله:

ولقد قطعت وصيلة مجرودةً يبكي الصدى فيهـــــــا لشجو البوم[1]

- الجنادب

ورد ذكر الجنادب في بيت لكعب بن زهير، يصف فيه رحلته، حين كانت الجنادب تصدر صوتاً بأجنحتها وقت الهاجرة:

وَقالَ لِلقَومِ حـادِيهِم وَقَد جَعَلَت وُرقُ الجَنادِبِ يَركُضنَ الحَصى قيلوا[2]

- القراد

القراد حشرة صغيرة تتعلّق بالدوابّ، وتعفن الإبل وتؤذيها، كما تؤذيَ غير الإبل من الحيوان أيضاً[3]. وقد صوّر الشمّاخ القراد على جسد ناقته، وقد اتّخذ من عرقها قِرىً له، يقول:

وَقَد عَرِقَتْ مَغابِنُها وَجـــادَتْ بِدِرَّتِها قِـــــــــــرى حَجِنٍ قَتينِ[4]

أمّا كعب، فنجد القراد يحاول التعلّق بجسد ناقته، إلّا انّها كانت تبعده، لقوّتها البدنيّة وملاسة جلدها، يقول:

يَمشي القُرادُ عَلَيهـــا ثُمَّ يُزلِقُهُ مِنها لَبانٌ وَأَقرابٌ زَهــــــــــاليلُ[5]

- الجعل

الجعل دويبة معروفة، قال الجاحظ عنه "إنه يحرس النيام، فكلما قام منهم قائم لحاجته، تبعه طمعاً في أنه يريد الغائط"[6]. قال الشماخ يصف جعلاً ينقضّ على روث العير والأتان:

---

1) ديوان لبيد، ص 248 . وصيلة: صحراء موصولة بأخرى. مجرودة: لا نبات فيها، قد أكلها الجراد. الصدى: طائر.
2) ديوان كعب، ص 113 . قيلوا: من القيلولة: وهي نوم منتصف النهار.
3) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 431/5.
4) ديوان الشمّاخ، ص 115. عرقت: من العرق. المغابن: واحدها مغبن، وهو مراق جلدها، أي أصول الفخدين، وما احتزم بذلك المكان. جادت: من الجود. قِرى: من قِرى الضيف، أي جادت بعرقها. حجن:قليل الطعم، والمراد هنا القراد. القتين: مرادفة ل(حجن) أي أن القراد جعل عرق الناقة قوتاً له. وبعضهم روى: (جحن) بتقديم الجيم: وهو سيئ الغذاء، أي انه أراده قرادا، وجعله جحناً لسوء غذائه.
5) ديوان كعب، ص 112 . يُزلقه: يبعده ويزيله. اللبان: الصدر. الأقراب: الخواصر، واحدها قرب. زهاليل: المُلس.
6) الحيوان5/ 503.

وَإِن يُلقِيا شَأواً بِأَرضٍ هَوى لَهُ   مُفَرَّضُ أَطرافِ الذِراعَينِ أَفلَجِ[1]

الطيور

كانت الجزيرة العربية مراداً لطيور شتّى، بعضها أرضيّ وبعضها جويّ، وكان للعرب كلَف بصيدها، وخبرة بشؤونها، وكثيراً ما تناولوها بالوصف، وكثيراً ما استمدّوا منها ألواناً من الخيال، كما رأينا في وصفهم للإبل والخيل مثلاً.[2]

شبّه الشعراء خيولهم بالطير تصويراً للسرعة، ونجد لبيداً يصف عدو فرسٍ سريعٍ، بطيران طير بلّله المطر، فأسرع في طيرانه هرباً من المطر:

طوتْهُ المَنَايَا فوقَ جــرداءَ شطبةٍ   تَدِفُّ دَفيفَ الـــرَّائحِ المُتَمَطِّرِ[3]

ويشار إلى الطير بالتبكير، ويُضرب به المثل، فقال لبيد: إنّه قاد ناقته مبّكراً قبل الشروق، والطيور ما زالت راقدةً على أفنانها:

قدْ قُدتُ في غَلَسِ الظلام، وطيرُهُ   عُصَبٌ على فَنَنِ العِضَاهِ جُثُومُ[4]

وقد يذكر الطير للتقليل من الشأن والقيمة، فيقول لبيد في رثاء أخيه أربد:

وليسَ النـــــــاسُ بعدَكَ في نقيرٍ   ولا هُمْ غَيْرُ أصْـــــــدَاءٍ وَهَامِ[5]

كما صوّر كعب حاله وصحبه أثناء سيرهم إلى الممدوح، وما لاقوه من تعب ومشقّة في الصحراء الملتهبة، وشبّه حالهم في رحلتهم هذه وهم يحاولون تجنّب حرّ الهاجرة، وتجنّب الرياح، بطير وقع في شرك، والريح القويّة تعصف به، فلم يستطع الطيران، فهو أسير للريح، وفي الجانب الآخر أسيرٌ للقيد

---

1) ديوان الشمّاخ، ص 39. الشأو: الأصل فيه: زبيل من تراب البئر، وهنا المراد: البعر. هوى: انقضّ. مفرّض: محزّز. أفلج: متباعد الساقين.

2) **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص 108.

3) ديوان لبيد، ص99. جرداء: أي الفرس الضامرة، وهي الفرس التي أقلت قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، وهو والد أربد أخي لبيد لأمه، الذي خرج غازياً فظفر، فلما رجع مات فجأةعلى ظهر فرسه. شطبة: فرس طويلة. تدفّ: تطير. الرائح: الطائر يروح إلى موضعه. المتمطّر: الذي يسرع في العدو هرباً من المطر.

4) ديوان لبيد، ص189. يُروى على خضل الغضاة، ويروى على خصل. غلس الظلام: أول الصبح. الفنن: الغصن. الخضل: المبتلّ بالندى. جثوم: واقعة على الشجر.

5) ديوان لبيد، ص260. يُروى: بعدك في نفير. النقير: النقرة خلف النواة، والمعنى: ليس الناس بعدك في شيء. الأصداء، الهام: أنواع من الطبور، أي أنهم ليسوا سوى أشباح.

والشرك، يقول:

ظَلُّوا كأنَّ عليهمْ طـــائراً عَلِقاً يهفو إذا انسفرتْ عنه الأعاصيرُ

لوجْهةِ الرِّيح منه جانِبٌ سَلِبٌ وجانبٌ بأكف القــوم مضبورُ[1]

أولا: الطيور الجارحة

- العقاب

العقاب من جوارح الطير[2]، فهي تصطاد الأرانب والثعالب، وتطارد الذئاب والظباء، وهي من الجوارح التي لها شرف ومكانة في مخيّلة العرب، فهي طائر قويّ لا تأكل إلّا من صيدها، وتنقضّ على طرائدها من أعلى، معروفة بحدّة النظر وقوّة السمع[3]، وقوّة الأجنحة، وسرعة الطيران [4]. والعقاب شديدة الوحشيّة، تعتصم في ذُرى الجبال الشاهقة[5]، وتقترب من النّدى والطلّ والغيم، وقد شُهرت بوقفتها الشامخة على قمم الآكام، وهي تنفض الضريب والنّدى عن ريشها المتكاثف، استعداداً للانقضاض على الفريسة.[6]

وقد شبّه الشمّاخ متون الأتن عندما ولّت مسرعة، بأجنحة العقاب، ثم يصف حالة العقبان الطالبة للصيد، وأنّها لا يمكنها التريّث إذا رأت لحماً طريّاً طازجاً، يفرّ به صاحبه خائفاً جزعاً، وتابع وصف هذه العقبان التي لا توفرّ صيداً، سواءً أكان أرنباً أم ذئباً، فقال[7]:

كَـــأَنَّ مُتونَهُنَّ مُـــــوَلِّياتٍ عِـــصِيُّ جَناحِ طـــالِبَةٍ لَمــوعِ

---

1) ديوان كعب، ص80. انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد37/7. العلق من الطير: الذي وقع في الحبالة والأشراك. يهفو: يطير. انسفرت: انكشفت. الأعاصير: الرياح التي تعصف. المضبور: المقيّد والمشدود.

2) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**: ص 177.

3) انظر: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص 113.

4) قيل: أسمع من فرخ العقاب، انظر: الجاحظ، الحيوان، مجلد15/7،10. وقيل: أبصر من عقاب، انظر: الجاحظ، الحيوان، مجلد16/7.

5) الجاحظ، **الحيوان**، مجلد24/7.

6) انظر: **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، ص 165.

7) ديوان الشمّاخ ، ص79. متون: جمع متن، وهو الظهر. موليات: مدبرات. طالبة: أي عقاب. لموع: تلمع بجناحيها، أي تحركهما في طيرانها. غريض اللحم: طريّه. ضرم: شديد الغضب. جزوع: كثير الجزع. ما تنفكّ: ما تزال. عويرضات: موضع معروف. العكرشة: الأرنب. الزموع: من الزمعة: وهي الشعرات المتدليّات من رجل الأرنب. السيد: الذئب. صارات: اسم جبال، وقيل: صارت جبال واحدها صارة. حزّان: جمع حزن، وهو ما غلظ من الأرض. القارات: أصاغر الجبال وأعاظم الآكام. الجموع: الأحياء المجتمعة.

قَليلاً ما تَريثُ إذا استَفـــادَت   غَريضَ اللَحمِ مِن ضَرَمٍ جَزوعِ
فَما تَنفَكُّ بَينَ عُوَيرِضـــــاتٍ   تَـــجُرُّ بِـــرَأسِ عِكرِشَةٍ زَموعِ
تُطارِدُ سيدَ صارَاتٍ وَيَومـــاً   عَلى حُزّانِ قـاراتِ الجُمـــوعِ

وفي صورة أخرى، يصف الشمّاخ شدّة خفقان قلبه عند تذكّره ليالي الهوى، ويشبهها بصغار الريش في جناح العقاب، أثناء طيرانه، يقول:

وَباتَ فُؤادي مُستَخَفّاً كَـــأَنَّهُ   خَوافي عُقابٍ بِالجَناحِ خَفوقُ[1]

- النسر

النسر من سباع الطير[2] التي أشار إليها الشعراء كثيراً، وليس من جوارحها، فهو لا يصيد إلّا في النُدر، فلا مخالب له، بل أظفار، ولا يقوى على جمع أظفاره وحمل فريسته، كما تفعل العقاب بمخالبها، وليس له سلاح سوى مناقيره وأظفاره، وإنّما يقوى بقوّة بدنه.[3]

وقد ضربوا المثل في طول العمر بالنسور، وأكثر ذلك ما قالوا في لُبَد[4]، كقول لبيد:

ولقد جرى لبدٌ فأدركَ جـريَهُ   رَيْبُ الزَّمـــانِ وكانَ غَيرَ مُثقَّلِ
لمّا رأى لبدُ النسورَ تطايرتْ   رفعَ القوادمَ كالفقيرِ الأعـــزلِ
مِنْ تَحْتِهِ لُقْمانُ يرْجو نَهضَهُ   وَلقد رَأى لُقمانُ أنْ لا يـأتَلي[5]

عرف العرب النّسر وذكروه في شعرهم، وعرفوا أنّه يتتبّع الجيوش، ليطعم من لحوم القتلى[6]، كما شبّه بعض الشعراء المخضرمين خيولهم بالنسر تصويراً للسرعة، كقول لبيد: [7]

---

1) ديوان الشمّاخ ، ص89. مستخفّاً: اسم مفعول من استخفه، والخفة والخوافي جمع خافية، وهن ريشات إذا ضمّ الطائر جناحيه خفيت، أو هي الريشات التي بعد المناكب. خفوق: كثيرة الخفقان بجناحيها.
2) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد1/28-29، مجلد2/331.
3) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 6/334 ، 402.
4) **الطبيعة في الشعر الجاهلي**: ص184. انظر أيضاً: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد: 3/423.
5) ديوان لبيد، ص171. يُروى: ريب المنون. لبد: نسر من نسور لقمان، عاش ما عاش حتى عمر ثمانين، ثم أدركته المنيّة.غير مثقل: غير ثقيل، لخفته في الطيران. يُروى: كالعقير: أي الكسير الفقير: الذي كسرت فقرات ظهره. الأعزل: المائل الذنب. يُروى: يرجو سعيه، ولقد يُرى. لا يأتلي: لا يقصّر ولا يبطئ، أي كان يظنّ أنّه لن يخذله بالعجز عن الطيران.
6) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد7/21.
7) ديوان لبيد، ص51. الغداف: طائر أسود، قيل هو الغراب أو النسر. الجنوب: الريح الجنوبية. أذراء: جمع ذرا: وهو المكان الذي يستذري به الرجل من الريح. الطلح والتنضب: نوعان من الشجر.

هَـــــــوِيَّ غُـــــداف هَيَّجَتْهُ جَنُوبُهُ   حَثيثٍ إلـــى أذراءِ طلحٍ وتنضُبِ

- الصقر

الصقر من جوارح الطيور، وعدّه الجاحظ من جوارح الملوك، وهو من الحيوان الذي يدرّب فيستجيب[1]، وتسمّي العرب كلّ طائر يصيد صقراً خلا النسر والعقاب[2]، وتسمّيه الأجدل والأكدر. كما دأب بعض الشعراء على تشبيه الفرس بجوارح الطير، وأمعنوا في إبراز سرعتها، وقد شبه لبيد فرسه بالطير الجارح الذي يكرّ بلا توان في قوله:

وكَأنِّـــي مُلْجِمٌ سُـــوذَانِقـــــاً   أجْدَلِيّـــاً، كَـــرُّهُ غَيرُ وَكَلْ[3]

كما يُوظّف اسم الصقر للدلالة على الهيبة والعظمة، وقد شبّه لبيد الملك النعمان بالصقر قائلاً:

فانتَضَلْنـــا، وابـــنُ سَلمَى قـــاعِدٌ   كعَتِيقِ الطّيـــرِ يُغضي ويُجَلّ[4]

كما أشار الشعراء إلى مطاردة الصقر للقطاة، وتمكّن القطاة من النجاة.[5]ووصف كعب مطاردة الصقر للقطاة، وهما اللذان يتميّزان بالسرعة الفائقة، إلّا أن القطاة عادة ما تنجو من المطاردة، من حيث إنّها لا تستخدم كامل قوتها إلّا بعد أن يُنهك الصقر، فتظلّ واثقة من النجاة، وقد صوّر هذا كعب فقال:

شهمٌ يكبُّ القطا الكدري مختضبُ الـ   أظفـــار حرٌّ ترى في عينه زرقا
بَـــاتَتْ لـــه لَيْلَة" جَـــمٌّ أَهـــاضِبُها   وبَـــاتَ يَنْفُضُ عَنْه الطَّلَّ واللَّثَقَا
حَتَّى إذَا مـــا انْجَلَتْ ظَلْمـــاءُ لَيْلتِه   وانْجابَ عنه بياضُ الصُّبحِ فانْفَلَقَا
غَدَا على قَدَرٍ يَهْوِي ففاجَـــأَهـــــا   فانْقَضَّ وهو بِوَشْكِ الصَّيْدِ قَدْ وَثِقَا
لاشَيْءَ أجْوَدُ مِنْهـــا وهـــي طيِّبَةٌ   نفساً بما سوف ينجيها وإن لحقا[6]

---

1) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 478/6.

2) **الطبيعة في الشعر الجاهلي**: ص185. انظر أيضاً: **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، ص173.

3) ديوان لبيد ص129. ملجم: واضع اللجام. السوذانق: الشاهين(نوع من الطيور الجارحة). ألأجدل: الصقر. الوكل: الضعيف البليد.

4) ديوان لبيد ص132. انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد8/ 47. انتضلنا: تبارينا. سلمى: أمّ النعمان. عتيق الطير: البازيّ. يُجل: أصله يجلي، أي ينظر.

5) انظر: الرباعي، عبد القادر(1998)، **الطير في الشعر الجاهلي**، (ط1)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص36-38.

6) ديوان كعب، ص 107. شهم: حديد الفؤاد. يكبّ القطا: يصرعها. مختضب الأظفار: داميها. الزُّرق: اللون الأزرق. باتت له: مضت عليه. جمّ: كثير. الأهاضب: جمع هضبة وهي الدفعة الشديدة من المطر. اللثق : الندى والبلل. غدا: البازيّ. الوشك: السرعة والإقتراب. وثقا: وثق بأنه سيصطادها. طيبة: تطيب نفسها بالنجاء من البازيّ الذي يلاحقها.

ثانياً: الطيور غير الجارحة

- الغراب

للغراب تاريخ طويل في الشعر، فهو من الطيور الشائعة، فلصوته وللونه الأسود دلالات عميقة، وقد استخدمه الشعراء في مواضع عدة، إلّا أنّ أغلب الحديث عنه كان في باب التشاؤم، وكان من أشأم الطيور عند الجاهليين، وليس في الأرض شيء يتشاءم به إلّا والغراب أشأم منه وأنكد، قال الجاحظ: "وليس في الأرض بارح ولا نطيح، ولا قعيد، ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه"[1]. وكانوا يتطيّرون به، ويتشاءمون بكلّ جزء منه، ولذا اشتقّوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب، وتشاءموا من صوته وصياحه، واعتبروا هذا الصياح نذير البعد، كما سمّوا الغراب "حاتماً"؛ لأنه يؤذن بالفراق المحتّم إذا نعب، ولأنه لا يوجد في موضع خيامهم يتقمّم، إلّا عند مباينتهم لمساكنهم، ومزايلتهم لدورهم.[2]

ولقد سُمّي الغراب بغرابَ البين؛ لأنه إذا بانَ أهلُ الدار للنُّجْعَة، وقعَ في مرابض بيوتهم يلتمس ويتقَمَّم، فيتشاءمون به ويتطيَّرون منه؛ إذْ كان لا يعتري منازلَهم إلّا إذا بانوا. قال الشماخ:

فَظَلَّ غُـرابُ البَينِ مُؤتَبِضَ النَسى لَهُ في دِيـــــــــارِ الجــــارَتَينِ نَعيقُ

خَليلَيَّ إِنّي لا يَــــــزالُ تَروعُني نَواعِبُ تَبدو بِـــــــــــالفِراقِ تَشوقُ[3]

وقد يكون في جملة أسباب تشاؤم العرب من الغراب، أنه كَان يضرّ بإبلهم، فهم يذكرون أنّه إذا وجد دبرةً في ظهر البعير، أو قرحة في عنقه، سقط عليها ونقره وعقره[4]. قال لبيد يصف بعيره، أنه يرغو إذا احسّ بظلّ الغراب يريد أن يقع على ظهره:

يضجُّ إذا ظلُّ الغُـرابِ دَنـــــا لَهُ حِذاراً على باقي السَّنَاسِنِ والعَصَبْ[5]

وعلى الرغم من تشاؤمهم من الغراب، إلّا أنّه قد جاء في أمثالهم: أبصر من غراب، وأصفى من عين

---

1) انظر: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص120.

2) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 3/ 438،438.

3) ديوان الشمّاخ، ص87. البين: الفراق. مؤتبض: منقبض. النسى: عرق في الفخد. يقال للغراب: مؤتبض النسى؛ لأنه يحجل كأنه مأبوض: أي مشدود بالإباض. تروعني: تفزعني. نواعب: جمع ناعب: وهو الغراب الذي ينعب، أي يصوّت. تشوق: هيّجت الشوْق. وروي: "تسوق": من السوْق، أي أن نعيبها يحدث الفراق.

4) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 3/415.

5) ديوان لبيد، ص28. يضجّ: يرغو. السناسن: رؤوس فقار الظهر.

الغراب[1]، يريدون حدّتها ونفاذ البصر[2]، وأصحّ بدناً من غراب. كما أنّ منقار الغراب معول، وهو شديد النقر، وإنّه ليصل إلى الكمأة المندفنة في الأرض بنقرة واحدة حتى يشخصها[3]. وهذا ما جاء في قول كعب يصف غراباً دقيق الساقين، حادّ البصر، حين يمشي يستقبل الريح، ويسير مثل الأعرج، وهو يرصد الكمأة في الأرض فينبش عنها بمنقاره القويّ، الذي يشبه المعول ويأكلها:

وحَمْشٌ بَصِيرُ المُقْلَتيْن كــــأنّهُ   إذا ما مشَى مُسْتكرِهَ الرِّيحِ أقْزَلُ

يكاد يَرَى مالا تَرَى عينُ واحدٍ   يُثيرُ لـه ما غَيَّبَ التُّرْبُ مِعْوَلُ[4]

ومن هذه المعاني ارتسمت صورة الغراب المعتمة في الشعر، إلى أن جاء الإسلام فأكثر الشعراء المسلمون من التنديد بالزجر والزاجرين؛ لأنّه يفتر العزائم، ويعوق عن الأعمال، ويكل معرفة الغيب إلى غير الله تعالى علّام الغيوب. [5]

- البوم

البوم طائرٌ يَنشَطُ بصورةٍ رئيسيةٍ ليلاً[6]، ويسكن الخراب، ويضرب به المثل في الشؤم وقُبح الصورة والصوت، يستعينُ بحاسةِ سمعِهِ القويّةِ وبعينيهِ الكبيرتينِ اللتينِ توفرّانِ له رؤيةً ليليّةً جيّدةً في اصطيادِ الفئرانِ والأرانبِ وغيرها من الحيوانات الصغيرة.

واعتقد العرب أنّها من جنس الصدى والهامة، وهما من أدلّة الموت، ولهذا كان يأتي ذكرها في الحديث عن الصحاري الموحشة التي يخشى الرّحالة السير فيها، فيجعلون البوم وما شاكله من الحيوانات أنيساً لسالكها[7]، وقد اتّخذ بعض الشعراء من ذلك دليلاً من أدلّة الفخر والبطولة، لقدرته على ارتياد هذه الأماكن التي يخشاها الكثير من الناس، قال لبيد يصف رحلته وحيداً، وهو يقطع الصحاري الموحشة، التي لا نبت فيها، ولا يُسمع فيها إلّا صوت الصدى والبوم:

---

1) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 421/3 ، مجلد16/7.
2) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد349/2.
3) انظر: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص193.
4) ديوان كعب، ص120. الحمش: دقيق الساقين، وهنا الغراب. مستكره الريح: أي يستقبل الريح فترده لأنه يضعف عنها وتراه كالأقزل: وهو الأعرج. عين واحد: عين أحد، ويروى"عين ناظر". يثير له: يستخرج له.
5) انظر: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص121. انظر: ديوان لبيد، ص 113.
6) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 402/5.
7) انظر: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص 194،193.

ولقَد قطعْتُ وصِيلةً مجــــــــرودَة   يبكِي الصَّدَى فيهـــا لِشجوِ البُومِ[1]

وكذلك كعب، يصف سيره وحيداً في طريقٍ موحشٍ ليلاً، لا يُسمع به إلّا عواء الذئاب وصدى البوم:

وذِئاباً تَعْوِي وأَصْواتَ هــــــــامٍ   مُوفِيــــــــاتٍ مع الظَّلامِ قُبورَا[2]

ومن شدة تأثير التطيّر والتشاؤم عند العرب، أنّهم كانوا ينصرفون عن أسفارهم وحروبهم إذا لمحوا غراباً أوبومة، أوسمعوا أصواتهما، لكنّ عقلاء العرب عابوا هذه المفاهيم، كقول لبيد:

لَعَمْرُكَ ما تَدري الضَّوَارِبُ بالحصَى   وَلا زاجِراتُ الطّيرِ ما اللهُ صـــانِعُ

سَلُوهُنَّ إنْ كَذَّبتموني متى الــــفتى   يذوقُ المنايـا أوْ متى الغيثُ واقِعُ[3]

- الحمام

اقترن ذكر الحمام في الشعر الجاهليّ والاسلاميّ غالباً مع البين والفراق، وحديث البكاء والنواح، فكثير من الشعراء صوّروها على الغصون تشجو، فكانت تذكرّهم بغربتهم، فمنهم من أثارت شجونه وأحزنته، ومنهم من تعاطف معها، وكانت بينهما ألفة وشجن[4]. قال الشماخ يصف رحلته، وما دار من أحاسيس مشتركة بين ناقته والحمام:

حَنَّت عَلى سِكَّةِ الساري فَجاوَبَهـــا   حَمامَةٌ مِن حَمـــامٍ ذاتُ أَطـــواقِ

كادَت تُساقِطُني وَالرَحــلَ أَن نَطَقَت   حَمامَةٌ فَدَعَت ساقاً عَلى ســـاقِ[5]

وهناك اختلاف في ذكر الحمام وصوته، فمنهم من قال هو يغرّد، ومنهم من قال بل ينوح، ومنهم من قال هو يغنّي وينوح. وربّما كانت الحالة النفسية للشاعر هي التي تتحكّم في هذه المسألة، فصوت الحمام واحد، وكلٌّ يرى فيه ما يريد، فالحزين يرى فيه نُواحاً، والغريب يرى فيه أُنساً، والمبتهج يرى فيه تغريداً والخليّ يرى فيه طمأنينة وسكينة.

ويُذكر الحمام المغرّد للدلالة على جمال المكان، ووفرة الماء والنبات، فنجد لبيداً مبتهجــاً، يصف ديار

---

1) ديوان لبيد، ص 248 . وصيلة: صحراء موصولة بأخرى. مجرودة: لا نبات فيها، قد أكلها الجراد. الصدى: طائر كالبوم.
2) ديوان كعب، ص 68. الهام: ذكور البوم. موفيات: من وافى المكان، أي أتاه.
3) ديوان لبيد، ص 113. الضوارب بالحصى، زاجرات الطير: أشكال من التطير.
4) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 147/3.
5) ديوان الشماخ، ص 92. السكّة: الطريق المستوي. ويقال: الساري موضع. تساقطني: تسقطني من فوقها. الساق الأولى: ذكر الحمام. الساق الثانية: ساق الشجرة.

المحبوبة، وهي ديار وفيرة المياه، كثيفة الأشجار، يغرّد فيها الحمام:

يُغَنّي الحَمامُ فَوْقَها كُلَّ شارِقٍ   على الطَّلحِ يصدحنَ الضُّحى والأصائلا[1]

كما أنّ الحمام أشدّ طيراناً من جميع سباع الطير، إلّا في انقضاض وانحدار، فإنّ تلك تنحطّ انحطاط الصخور. ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً إذا كثُرن من الحمام، فإنّهنّ كلّما التففن وضاق موضعهنّ، كان أشدّ لطيرانهنّ[2]، وقد استغلّ بعض الشعراء هذه الميزة في تشبيه خيولهم بأسراب الحمام؛ وذلك لسرعتها، كقول لبيد:

ومشعلةً رَهْواً كأنّ جِيادهـــا   حَمَامٌ تُبَاري بالعشيِّ سَوافِـــــــــلا[3]

وقد شبّه لبيد سيرالخيول السريع، بسرعة أسراب الحمام:

كأنَّ سِرَاعَهَـــــا مُتَوَاتِرَاتٍ   حَـــــــمَامٌ باكِرٌ قَبْلَ الـــــــــــحَمَامِ[4]

- القطا

القطا طير معروف، شبيه بالحمام[5]، وهو من الطيور التي تعيش على شكل جماعات متصلة، وقد ضُرِب المثل به للقدرة على الهداية وعدم الضياع، فقالوا: "أهدى من قطاة"،[6] ومن الأمثال المشهورة التي قالها العرب: "أصدق من قطاة"؛ لأن لها صوتاً واحداً لا تغيّره، و"أنسب من قطاة"؛ لأنها إذا صوّتت عُرفت.[7]

وقد وجد الشعراء في القطاة مادة ثرّة للوصف والتشبيه، وذلك لما تتمتّع به من خصائص فريدة بعضها يرجع إلى هيئة تكوينها، والبعض الآخر يعود إلى صفاتها كالسرعة في الطيران، والهداية في المجاهل ومعرفة مواضع المياه، والتؤدة في المشي، والتبكير في الورد إلى الماء.

---

1) ديوان لبيد، ص 135. شارق: صباح. الطلح: ضرب من الشجر.
2) **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص197. انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 220/3.
3) ديوان لبيد، ص 143. المشعلة: الكتيبة الكثيرة العدد. السوافل: نقيض العوالي من الرماح.
4) ديوان لبيد، ص 258. يُروى: كأنّ عجالها متباريات. حمام وارد. متباريات: يتبارين في السير، يعارض بعضهن بعضا.
5) انظر: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص119. انظر أيضاً: **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، ص132،131.
6) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 573/5 ومجلد 10/7. انظر أيضاً: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ص200.
7) انظر: الجاحظ، **الحيوان**، مجلد 573/5، 579. ومجلد 10/7.

ونجد لبيد بن ربيعة يشبه سرعة ناقته، التي ترفع عنقها نشاطاً، بسرعة القطاة وطيرانها، مسرعةً إلى الورد في أثر قطاة سبقتها إلى الورود، فقال:

تَرْقَى وَتَطْعَنُ في الْعِنَانِ وَتَنْتَحِي   وِرْدَ الْحَمَامَةِ إذْ أَجَدَّ حَمَامُهَا(1)

كما أنه يجري في صورة ثانية نوعاً من السبق بين ناقته وبين القطا، التي تصل إلى الورد بعده، فتشرب ما فضل ممّا خلّفته ناقته، وقد بلغ الإعياء بها كلّ مبلغ، فقال:

فتَغمَّرَتْ نَفساً وَأدْركَ شَأْوُهَا   عُصَبَ القَـــطا يَهْوِينَ للأذْقانِ(2)

ويصف كعب بن زهير سرعة ناقته، مشبّهاً إياها بطائر القطا، الذي أحسّ بازيّاً يطلبه، فتجنّبه بالفرار مسرعاً:

تَنْجُو نَجاءَ قَطاةِ الجَوِّ أَفْزَعَهـا   بِذي العِضَاهِ أحَسَّتْ بَازِياً طَرَقا(3)

وكذلك الشمّاخ، الذي صوّر ناقته القوية السريعة، التي تسري في وقت مبكّر من نشاطها، فتبثّ الرعب في سرب القطا الهاجع ليلاً عند الماء(4). وفي صورة أكثر حيوية، بالغ الشماخ في وصف سرعة ناقته، فجعلها لا تدرك القطا فحسب، بل إنّها من سرعتها تطؤه بأخفافها، فقال:

يُزَرُّ القَطا مِنها فَتَضرِبُ نَحرَهُ   وَمُجتَمِعَ الخَيشومِ مِنهُ نُسورُها(5)

وكان الشعراء يصفون إبلهم وهي تشقّ الصحراء وقت الهاجرة، وعندما يكون القطا جاثماً، أو نائماً على الأرض، اتّقاءً لحرارة الشمس اللافحة، مؤكّدين نشاط رواحلهم في هذا الوقت الذي يصعب فيه السير. فنجد لبيداً يقدّم صورةً لطير القطا الذي يستريح وقت اشتداد الحرّ، بينما ناقته تقطع الصحراء:

إذا هَجَدَ القَـــطَا أفْزَعْنَ مِنْهُ   أَوَامِنَ في مُعَرَّسه الجُثُــــومِ(6)

---

1) ديوان لبيد ص233. تَرْقَى: ترفع رأسها. تطعن في العنان: تعتمد في العنان كما يعتمد الطاعن. تنتحي: تقصد. الحمامة: القطاة . إذ أَجَدَّ حَمَامها: إذا انكمش. ويُروى: تشري وتطعن، وتشري: تحمى وتزيد وتجدّ.

2) المصدر نفسه، ص269. تغمّرت: شربت قليلا. نفساً: شربة واحدة. شأوها: سيرها. يهوين: يقعن. يُروى: وأدرك سؤرها، وسؤرها: ما فضل منها.

3) ديوان كعب، ص 107. تنجو: تسرع. ذو العضاه: مكان. والعضاه : ما عظم من الشجر وله شوك.

4) انظر: ديوان الشماخ، ص 73.

5) ديوان الشماخ، ص 60. يزر: مبني للمجعول، أي يُطرد. فقد جاءت في وقت مبكّر، يكون فيه القطا هاجداً. ويروى: يذر: أي يبدد. ويروى: يزلّ: أي يزلق. نسورها: أخفافها.

6) ديوان لبيد ص 251. هجد: نام. أوامن: آمنة مطمئنة. المعرس: مكان النزول والإقامة. الجثوم: الثابت في مكانه لا يزاوله.

ثم إنّ لبيداً أكّد في شعره على سرعة ناقته، فهي لا تقلق أسراب القطا ظهراً فحسب، بل أضاف أنّها تفزعها ليلاً.[1]

كما أكثر الشعراء من ذكر القطا في وصفهم للخيل، فصوّروا الخيل المسترسلة بأسراب القطا الذي يريد الماء، كما شبّه لبيد خيول عمرو بن خالد بن جعفر، وهي تسير في جماعات متتابعة، كأسراب القطا المتدافع إلى ورد الماء، يقول:

شهابُ حُروُبٍ لا تَزالُ جِيــــادُهُ   عَصائبَ رهْواً كالقَطا المُتَبَكِّرِ[2]

واتّخذ الشعراء من القطا مثالاً للتبكير، فهي تبكّر بالورود إلى الماء، فيقول لبيد: إنّ من عادته أن يرد الماء في آخر ظلمة الليل، والدليل على تبكيره هو الورود قبل أسراب القطا:

فورَدْنَا قَبْلَ فُرَّاطِ القَــــــــطَا   إنَّ مِــــنْ وِرْديَ تَغْليسَ النَّهَلْ[3]

وكثيراً ما أشار الشمّاخ للبكور في المسير، وورد الماء[4]، وإفزاع طيور القطا، فهو كثير السُرى، مقتحم للأهوال، فقال: إنّه أفزع أسراب القطا على الماء، إلّا قطاتين ظلّتا، فأضاعتا سرب القطا، وقضتا طيلة النهار تبحثان عن سربيهما لبعد السربين، وكان الشمّاخ يراقبهما طوال الوقت، رغم ما يُعرف عن القطا وقدرته على الاستدلال، لكن الفزع أضلّهما:

وَسِربَينِ كُدرِيَّينِ قَد رُعتُ غُدوَةً   عَلى الماءِ مَعروفٌ إِلَيَّ لُغاهُما

إِذا اجتَهَدا التَرويحِ مَـدّا عَجاجَةً   أَعاصيرَ مِمّا يَستَثيرُ خُـطاهُما

إِذا غــادَرا مِنهُ قَطاتَينِ ظَلَّتـــا   أَديمَ النَهارِتَطلُبانِ قَطاهُمـــا[5]

ومن الخطوط البــارزة في صورة القطا، التي دار حولها الشعراء، مطــاردة الصقر للقطــاة[6]

---

1) انظر: ديوان لبيد ص 136.

2) ديوان لبيد ص101 انظر أيضا: ديوان لبيد ص258. شهاب حروب: نار حروب. عصائب: جماعات وفرق. رهوا: متتابعة. المتبكر في ورد الماء وشربه.

3) ديوان لبيد، ص 127. الفرّاط: السبّاق. من وردي: من عادتي. التغليس: الورود بغلس وهو ظلمة آخر الليل. النهل: الشربة الأولى.

4) انظر: ديوان الشماخ، ص 60، ص73.

5) ديوان الشماخ، ص 109. كدريّان: تثنية لكدريّ: أي في لونهما كدرة، وهو لون يضرب إلى الغبرة. رعت: أفزعت. غدوة: بكرة. لغاهما: أصواتهما. الترويح: العدو. مدّا: بسطا. عجاجة: واحدة العجاج، وهو الغبار. خطاهما:جمع خطوة: وهي ما بين القدمين. أديم النهار: بياضه.

6) انظر: ديوان كعب، ص 107. انظر ما ذُكر سابقا في الحديث عن الصقور،ص112

ورحلة القطا إلى الماء، ورحلة العودة إلى الفراخ محمّلة بالماء، ووصف الفراخ وطريقة شربهم، ولكن الشعراء جميعاً اهتمّوا بورود القطا إلى الماء.

وصف كعب أسراب القطا، وهي تجتاز طريقاً سهلاً واضح المعالم، لتحمل الماء إلى أفراخها الحديثة الولادة، يقول:

ومستهلكٍ يهدي الضَّلولَ كأنــه — حَصِيرُ صَنَاعٍ بين أَيْدِي الرَّوَامِـــل
مَتَى ما تَشَأْ تَسْمَعْ إذا ما هَبَطْتَه — تراطنَ سربٍ مغربَ الشمسِ نـــازل
رَوَايَا فِراخٍ بالــــفَلاَةِ تَوَائمٍ — تَحَطَّمَ عنهـــا البَيْضُ حُمْرِ الحَوَاصِـلِ
تَوَائِمَ أَشْبـــاهٍ بغيرِ عَلاَمــة — وضعنَ بمجهولٍ من الأرضِ خـاملِ[1]

كما أشار شعراء الدراسة إلى بعض الطيور إشاراتٍ سريعة، فذكروا الإوزّ[2] ، وقد شُبِّهت به الأباريق، وذلك في قول لبيد :

تُضَمَّنُ بِيضاً كالإِوَزِّ ظُرُوفُهَا — إذا أَتْأقُوا أعْناقَــها والحَواصِــلا[3]

كما ذكر الشمّاخ الإوزّ في بيت له:

فَفاءَت إِلى قَومٍ تُريحُ رِعاؤُهُم — عَلَيها ابنَ عِــرسٍ وَالإِوَزَّ المُكَفَّرا[4]

وذكروا الديك[5]، والدجاج[6]، وكذلك أشار لبيد إلى العصافير، التي رأى فيها العرب مثالاً للضعف، وشبّهوا الرجل الضعيف الذليل بالعصفور، وكذلك استُخدم اسمه في باب التصغير والتحقير. قال لبيد:

---

1) ديوان كعب، ص127. انظر أيضاً: الديوان، ص 90. المستهلك: الطريق الواضح. الضلول: الضال التائه. الصناع: المرأة الحاذقة في العمل. الروامل: النواسج للحصر. هبطته: نزلته وسرت فيه. التراطن: الأصوات الأعجمية التي لا تفهم. السرب: القطيع من القطا. روايا فراخ: أي أنها تحمل الماء إلى فراخها لترويها. تحطّم: تكسّر. حمر الحواصل: أي لم ينبت عليها ريش ولا زغب. أشباه: أي متشابهة. المجهول: المكان الذي لا يُعرف. الخامل: المجهول.

2) الإوزّ عند العرب البطّ، صغاره وكباره.

3) ديوان لبيد، ص 140. تضمّن: تودع، يعني الخمر. البيض: الأباريق كالإوزّ في هيئتها. أتأقوا: ملأوا. الحوصل(للطير): انتفاخ في المريء، يختزن فيه الغذاء قبل وصوله على المعدة.

4) ديوان الشماخ، ص 52. فاءت: رجعت. تريح: من الإراحة، وهي رد الإبل والغنم إلى مراحها. ابن عرس: دويبة معروفة. المكفّر: المغطّى بالريش.

5) انظر: ديوان لبيد، ص 31،26،8.

6) انظر: ديوان الشماخ، ص53. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص31.

فـــإنْ تسألِينا فيمَ نحنُ فإنّنَا   عَصافيرُ مِنْ هذا الأنامِ المُسَحَّرِ [(1)]

وبهذا، فإنّ الطيور قد نالت نصيباً وافراً من شعر الدراسة، حيث استمدّ الشعراء من أوصافها وأشكالها، وألوانها، وطباعها ما وجدوه ملائماً للمواضيع المناسبة التي أرادوا الحديث عنها، ووظفوا صورها المتنوّعة في خدمة معانيهم.

1) ديوان لبيد، ص 99. عصافير: ضعاف. مسحّر: معلل بالطعام والشراب. انظر: الجاحظ، الحيوان، مجلد 63/7. وأثبت الجاحظ بيتا للبيد يقول فيه: عصافير وذبّان ودودٌ وأجرأ من مجلّحة الذئاب.

الفصل الثالث

الدراسة الفنيّة

النسيج اللغوي:

أولا: الألفاظ

الكلمة هي عنصر أساسيّ من عناصر البناء الفنيّ، ولأنّها عامل من أقوى العوامل التي تتوقف عليها القيمة الجمالية لأيّ عمل أدبيّ، فقد حرص الشعراء منذ القدم على أن تكون أعذب لفظاً، وأصحّ معنى، وأكثر اتساقاً مع الجملة التي ترد فيها، " فالأداء الفنيّ الجميل أساسه الدقّة في اختيار الكلمة، ووضعها في بيئتها، وامتزاجها مع معناها، إذ ليس هو في مجموعه إلّا طائفة من الكلمات المؤتلفة المعبّرة".(1)

والشاعر المبدع والأديب الصادق هو ذلك الذي يستطيع أن يوفّر للكلمة بيئة صالحةً، ومناخاً مناسباً من التلاؤم، بحيث يكون للكلمة الواحدة من الفضل والمزية في موقع من مواقع الكلام ما ليس للكلمة نفسها في موقع آخر، وبهذا يستطيع الشاعر الموهوب " أن يؤلّف من الكلمات العاديّة قطعاً سحريّة يهبها من إبداعه، ويضفي عليها من فنّه وروحه ما يمدّها بزخمٍ حيويٍّ يؤهلها لأن تلامس مشاعره، وتعانق عواطفه، وتمسّ شغاف قلبه، وتدور حول مداره".(2)

ومن هنا، نجد حرص الشاعر على اختيار ألفاظه، وانتقاء مفرداته، لأنّ الكلمة هي مادّة الأدب، ووحدة البناء الفنّيّ للشعر، تؤدّي دورها في ترجمة العواطف الوجدانية، والتعبير عنها بصورةٍ دقيقة وأمينة، يساعدها في ذلك كلّه ما تتمتع به من أبعاد نفسيّة، وبما تضفي من ايحاءاتها على النصّ أبعاداً تُغنيه.

إنّ انتقاء الألفاظ، وتخيّر الكلمات والعناية بالأسلوب الشعريّ موضوع حظي باهتمام النّقاد العرب منذ أمد طويل، حيث نجد عند ابن طباطبا في عيار الشعر، قوله في وجوب كون الشعر: " كالسبيكة المفرغة، والوشي المنمنم، والعقد المنظم، واللباس اللائق، فتسابق ألفاظه معانيه" (3)، ونجد مثل هذه العناية بالألفاظ والاهتمام بالمفردات عند أبي هلال العسكريّ، فيقول: " وليس الشأن في إيراد

---

1) د.بلبع، عبد الحكيم، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه،** ط2، طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1975، ص 214.
2) د. بدوي، عبده، **الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي،** الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة والإعلام، مصر، 1975، ص 275.
3) ابن طباطبا، **عيار الشعر،** تحقيق د. طه الحاجري، و د. محمد زغلول سلّام، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1956، ص4.

المعاني، لأنّ المعاني يعرفها العربيّ، والعجميّ، والقرويّ، والبدويّ، وإنّما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحّة السبك والتركيب، والخلوّ من أود النظم والتأليف، وليس يطلب من المعنى إلّا أن يكون صواباً ". [1] ومن هنا، نجد أنّ النقّاد العرب قد تنبّهوا إلى ضرورة الاهتمام بالكلمة لما لها من أثر بالغ وأهميّة كبرى في العمل الأدبي. والأدب الجيّد والشعر الخالد لا تصنعه الكلمة وحدها، بل هو ذلك الذي يحرص فيه صاحبه على التوفيق بين اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون، والعناية بهما على المستوى نفسه، " بحيث يتعذّر الفصل بينهما لشدّة تلاحمهما وانسجامهما لتحقيق القيمة الجماليّة الي تحقق الإمتاع الفني، الذي هو غاية الأدب ومبتغاه". [2]

فالكلمة المجرّدة ليست بقادرةٍ على صنع الأدب الجيّد، فلا بُدّ لها من التضافر مع عدّة عناصر، كالموسيقى والصور والمضمون؛ لتكون قادرة على إعطاء الأسلوب للقصيدة الشعرية باتّساقها مع مجاوراتها من المفردات، وتآلف حروفها وموسيقاها الداخليّة والخارجيّة. ولذلك، فإنّ الحديث عن لغة شاعر لا ينفصل عن الحديث عن باقي عناصر القصيدة، وما عمليّة الفصل بين هذه الأمور سوى عملية استوجبتها متطلّبات الدراسة فقط.

ولا شكّ أنّ الشاعر المخضرم في العصرين الجاهليّ والإسلاميّ، أدرك كلّ هذا وأولى اختياره للألفاظ، وانتقاءه للمفردات والكلمات عناية كبيرة، واستطاع أن يمنحها ظلالاً موحيةً لتعبّر عن سابق انفعالاته، وعميق إحساسه بتجربته الشعريّة.

وسأتوقف في هذا الباب عند ظاهرة لغوية نلحظها في شعر الطبيعة عند شعراء الدراسة المخضرمين، وهي: وعورة الألفاظ، وكثرة الغريب في شعر الطبيعة عندهم.

---

1) العسكري، أبو هلال، **الصناعتين**، تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل أبراهيم، إحياء االكتب العربية، القاهرة، 1952، ص 57،58.

2) د.بلبع، عبد الحكيم، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه**، ص 224.

لقد كثُرت الألفاظ الوعرة و الغريبة في شعر الدراسة، ولعلّ هذا ما فرضته طبيعة موضوعات الدراسة نفسها، ففي موضوعات الوصف عامة، ووصف الحيوان بصورة خاصة، تطالعنا وعورة الألفاظ وغرابتها بشكل لافت للنظر، لعلّ ذلك يعود إلى طبيعة العلاقة في الشعر بين اللغة و الموضوع، فهناك ثمّة علاقة بين الألفاظ و الموضوع، بحيث تختلف الألفاظ سهولة و صعوبةً باختلاف الموضوع الذي ينظم فيه.

أمّا من حيث ألفاظ شعراء الدراسة المخضرمين في شعرهم الجاهليّ، ومقارنة ذلك بألفاظهم في شعرهم الإسلاميّ ومدى التوافق والاختلاف بينها، فقد بدى الاختلاف بين تلك الألفاظ متمثلاً في أنّ الشعر الجاهليّ غريب اللفظ، رصين العبارة، متين النسج، جزل قوي، والشعر الإسلاميّ رقيق اللفظ، عذب العبارة، سهل النسج، سلس هادئ، وينبع هذا الاختلاف من البيئة و الموضوعات التي يتناولها الشعراء في شعرهم. ونضرب على ذلك مثلاً شعر لبيد بن ربيعةَ الجاهلي، ففي شعره الجاهليّ "كثيرٌ من الوعورة و الخشونة النابعة من بيئته الصحراوية، بخلاف شعره الإسلاميّ الذي يبدو سلساً و خالياً من هذه الوعورة وتلك الخشونة، التي ربما يكون سببها أنه سكن المدن و الحواضر مبتعدا عن البادية وما تشتمل عليه من مظاهر طبيعية".(1)

أمّا موضوعات شعرهم، وأثرها في اختلاف ألفاظهم في العصرين الجاهليّ و الإسلاميّ، فنجد ذلك متمثّلاَ في طرق شعراء الدراسة لموضوع الوصف جاهليّاً، واهتمامهم به أكثر من غيره من الموضوعات. وبما أنَّ دراستي تقوم على وصف الطبيعة في شعر المخضرمين الثلاثة: (الشماخ الذبياني، كعب بن زهير، لبيد بن ربيعة). فلم أتطرّق لموضوع الرثاء أو المدح أو الغزل في شعرهم، بل كانت الدراسة مختصّةً بموضوع الوصف، وأكثر ما يكون شيوع الغريب من الألفاظ في فن الوصف. وكان بعض شعراء الدراسة أكثر كزازة في الألفاظ ووعورةً في الخطاب من غيره، وفي ذلك يقول ابن سلاّم: " فأمّا الشماخ فكان شديد متون الشعر، أشد أسر كلامٍ من لبيد، وفيه كزازة، ولبيد أسهل منه منطقاً".(2) والشمّاخ شاعر تتجلّى بداوته واعرابيته البعيدة عن صقل الحضارة في لغة شعره

---

1) انظر: إبراهيم، عبدالله محمود أحمد، **لبيد بن ربيعة العامري وشعره الإسلامي**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1998، ص78.

2) الجمحي، ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ص132. متون الشعر: ألفاظه وصياغته، الكزازة: التيبس والتقبض، يعني أن ألفاظه وعباراته غير سهلة ولا لينة فهي تحتاج إلى بسط.

فألفاظه " متينة رصينة، يكثر فيها الغريب كثرةً قلّ أن تجد لها نظيراً عند غيره من شعراء البادية في عصره "(1)، وقد تستعين بمعجمات اللغة لفهم كثير من ألفاظه.

و" مع أنّ لغة الشعر كانت قد تطورت في عصره، و تحضرت بعض التحضّر، إلا أنّ لغة الشماخ لم تتأثر كثيراً بهذا التطور، وظلّت صعبة المرام، وذلك لغلبة البداوة على طبعه، وقلة اتصاله بالبيئات المتطورة قبيل الإسلام و بعده "(2)

والدارس لشعر الشماخ والمتأمل في لغته، يجد أنها أبانت على الرغم من كزازتها ووعورة ألفاظها، عن امتلاك الشاعر لناصيتها، وتطويع الكلمات لتتناسب مع صوره وأفكاره.

وأكثر ما تبدو وعورة الألفاظ وغرابتها في شعره، في وصف الطبيعة عامةً والحيوان خاصةً، كقوله يصف ظليماً ونعامةً (3):

هَيْق هِزَفّ وزَفَّـــــانِيَّة مَرَطَى   زَعْراء ريش ذُنابــــــاهـــا هَراميلُ

وقوله في وصف ناقته(4):

جُماليَّة في مَشْيِهــــا عَجْرَفِيَّة   إذا العِرْمِسُ الوَجْناءُ طالَ اخْتفاضُها

وقوله في وصف حمار الوحش (5):

مُفِجُّ الحَوامي عَن نُسورٍ كَأَنَّها   نَوى القَسْبِ تَرَّت عَن جَريمٍ مُلَجلَجِ

---

1) الهادي، صلاح الدين، **الشماخ بن ضرار الذبياني حياته و شعره**، دار المعارف، مصر، 1968، ص264.

2) المصدر نفسه، ص264.

3) ديوان الشماخ، ص 97. الهيق: الظليم. الهزفّ: الظليم المسنّ السريع، أو النافر، أو الطويل. الزفانية: النعامة التي تزفن، أي ترقص في عدوها. مرطا: أي أسرعا. الزعراء: التي تحات ريشها. ذناباها: ذنبها. هراميل: ساقط.

4) المصدر نفسه، ص73. جمالية: لها صفات الجمال المذكرة القوية. عجرفية: نشيطة. العرمس: الناقة الصلبة الشديدة. الإختفاض: السير اللين.

5) المصدر نفسه، ص 38. مفج الحوامي: مفرق نواحي الحافر. نسور: واحدها نسر، وهي نكتة داخل الحافر تحمد صلابتها. القسب: التمر اليابس. الجريم: المنفصل. ملجلج: متحرك يلوكه الفم.

ومن ذلك قوله يصف ظبيةً (1):

سَفعاءُ وَقَّفَها السَوادُ تَرى لَهـــا زَمَعـــاً وَصَلنَ شَوىً لَهُنَّ دِقاقا

وقوله في وصف الصحراء (2):

بِمَفطوحَةِ الأَطرافِ جَدبٍ كَأَنَّما تَوَقُّدُها في الصَخرِ نيرانُ عَرفَجِ

والأمثلة على ذلك كثيرة فيما عرضنا له من شعره، وما سقناه من نماذج عدة يمكن الرجوع إليها في الفصلين السابقين من الدراسة.

أمّا لبيد، فلم يتفق الدارسون في تقويم شعره، فمنهم من رآه عذب المنطق، رقيق حواشي الكلام (3)، ومنهم من عدّه مثالاً لخشونة الكلام وصعوبته، ويرجع هذا الاختلاف إلى موضوعات شعر لبيد، فمن وصفه بالرقة والسهولة، هو من نظر إلى أشعاره ذات السمات الدينية، وأمّا من وصفه بالخشونة والوعورة فهو الذي نظر إلى شعره الذي يصور فيه الحيوانات ويصور فيه مناظر الصحراء. (4)

ويقول بعض الدارسين في شعر لبيد: " من يقرأ شعره الجاهلي يجد من لفظه وعوثة الصحراء وخشونة البادية، وفي معانيه صوراً موغلةً في البداوة، ومستمدةً من مظاهر الطبيعة...، وحين دخل لبيد في دين الله، تأثر بتعاليم السمحاء، وأخذ ينهل من معين القرآن الكريم، فأكتسبت ألفاظه رقةً ورشاقةً، ومعانيه سمواً ورفعةً. " (5)

وفي دراستي لموضوع الطبيعة في شعر لبيد، أستطيع القول إنّ أشعار لبيد غنيّة بالثروة اللفظية لما

---

1) ديوان الشماخ، ص 82. سفعاء: لونها أسود مشرب بالحمرة. وقفها السواد: في قوائمها خطوط سود. الزمع: الشعر المتدلي في مؤخر رجل الشاة او الظبي. شوى الدابة: قوائمها.

2) ديوان الشماخ، ص 39. بِفطوحَةِ الأَطرافِ: واسعة. العرفج: نبات شديد الإشتعال.

3) الجمحي، ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ص43

4) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، ص145-146

5) انظر: د. صيام، زكريا، **شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص9.

لما فيها من البداوة والغريب. وألفاظه في شعره الإسلامي لا تكاد تختلف عنها في شعره الجاهلي، فقد كانت ألفاظاً وعرة خشنة، وكان شعره جزلاً قوياً، وربما كان ذلك لأنّ لبيد كان قد جاوز الشطر الأكبر من عمره في الجاهلية، وليس من اليسير أن يغير ما اعتاد عليه طويلاً في جاهليته بعد إسلامه.

وتتجلّى وعورة الألفاظ وغرابتها في شعره في وصفه للحيوان، حين يعكس بيئة الصحراء وبداوتها، كقوله يصف حمار الوحش (1):

فَهْوَ شَحّـــــاجٌ مُـــــدلٌ سنقٌ   لاحِقُ البطنِ إذا يعدو زملْ

وقوله يصف فرسه (2):

وكَـــــأنِّي مُلْجِمٌ سُوذَانِقـــــاً   أجْدَلِيّاً، كَرُّهُ غَيرُ وَكَـــــلْ

وقوله يصف ناقته (3):

بِخَطِيرةٍ تُوفي الجديلَ سَرِيحَةٍ   مِثْلِ المَشُوفِ هَنَأْتَهُ بعَصِيمِ

وقوله يصف ظليماً (4):

صعلٌ كسافلةِ القنـــــاةِ وظيفُهُ   وكأنَّ جُؤْجُؤهُ صفيحُ كرانِ

والأمثلة على ذلك كثيرة، كنا قد عرضناها في الفصول السابقة من هذه الدراسة.

والحديث عن كعب بن زهير لا يختلف عن سابقَيْه – الشماخ ولبيد –، فقصائد كعب في العصر الإسلامي قصائد جياد على غرار القصائد الجاهلية، يتذكر فيها ديار الاحباب وقد عفتها الرياح العاصفة، والأمطار الغزيرة، وكان يصف فيها رحلته وناقته التي هي وسيلته في الوصول إلى غايته،

---

1) ديوان لبيد، ص 129. شحّاج: كثير التصويت. مدلّ: جريء. سنق: بشم لكثرة ما أكل. زمل: اعتمد في عدوه على أحد شقّيه، رافعاً الجنب الآخر.

2) المصدر نفسه، ص129. ملجم: واضع اللجام. السوذانق: الشاهين. ألأجدل: الصقر. الوكل: الضعيف البليد.

3) ديوان لبيد، ص 248. خَطِيرة: الناقة التي تخطر بذنبها. الجديل: زمام الناقة. سريحة: سريعة. المشوف: البعير المهنوء بالقطران.

4) المصدر نفسه، ص273. الصعل: الظليم، دقيق العنق، صغير الرأس. الوظيف: عظم الساق. الجؤجؤ: الصدر. الكران: البربط، يقول: كأن صدره صدر عود. الصفيح: الخشب المشقوق.

كما كان يصف البيئة الصحراوية، وكان يشبه ناقته تارةً بحمار الوحش، وتارةً أخرى بالثورِ الوحشي، ويشبهها بالظليم تارةً ثالثة، وكان في كلّ هذا يستخدم ألفاظاً غريبةً وصعبةً، إلاّ أنّها – كما أرى – أقل وعورةً مما كانت عليه في شعر الشماخ ولبيد، كقوله يصف ناقته (1):

خوصاءَ صافيةٍ تجودُ بمـــــائهـــــا   وَسْطَ النَّهَـــــــارِ كَنُطْفَةِ الحَرَّانِ

وقوله يصف أتاناً وحشيةً (2):

سَمْحةٍ سَمْحَجِ القَـــــوائِم حَقْبـــــــاءَ   من الجــــــــونِ طُمِّرتْ تطميرا

وقوله يصف فرسه (3):

شَدِيدُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَـا   كأنّ مكانَ الرِّدْفِ من ظهرِه وَعَى

وقوله يصف كلاب الصيد (4):

مقعيــــــــاتٍ إذا علونَ يفاعــــــاً   زرقـــــــاتٍ عيونهـــــا لتغيرا

ومما سبق، نلاحظ ورود ألفاظ غريبة ووعرة في شعر كعب، إلاّ أنّها تبقى أقل صعوبةً وغرابةً مما شهدناه في شعر الشماخ.

ويتضح من دراستنا هذه لألفاظ شعراء الدراسة المخضرمين، أنهم كانوا يؤثرون في وصف حيواناتهم اللفظ الجزل والغريب، كما كانت أغلب ألفاظهم في وصفهم للطبيعة بشقّيها الصامت والصائت ألفاظاً وعرةً شائكةً، منتزعةً من لغة البادية بما فيها من خشونة وجفاء – كما يبدو لنا – ولا شكّ بأنّ ألفاظهم تلك كانت مألوفةً مستعملةً لديهم، بدليل كثرة ورودها في أشعار المخضرمين الثلاثة، حيث يقول د. نوفل عن اللفظ الغريب في شعر الجاهليين والمخضرمين: " وإذا كان فيه غرابة، فليس

1) ديوان كعب، ص 160. تجودُ بمائها : تجود بعرقها. النطفة : الماء قل أو كثر. الحرّان: العطشان.

2) المصدر نفسه، ص71. السمحة: المواتية السهلة. السمحج: الطويلة. الحقباء: التي في بطنها بياض. الجون: التي ألوانها سود. طمّرت تطميرا: طوّلت وثبّتت قوائمها على وجه الأرض.

3) المصدر نفسه، ص45. الشظى: عظم ملصق بعصب الذراع. عبل الشوى: ضخم القوائم والنسا: عرق يستحب قصره وتشجنه. وعى العظم: إذا جبر بعد كسر وصح، وذلك أشد له.

4) المصدر نفسه، ص 70 . مقيعات: من الإقعاء، وهو القعود على الذنب مع الانتصاب. اليفاع: المرتفع من الأرض. زرقات عيونها: من الغضب. تغير: تهجم وتشنّ الغارة.

منشؤها التعقيد، وإنّما غرابة قاموسهم اللغوي بالقياس إلى قاموسنا، وبعدنا عن مألوف الحياة العربية.". [1] وكذلك قول عبد العزيز نبوي: " وجلّ ما يمكن قوله أن ما يبدو من الألفاظ الجاهلية صعباً لا يعدو أن يكون ألفاظاً ماتت من الاستعمال اليومي أو الأدبي في عصرنا، إمّا لأنها أسماء لمسمياتٍ اختفت من الحياة الجديدة التي ابتعدت عن البادية، كالنباتات أو أجزاء الحيوانات، أو لأنها اختفت نتيجةً للتطور الحضاري للغة ".[2]

---

1) نوفل، سيد، **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، مكتبة الدراسات الأدبية (72)، دار المعارف، ط2، ص70.

2) نبوي، عبد العزيز، **دراسات في الأدب الجاهلي**، الصدر لخدمات الطباعة، ط3، القاهرة، ص233.

ثانيا: التكرار

يُعدّ التكرار سمة من السمات الأسلوبية التي شاعت في الشعر العربي؛ قديمه وحديثه، وتذهب المعاجم اللغوية إلى أنّ التكرار من كرّر الشيء، تكريرا وتكراراً، وكركرة وتِكرّة، بمعنى إعادته مرة بعد أخرى، ويقال: كررتُ عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه، وكركرته عن كذا كركرة؛ إذا رددته، والكرّ: الرجوع على الشيء، والتكرار مصدر والتكرير اسم [(1)].

أما التكرار في الاصطلاح فهو" إعادة عناصر العمل الأدبي مرةّ أو مرات عديدة، وهو أساس الإيقاع بصوره جميعها" [(2)].

وعن أهمية التكرار يقول محمد مفتاح: " إنَّ تكرارَ الأصوات والكلمات والتراكيب ليس ضرورياً لتؤدِّي الجمل وظيفتها المعنوية والتداولية، ولكنه (شرط كمال) أو "محسِّنٌ" أو "لعبٌ لغويّ " " [(3)]، ثم يستدرك على بيان هذه الأهمية فيقول: " ومع ذلك فإنَّ التكرار يقوم بدور كبير في الخطاب الشعريّ أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى الإقناعية " [(4)].

أما عن دوافع التكرار لدى المحدثين فإننا نجد مصطفى السعدني يقسمها إلى قسمين: دوافع نفسية، وأخرى فنية، أما النفسية " فإنها ذات وظيفة مزدوجة تجمع الشاعر والمتلقي على سواء، فمن ناحية الشاعر يعني التكرار الإلحاح في العبارة على معنى شعوري يبرز من بين عناصر الموقف الشعري أكثر من غيره، وربما يرجع ذلك إلى تميزه عن سائر العناصر بالفاعلية، ومن ثم يأتي التكرار لتميزه بالأداء" [(5)]، أما الدوافع الفنية فإنه يرى أنها تكمن في " تحقيق النغمية والرمز لأسلوبه " [(6)] .

فالتكرار إذن، ظاهرة أسلوبية يلجأ إليها الشاعر لمعالجة موضوع أو فكرة ما، والكشف عما في داخله من قضايا مخبوءة يريد إيصالها إلى المتلقي والتأثير فيه،وبقصد التأكيد والتقرير وزيادة التنبيه، وتذكّر ما بَعُد بسبب طول الكلام، والتهويل وزيادة الاستبعاد، وزيادة المدح والتعظيم، والتلذذ

---

1) ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (ت711 هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (كرر).
2) وهبه، مجدي وكامل المهندس (1979)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ص66.
3) مفتاح، محمد، (1992)، تحليل الخطاب الشعري : إستراتيجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 39.
4) المصدر نفسه، ص 39.
5) السعدني، مصطفى (1987) ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشاة المعارف، القاهرة، ص 172.
6) المصدر نفسه، ص 173.

بذكر المكرر والتنويه بشأن المذكور، والوعد والوعيد والتهديد والتوجع والاستغاثة والتهكم والازدراء، وغيرها من الأغراض البلاغية التي تحدث عنها البلاغيون القدامى [1] ، كما أن طبيعة اللغة قد تقتضي التكرار، فالمعاني " أوسع مدى من الألفاظ، وهذا يستدعي إعادة الألفاظ على أوجه مختلفة من الهيئات والدلالات المجازية والرمزية لاستيفاء المعاني" [2] .

1- تكرار الألفاظ.

يعدّ تكرار الألفاظ المفردة – سواء أكانت حرفاً أم فعلاً أم اسماً – من أبسط أنواع التكرار اللفظي، وربما أكثرها شيوعا في الشعر العربي، وهذا النوع من التكرار لا يتحقق الجمال فيه بتحققه في القصيدة وحسب، وإنما بمناسبته لما يحيطه من مفردات سابقة ولاحقة، وما يثري من دلالات، تخدم الوظيفة التي ينهض بها السياق العام للبيت أو القصيدة، ويمكن أن نقف عند شعر المخضرمين على تكرار الأنماط الآتية من المفردات:

- تكرار الحروف.

شاع في شعر مخضرمي الدراسة ظاهرة تكرار الحروف، ولا يمكن تجاهل ما لهذه الظاهرة من أثر في المتلقي ونفسيته، وهو تكرار له "مزية سمعية وأخرى فكرية: الأولى ترجع إلى موسيقاها، والثانية إلى معناها ") [3].

ويحمل تكرار حرف معين من الحروف دلالات متباينة تختلف باختلاف الحرف، واختلاف موقعه وتكراره، وقد يرتبط ذلك "بتكرار حرف داخل القصيدة الشعرية يكون له نغمته التي تطغى على النص لأن الشيء الذي لا يختلف عليه اثنان أن لا وجود لشعر موسيقي دون شيء من الإدراك العام لمعناه أو على الأقل لنغمته الانفعالية " [4] ، وهذا ما يجعلنا لا نستهين بالحروف وقدراتها التعبيرية. فنجد الشاعر يتكئ على تكرار بعض الحروف في التراكيب المكونة للبيت الشعري محققاً التجانس بين

---

1) انظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة، 2 : 73 – 74.
2) السيد، عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير، ص4.
3) السيد، عز الدين علي ، التكرير بين المثير والتأثير، ص 58.
4) ويليك، رينيه (1985)، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة د.حسام الخطيب، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 165.

المفردات على مستوى اللفظ والمعنى، كقول لبيد:

فمضَى وَضَاحِي الماءِ فوق لَبَانِهِ   ورمَى بها عُرضَ السَّريّ يعومُ[1]

تطالعنا في البيت السابق حروف المد واللين التي في كلمات من مثل: (مضى / ضاحي / لبانه / رمى / بها / يعوم) لتكشف عن تناغم تكرار الحروف التي تحمل صفات مشتركة، ورؤية الشاعر ومضمون القصيدة، مما أشاع جرساً موسيقياً متوازناً – إلى حد كبير – على امتداد البيت، كما أتاحت هذه الصوائت امتداداً كافياً ليحمل أبعاد الحالة الشعورية التي في داخله، ويأتي البيت الذي يلي البيت السابق ليرسخ رؤية الشاعر وحالته النفسية من غير لبس لدى المتلقي، فيقول:

فبتلكَ أَقْضِي الهمَّ إن خِــــلَاجَهُ   سَقَمٌ وإنِّي للخِلاجِ صَـــــرُومُ[2]

فنجد التصريح هنا بحضور الهمّ وما يرافقه من حالة الشك التي تغشى الشاعر متناغماً مع تكراره لحروف المد واللين التي تقدر على إعطاء انسيابية أكبر أسهمت في الكشف عن مكنونات نفسه. ومن مثل ما سبق ما نجده في قول كعب بن زهير :

أَمسَت سُعـــادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها   إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ[3]

وقول الشمّاخ [4]:

فَخاضَ أَمــــامَهُنَّ المـاءَ حَتّى   تَبَيَّنَ أَنَّ ســـــــــــــاحَتَهُ قَفيرُ

وممّا يميّز حروف المدّ " أنّها بالشعر ألصق؛ لأنّ الشعر في الأعمّ وخاصة العربيّ، يمثل غناء النفس وأشواقها وآلامها وأفراحها التي تناسبها مدّات الشجا والأسى والحنين والأنين والسرّاء والضرّاء، وهذه المدّات دخلت في حسبان النقد الأدبي وسيلة من وسائل تصوير المشهد الذي ينقلنا إليه الشاعر بنشيده" [5].

---

1) ديوان لبيد، ص 188. ضاحي الماء: أعلاه. اللبان: الصدر. السَّري: النهر. انظر أيضاً: ديوان لبيد، ص 210، البيت 24.
2) ديوان لبيد، ص 189. خلاجه: ما ينازعه من الشك. صروم: قاطع.
3) ديوان كعب، ص111. العتاق: النوق الكريمة. المراسيل: الخفاف . انظر أيضاً: ديوان كعب، ص48، البيت 3.
4) ديوان الشمّاخ، ص56.
5) السيد، عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير، ص65.

ومن الحروف الأخرى التي شاع تكرارها في شعر لبيد، الحروف التي تحمل أصواتاً مجهورة ومهموسة، ولهذه الحروف وتكرارها دلالات مرتبطة بنفسية الشاعر ورؤيته التي يسقطها على القصيدة، في انسجام متناسق والبيئة التي احتضنت التجربة الشعرية. ومن نماذج هذا التكرار قول لبيد [1]:

جـــــــاوَزْنَ فَلْجَاً فالحَزْنَ يُدْلِـ   ـجْنَ بالليل ومنْ رَمْل عـــــالجٍ كُثُبَا
مِنْ بعد ما جاوَزَتْ شقائِقَ فالدّهْـ   ـنا فَصُلْبَ الصُمَّــــانِ والخُشُبَـــــا

تُظهر لنا الأبيات السابقة تكراراً لحرفي (الجيم، والدال) وهما حرفان يتصفان بالجهر والشدة، ومن الملاحظ أنّ هذه الأبيات تتضمن صوراً حركية تتطلب قدراً من التناغم بين دلالات الشدة والقوة، والألفاظ الدالة على ذلك. وقد استطاع الشاعر تجاوز تحقيق هذا التناسق إلى الإبداع في اختيار ألفاظ ذات بنية صوتية متوافقة في صفاتها مع تلك الدلالات والصور التي تتكون منها الأبيات الشعرية. ومن نماذج هذا التكرار أيضاً قول الشمّاخ:

وَتَقسِمُ طَرفَ العَينِ شَطراً أَمامَها   وَشَطراً تَراهُ خِشيَةَ السَوطِ أَخزَرا [2]

وفي هذا البيت تكرار لحرفي (الطاء، والراء) وهما حرفان يتصفان بالجهر والشدة كذلك، ونلاحظ أنّ هذا التناوب بينهما في كلا الشطرين يعطي ظلالاً جميلة على الصورة، ونغماً موسيقياً تتناوب فيه ايقاعات الحروف.

ومثل ذلك تكرار حرفي (القاف، والباء) المجهورين الشديدين في قول كعب يصف ناقته الضخمة القوية[3] :

ضَخمٌ مُقَلَّدُهـا فَعَمٌ مُقَيَّدُهـــــــا   في خَلقِها عَن بَناتِ الفَحــلِ تَفضيلُ
يَمشي القُــــرادُ عَلَيها ثُمَّ يُزلِقُهُ   مِنها لَبانٌ وَأَقرابٌ زَهــــــــــاليلُ

فنجد أن هذه الــحروف الــمكررة ذات بنية صـوتية تتـوافق في صفاتهـا مع الـدلالات والـصور التي

1) ديوان لبيد، ص 31. الحزن: الأرض الغليظة. الخشب : الجبال.
2) ديوان الشمّاخ، ص50. الأخزر: الأزور المائل النظر كمن ينظر بمؤخر عينه.
3) ديوان كعب، ص111. مقلّدها: عنقها، الفعم: المليء، مقيّدها: رسغها، بنات الفحل: النوق. القراد: حشرة صغيرة تتعلق بالدواب. اللبان:الصدر الأقراب: الخواصر. الزهاليل: الملس.

تتضمنها الأبيات.

أمّا حين يتحول الشاعر منهم إلى الوصف أو الشكوى، نجده أكثر ميلاً لتكرار حروف تتصف بالهمس، في ما يشبه تبطيء الحركة، والميل إلى السكون تماشياً مع الحالة النفسية التي يناسبها في هذا المقام أجواء خالية من التوتر والشدة، ومن مثل ذلك التكرار ما نجده في بيت الشعر الذي يصف فيه لبيد فرسه، يقول [1]:

ساهمُ الوجهِ شديدٌ أَسْرهُ   مُغْبَطُ الحاركِ محبوكُ الكَفَل

فتكررت في البيت السابق حروف (السين والحاء والكاف) وهي حروف تتصف بالهمس والرخاوة، وهي صفات توازي الحالة الشعورية التي تسيطر على الشاعر في وقفته أمام مشهد وصف فرسه.

إضافة إلى تكرار الحروف على نحو ما سبق، فإنّ الشعراء المخضرمين قد برعوا في تكرار بعض الأدوات كأدوات الشرط [2] وغيرها، وكرروا حروف الجر وحروف العطف[3] والنفي[4] وغيرها، كما عمدوا إلى تكرار بعض الأساليب اللغوية من خلال أدواتها المخصوصة ، كأسلوب الحصر من خلال (ما) و(إلا)[5] ، وتكرار(كأنّ)[6] في تشبيهاتهم المتعددة ، سواء على مستوى البيت الواحد أو القصيدة،

---

1) ديوان لبيد، ص128 . شديد الأسر: موثق الخلق. شديد الأسر: موثق الخلق.   الحارك: فروع الكتفين. الغبيط: قتب الهودج. محبوك الكفل: مدمج فيه استواء مع ارتفاع.

2) انظر ديوان لبيد: ص 118 البيت 8، ص119 البيت 4، ص 131 البيت 69، ص 179 البيت 31، ص 197 البيت 4، ص 271 البيت 20. و انظر: ديوان الشماخ، ص 36 البيت 34 ، ص 44 البيت 15،14 ، ص 48 البيت 13 ، ص 50 البيت 26 ، ص 52 البيت 42 ، ص 72 البيت 5 ، ص 73 البيت 10 ، ص 92 البيت 7 ، ص 114 البيت 12.

3) تكرار فاء العطف: انظر ديوان لبيد، ص 31 البيت 4، ص 137 البيت 18، ص 149 البيت 2، ص 180 البيت 2. وانظر ديوان كعب، ص 105 البيت 1.

4) انظر ديوان لبيد، ص 42 البيت 8، ص 67 البيت 5، ص 94 البيت 21، ص 148 البيت 43، 44، ص 188 البيت 29، ص 198 البيت 4. وانظر ديوان كعب، ص 70 البيت 31، ص 131 البيت 7. وانظر ديوان الشماخ، ص 33 البيت 7 ، ص 73 البيت 7.

5) انظر ديوان لبيد، ص 78 البيت 10، ص 150 البيت 2، ص 151 البيت 3. وانظر ديوان الشماخ، ص 59 البيت 17 ، ص 112 البيت 2، . وانظر ديوان كعب، ص 106 البيت 8، ص 111 البيت 14،13، ص 119 البيت 15.

6) انظر ديوان لبيد، ص32 البيت 8، ص34 البيت 17، ص39 البيت 7، ص 80 البيت 3، ص 86 البيت 27، ص129 البيت 49، ص136 البيت 13، ص165 البيت 47، ص258 البيت 19، ص270 البيت 16. وانظر ديوان كعب، ص 70 البيت 33، ص 91 البيت 22 ، ص 97 البيت 22 ، ص 113 البيت 27، ص 119 البيت 19 ، ص 120 البيت 22 ،ص 131 البيت 6،8، ص 141 البيت 9. وانظر ديوان الشماخ، ص 50 البيت 22،25 ، ص 52 البيت 41 ، ص 59 البيت 22 ، ص 63 البيت 5 ، ص 71 البيت 56 ، ص 73 البيت 8 ، ص 79 البيت 29 ، ص 82 البيت 13 ، ص 87 البيت 13 ، ص 88 البيت 17 ، ص 98 البيت 24 .

بل حتى في أكثر من قصيدة، وجلّ هذه الأدوات جاء تكرارها متناغماً والحالة النفسية التي يعبّر عنها الشاعر، أو الفكرة التي يعالجها.

- تكرار الأفعال.

استغلّ الشعراء المخضرمون الإمكانية الموسيقية في التكرار، فجاء في شعرهم بصور متعددة في الأفعال، منها ذكر الفعل ثمّ يعقبه مصدره، كقول الشمّاخ: (1)

يَرمَحنَهُ بَعدَ اللِمـــــامِ أَوابِياً　　　شُمساً فَقَد أَحنَقنَهُ إِحناقـــا

ومثل ذلك ما نجده في قول كعب(2) :

سَمْحة ٍ سَمْحَجِ القَوائِم حَقْبـــاءَ من الجـونِ طمِّرتْ تطميرا

وقول لبيد (3) :

رحَلْنَ لشُقّةٍ ونَصَبْنَ نَصْباً　　　لِوَغْراتِ الهواجرِ والسَّمومِ

أو ذكر المصدر ثم يعقبه فعله، كقول الشماخ (4) :

وَقَد كُنَّ اِستَتَرنَ الـــلورِدَ مِنهُ　　　فَأَورَدَها أَواجِنَ طـــامِياتِ

ومن الصور أيضاً تكرار الفعل في حالاته المختلفة، ومن نماذج هذا التكرار قول لبيد (5) :

تَرُوحُ إذا رَاحَ الشَّرُوبُ كأنّها　　　ظِباءُ شقيقٍ ليسَ فيهنَّ عـاطِلُ

---

1) ديوان الشماخ، ص 85. الرمح: الضرب بالرجل. شمسا: نوافر جامحات. أحنقنه: أغضبنه. وانظر أيضاً: الديوان ص 33 البيت 12، ص 34 البيت 19، ص35 البيت 28، ص 51 البيت 35، ص77 البيت 17.

2) ديوان كعب، ص71. السمحة: المواتية السهلة. السمحج: الطويلة. الحقباء: التي في بطنها بياض. الجون: التي ألوانها سود. طمّرت تطميرا: طوّلت وثبّتت قوائمها على وجه الأرض. وانظر أيضاً: الديوان، ص 45 البيت 10، ص80 البيت21 .

3) ديوان لبيد، ص252. يُروى: نصصن نصّاً: رفعن للسير والنجاء. الوغرة: شدة حر النهار. وانظر أيضاً: الديوان، ص 87 البيت 28، ص 98 البيت 11، ص 127 البيت 34، ص 129 البيت 52، ص 250 البيت 32، ص 253 البيت 16.

4) ديوان الشماخ، ص 30 . الأواجن: جمع آجن وهو الماء المتغير طعما ولونا. طامية: ممتلئة.

5) ديوان لبيد، ص148. الشروب: كثير الشرب. شقيق: اسم مكان. العاطل: المرأة العارية من الحلي. وانظر أيضاً: الديوان، ص 89 البيت 4، ص 110 البيت 1، ص 268 البيت 6. وانظر ديوان كعب، ص 155 البيت 42. وانظر ديوان الشماخ، ص 30 البيت 12.

كما نجد تكراراً للفعل نفسه في قول الشماخ [1] :

نَماها العِزُّ في قَطَنٍ نَمـــــــــاها   إلـــــى فَرخَينِ في وَكرٍ رَفيعِ

ومن الصور أيضاً ما نجده من تكرار لمادة (نهض) في قول لبيد [2] :

يَذْعَرُ البَــــــــــرْكَ فَقَدْ أفْزَعَهُ   ناهضٌ يَنهَضُ نَهضَ المُختَزَلْ

ونلاحظ في هذا البيت أنّ الدفقة الموسيقية قد جاءت من تكرار مادّة (نَهَضَ) ، ويزيد من موسيقا الأبيات أيضاً تكرار حرف (العين) في الشطر الأول.

- تكرار الأسماء

لا يختلف كثيراً ما يمكن قوله في تكرار الحروف عن تكرار الأسماء، إلّا من الإشارة إلى أنّ هذا التكرار يعد قبيحاً ومعيباً إذا قصد منه البحث عن موسيقى تفتقرها القصيدة " أو تشبيها بشاعر كبير، أو ملئاً لفراغ " [3] .

ونجد في شعر الطبيعة في هذه الدراسة تكراراً لأسماء بعض موجودات البيئة التي ينتمي إليها كلّ شاعر سواء أكانت بيئة ساكنة أم متحركة. يقول كعب بن زهير[4]:

وإنّ الكُمَيْتَ عند زَيْدٍ ذِمــــــامَةٌ   ومــا بالكُمَيْتِ من خَفَاءٍ لِمَنْ رَأى

نجد كعباً في هذا البيت يكرر اسم فرسه (الكُميت)، وفي هذا التكرار دلالة على أهميّة الفرس، وشدّة تعلّقه به.

أمّا في تشبيه كعب للأنصار بالأسود يقول[5]:

دَرِبوا كما درِبت أُسودُ خفيَّةٍ   غُلبُ الرقابِ من الأسودِ ضواري

1) ديوان الشماخ، ص 78. قطن: اسم جبل. الفرخان: الام والاب اللذان تنتمي اليهما العقاب. وانظر أيضاً: الديوان، ص 30 البيت 9.

2) ديوان لبيد، ص133. وانظر أيضاً تكرار مادّة (رامَ): الديوان، ص 186 البيت 25.

3) الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، ص 265.

4) ديوان كعب، ص45. ذِمامة: حق وحرمة.

5) ديوان كعب، ص59. دربوا: اعتادوا ضراوة الأسود. خفيّة: موضع تكثر فيه الأسود. غلب الرقاب: غلاظها. الضواري: اللواتي ضرين يأكلن اللحوم. انظر أيضاً: الديوان، ص 108 البيت 23، ص116 البيت 51.

ونلاحظ في هذا البيت تكرار لفظة (أسود) مرتين، وذلك للتأكيد على هيبة الأنصار ومكانتهم، وما يتصفون به من قوّة وشجاعة، ومثل ذلك قول لبيد [1]:

إنَّ الرزيّةَ لا رَزِيَّةَ مثلها　　　　فقدانُ كُلِّ أخ كضَوْءِ الكوكبِ

لقد فجع الشاعر بأخيه أربد الذي قضى بصاعقة من السماء، وأورثه فقده حزناً وكمداً لازماه غير قليل من سنيّ عمره، فجاء تكرار لفظة(الرزيّة) في هذا البيت لتأكيد شدة حزنه على أخيه.

لم يقتصر التكرار عند الشعراء المخضرمين على تكرار الأسماء الصريحة وحدها، فقد أكثروا من تكرار بعض الضمائر كضمير المتكلم المفرد، وضمير المتكلم الجمع، وضمائر الغائب، وغيرها... وتبرز أهمية الضمير في القصائد الشعرية؛ لأنه" يُشَكِّلُ على نحوٍ من الأَنحاء عالمَ الشاعر وحدودَ رؤيتِهِ له، وإدراكَهُ لأَبْعَادِهِ"[2] ،ويشيع تكرار الضمير المناسب لمضمون الخطاب والمخاطَب قوة وتأثيراً إضافيين، إلى جانب الجرس الموسيقي الذي يحدثه. ومن نماذج ذلك ما نجده في قول لبيد [3]:

أبى خَسْفَ**نَا** أنْ لا تَزَالُ رُوَاتُ**نَا**　　　　وأفراسُ**نَا** يَتْبَعْنَ غَوْجاً مُحَرَّمَا

وإنا أناسٌ لا تــــــــزالُ جيادُ**نا**　　　　تَخُبُّ بــأَعْضَاد المَطِيِّ مُخَدَّما

إن البيتين السابقين من قصيدة للبيد قالها مفاخراً بقومه وفعالهم، مبيناً مآثرهم وفرسانهم، وشدتهم، ولجأ إلى تكرار الضمير (نا لجماعة المتكلمين) ليؤكد في نفس السامع قوة القوم وشدتهم، ويوضح فكرة مؤداها أن قناتهم لا تلين.

وقريب ممّا سبق ما نجده من تكرار الضمير (هم) في قول كعب [4] :

همُ الأسدُ عندَ البأسِ والحشدِ في القرى　　**وهم** عند عقدِ الجار يُوفونَ بالذِّممْ

1) ديوان لبيد، ص 56.. وانظر أيضا تكرار اسم النسر (لُبَد) في الديوان، ص171 . وانظر أيضا: ديوان الشماخ، ص 50 البيت24، ص92 البيت 12،8، ص104 البيت 10.

2) عبد المطلب، محمد (1997)، قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 144.

3) ديوان لبيد، ص 178. الخسف: الظلم والذل. الرواة: القائمون على الخيل. الغوْج: اللين الأعطاف من الخيل. المحرّم: الصعب. المخدم: الذي وضعت الخدمة في رسغه، وهي سير غليظ محكم مثل الحلقة. وانظر أيضا: ديوان لبيد، ص103 البيت 35، ص127و 132، الأبيات 74،34.

4) ديوان كعب، ص138. البأس: الشدّة والحرب. الحشد: الجمع. حشد القوم للقرى: أي جمعهم للطعام والضيافة. العقد: الميثاق والحلف.

هذا التكرار جاء للفت انتباه السامع لأهمية الفكرة التي يعالجها الشاعر والمتمثلة في الحديث عن قومه، وتعداد مآثرهم والتغني بصفاتهم، وأسلوبياً فإن تكرار المبتدأ -الضمير (هم)- أسس لإيجاد أفق توقع لدى المتلقي متعلق بصورة الخبر، مما جعل التكرار رشيقاً سلساً مقبولاً في الذائقة الشعرية. ومن نماذج هذا التكرار أيضاً ما نجده في قول كعب [1] :

فَهُنَّ قِيامٌ يَنتظِرْنَ قَضــــاءَه   وهنَّ هوادٍ للــركيِّ نــواظمُ

وصف كعب في هذا البيت الأتُن الوحشية قرب مورد الماء، إذ تنتظر أن يرد الفحل فيردن. ونلاحظ هنا تكرار ضمير الغائب (هنّ) مرتين، ليؤكد سيطرة حمار الوحش القائد على أتنه، فهنّ مغيّبات لا رأي لهن بحضوره، فعلى الرغم من معرفتهنّ بموضع الماء لا يردنه، بل ينتظرن قضاء الحمار ما يصنع.

وكذلك ما نجده في تكرار لبيد للضمير (هو) في قوله :

فـــــلا تَؤُولُ إذا يؤولُ ولا   تَقْرُبُ منه إذا **هــــو** اقْتَرَبَا

فهو كَدَلْوِ البحريِّ أسْلَمَها الـ   ـعقدُ وخانتْ آذانُهـــا الكَرَبَا

فهو كَقِدْحِ المَنِيح أَحْــوَذَهُ القَا   نِصُ يَنْفِي عن مَتْنِه العَقَبا [2]

إن تكرار الضمير (هو) جاء للفت انتباه السامع للمُتحدَّث عنه – الحمار الوحشيّ – وما قصد من هذا اللفت إلا لتأكيد تميّز هذا الحمار ونجابته، يضاف إلى ذلك تحقيق الجرس الموسيقي المتناسق.

2- تكرار المعاني والأفكار

عندما تلحّ الفكرة أو المعنى على الشاعر فإنّ هذا يظهر من خلال لجوئه إلى تأكيدها، ويعد التكرار نمطاً من أنماط التأكيد التي يستعين بها الشاعر في هذا المقام، فيحاول أن يبرع في إيقاع التأثير الذي ينشده، وهو في هذا قد يكون مدفوعاً بوعي تام وربما من غير وعي، وحين يلجأ الشاعر إلى تكرار أفكاره شعرياً على نحو مقصود أو غير مقصود فهذا يجعله قادراً على توضيح ما يجول

---

1) ديوان كعب، ص143. هواد: يهتدين. الركي: البئر ذات الماء. نواظم: أي يتبع بعضها بعضا. وانظر أيضا: ديوان الشماخ، ص 64 البيت 9،8.

2) ديوان لبيد، ص 33. تؤول: ترجع. البحريّ: الريفي. الكرب: حبل من ليف. المنيح: القدح لا نصيب له. أحوذه: أخفّه.

في خاطره من أفكار ومشاعر، ويضمن له أن يكون المتلقي أكثر انتباهاً لتلك الأفكار والمعاني التي يلحّ عليها، ليصل معه إلى مرحلة المشاركة الوجدانية.

ولم يكتفِ شعراء الدراسة بتكرار الألفاظ لخدمة المعاني التي اشتملها شعر الطبيعة في قصائدهم توضيحاً وتأكيداً، وإنّما لجأوا إلى تكرار بعض المعاني والأفكار والصور في بعض قصائدهم، وتتجلّى جماليات هذا النمط من التكرار في الكشف عن قدرة كلّ شاعر وبراعته في تكرار تجربته الشعرية، بأسلوب متجدّد من حيث البناء والتشكيل، فالتعبير عن المعنى الواحد بتراكيب لفظية مغايرة على نحو فنيّ متكامل، يعدُّ دليلا على حذاقة الشاعر في صنعته، وغنى معجمه، ونضوج أدواته، واستواء موهبته، وليس ذلك بالأمر اليسير لكل من رامه، ذلك أنّ التحرّر من أثر التجربة السابقة وظلالها – شكلاً ومضموناً- قبل إعادة إنتاجها عمل له محاذير ومزالق لا يؤمن من الوقوع فيها على الأغلب .

ومن المعاني والأفكار والصور التي برز تكرارها على نحو لافت في شعر الدراسة وصف الطبيعة، فعمد الشعراء الثلاثة إلى وصف تلك البيئة التي عاشوا فيها بموجوداتها الساكنة والمتحركة، ويكشف لنا شعرهم عن براعتهم في تكرار وصف الناقة والفرس، وصلتهم الوثيقة بهما، كما أبدع كلّ منهم في وصف حيوانات الصحراء ومشاهد الصيد فيها، مما خلق صلة بين الشعراء والبيئة الساكنة من حولهم كالصحراء ورمالها، والوهاد والجبال وغيرها.

ومن شواهد ما سبق الذي نجده في قصيدة للبيد، يصف فيها رحلة له في يوم شديد البرد فيقول:

ويومٍ هَوَادِي أمـــــــــرِهِ لشَمَالِهِ   يُهَتِّكُ أخطالَ الطِّـــرافِ المُطَنَّبِ
يُنِيخُ المخاضَ البُرْكَ والشمسُ حَيَّةٌ   إذا ذُكِّيتْ نيرانُهـــــــــا لم تَلَهَّبِ
ذَعَرْتُ قلاَص الثلجِ تحتَ ظِـــلالِهِ   بِمَثْنَى الأيادِي والـــمنيحِ المُعَقَّبِ
وناجيةٍ أَنْعَلتُهـــا وابتذلْتُهـــــــــا   إذا ما اسْجهرَّ الآلُ في كل سَبْسَبِ
فكلفتُها وَهْمَــــــــــاً فآبتْ رَكِيَّةً   طَلِيحاً كـــــألواحِ الغَبيطِ المُذأبِ
متى ما أشــأْ أسمعْ عِرَاراً بِقَفْرَةٍ   تُجِيبُ زِماراً كاليَـــــراع المُثَقَّبِ
وخصمٍ قيامٍ بالعَراءِ كــــــــأَنَّهمْ   قُرُوْمٌ غَيارى كُلَّ أزهرَ مُصْعَبِ[1]

---

1) ديوان لبيد، ص 51-53. أخطال: حبال. الطراف: البيت من أدم. المخاض: الحوامل. ذكيت: أوقدت. قلاص الثلج: السحاب. المعقب: المشدود بالعقب علامة له. ناجية: سريعة. اسجهر: التهب واتقد. الآل: السراب. الوهم: الطريق الضخم. ركيّة: مهزولة. طليح: ضامر. المذأب: له فرجة في مقدمه. العرار: صوت ذكر النعام، الزمار: صوت انثى النعام. اليرع: زمارة من قصب.

إن المتأمل في معجم لبيد اللغوي يقف في الأبيات السابقة على طائفة من المفردات والتراكيب التي تنتمي إلى بيئة الشاعر فيذكر البرد وشدة الريح والسحاب، ويصف الحوامل من النوق، والقلاص، والسراب، والحر الشديد، ووصف الطريق ، وصوت ذكر النعام ...، وهذه الدقّة في الوصف، والتوسّع في توظيف الألفاظ والمسميّات، تكشف عن عمق ارتباط الشاعر ببيئته ومكوناتها من جهة، وعن خبرته ودرايته من جهة أخرى.

ونجده يكرّر هذه الصور والتشبيهات في قصيدة أخرى وبأسلوب بنائي لا يقل اقتداراً عن القصيدة الماضية، يقول :

وأقطعُ الخَرْقَ قد بادَتْ معـالمُهُ فمـــــا يُحَسُّ به عَيْنٌ ولا أَثَرُ
بِجَسْرةٍ تَنْجُلُ الظُّرَّانَ **نـــاجيةٍ** إذا توقَّدَ في الـديمومةِ الظُّرَرُ
كأنها بعد مــــا أَفْنَيْتُ جبْلتها خَنْساءُ مسبوعةٌ قـد فاتَها بَقَرُ
تنجُو نَجَاءَ ظليمِ الـجوِّ أَفْزَعَهُ ريحُ الشَّمالِ وشَفَّانٌ لها دِرَرُ[(1)]

يكرر لبيد ذكر ناقته مستخدما الوصف ذاته – ناجية - التي يستعين بها في رحلة يصف طرقاتها، وسير ناقته فيها ، ثم يتحول إلى وصف الناقة، ويشبهها بتشبيهات عديدة كلها مستمدة من البيئة ذاتها وعلى نحو لا يغفل فيه عن ذكر أدق التفاصيل والصور، ومن هنا يفيد التكرار في توضيح صلة الشاعر بناقته والعلاقة التي تربطهما، وتتجلّى صورة البيئة التي يعيش فيه الشاعر على نحو أكثر تفصيلاً وجمالاً.

ومرة أخرى وفي قصيدة أخرى يهرب الشاعر إلى ناجيته الضخمة إذا ما حضرته الهموم – وهو مشهد يتكرر غير مرّة عند شعراء الدراسة [(2)]– ويطلب السلوى، ويقطع الهموم ويطردها من خلال وصف الناقة وتشبيهها من جديد بمشبّه من البيئة، ونجده في هذه القصيدة يشبهها بالثور، فيقول:

وكنتُ إذا الهمــومُ تَحَضَّرَتْنِي وَضَنَّتْ خُلَّةٌ بعدَ الوِصَال
صَرَمْتُ حِبَالَها وصددْتُ عنها **بناجيةٍ** تَجِلُّ عن الكَـلال

---

1) ديوان لبيد، ص87-86. الخرق: البعيد من الأرض. الجسرة: الضخمة. تنجل: ترمي به. الظران: الحجارة. الظرر: حجارة محددة. تنجو: تمر كمر الظليم. الجوّ من الأرض: مطمئنها . الشفان: الريح الباردة.

2) انظر ديوان لبيد، ص 184. وانظر أيضا: ديوان الشماخ، ص 60، ص102، ص113. وانظر أيضا: ديوان كعب، ص 95، ص 131.

عــذافرة تَقَمَّصُ بالرُّدَافَى ... تَخَوَّنها نُزُولـــي وارْتحالي
كعَقْرِ الهــاجريِّ إذا ابتنَاهُ ... بأشباهٍ حُذِيْنَ على مِثَــــال
كَأَخْنسَ ناشِطٍ جادَتْ عليه ... بِبُرْقَةِ واحفٍ إحدى الليالي(1)

إنّ هذا التكرار في المعاني والصور والأفكار قد كشف لنا عن جانب من داخل الشاعر، ومشاعره تجاه الطبيعة والبيئة بمختلف مكوّناتها.

ومن الصور والأفكار التي تكررت في شعر الطبيعة عند بعض شعراء الدراسة ذكرهم المكان العالي أو المرتفع في معظم قصائدهم (2) ، إذ تكررت في شعر الشماخ صورة اختيار الحمار الوحشيّ للمكان المرتفع، ويتمثل ذلك في وقوف الحمار على مكان مرتفع مشرف ليتدبّر أمره وأمر أتنه، باحثاً عن مورد ماء يقود قطيعه نحوه، فيقول في أبيات متعددة من قصائد مختلفة:

فَأَصبَحَ فَوقَ النَشزِ نَشزِ حَمامَةٍ ... لَهُ مَركَضٌ في مُستَوى الأَرضِ بارِزُ
وَظَلَّت تَفالى بِاليَفاعِ كَــــأَنَّها ... رِماحٌ نَحـــــاها وِجهَةَ الريحِ راكِزُ(3)
فَظَلَّ بِها عَلى شَـــرَفٍ وَظَلَّت ... صِيـــــــــــــاماً حَولَهُ مُتَفالِياتِ (4)
يَظَلُّ بِأَعلا ذي العُشَيرَةِ صائِماً ... عَلَيهِ وُقوفَ الفــــــارِسِيِّ المُتَوَّجِ (5)
فَظَلَّ عَلى الأَشرافِ يَقسِمُ أَمرَهُ ... أَيَنظُـرُ جُنـــــحَ اللَيلِ أَم يَستَثيرُها (6)
قَطوفٌ شَحوجٌ بِاليَفاعِ كَـــأَنَّهُ ... لِما رَدَّ لَحيــــــــاهُ السَحيلَ خَنيقُ (7)
بِرابِيَةٍ يَنحَطُّ عَنهـــــا مُعَشِّراً ... وَيَعلو عَلَيها تـــــــــارَةً فَيَصومُ (8)

---

1) ديوان لبيد، ص154 . ناجية: مسرعة. عذافرة: ضخمة قوية. تقمص: تنزو به. الرُّدافَى: راكبها الذي يرتدف خلف الراكب. تخوّنها : تنقّصها وذهب بلحمها. العقر: القصر. أشباه: اللبن والآجر. أخنس: الثور. الناشط: يخرج من بلد إلى بلد. واحف: مكان. البرقة: الموضع يخلط ترابه أو رمله حصى. خنس الثور: ارتداد أنفه في وجهه.
2) انظر ديوان كعب، ص 91، 92 .
3) ديوان الشماخ، ص 70،71. النشز: المكان المرتفع، تفالى: تحك أبدانها بعضا ببعض لتتفالى من القمل وغيره. اليفاع: الأرض المرتفعة. نحاها: أخذها ناحية.
4) المصدر نفسه، ص30 . على شرف: على ارتفاع، صياما: واقفة ، متفاليات: متقاربة.
5) المصدر نفسه، ص 39. ذو العشيرة: موضع. صائماً: واقفا لا يبرح مكانه.
6) المصدر نفسه، ص 60.
7) المصدر نفسه، ص 89. قطوف: مبطئ، لحياه: اللحيان: الفكان، خنيق: مخنوق.
8) المصدر نفسه، ص 106. معشرا، عشّر الحمار: تابع النهيق عشر مرات. يصوم: يسكت.

ولعلّ السبب في تكرار اختيار الحمار الوحشيّ للمكان المرتفع يكمن في خوفه من الصائدين، وربما وقوفه على مكان مرتفع يعطيه إحساساً بالقيادة وزعامة القطيع؛ إذ تحيط الأتن به وتنتظر أوامره.

ولعلّ اهتمام الشمّاخ بالعلوّ وتكراره في صور مختلفة من شعره يبرز ما في نفس الشاعر من طموح وسعي نحو تحقيق أمانيه وغاياته.

وفي الختام نستطيع القول: إنّ شعراء الدراسة قد عمدوا إلى تكرار المفردات -بصورها كافة- والمعاني والأفكار والصور تكراراً له بواعثه، وقيمه الفنية والبلاغية، التي تتجلّى في اتخاذ التكرار أسلوباً من أساليب التوكيد والتوضيح التي تتصل اتصالاً وثيقاً بقيمة المُكرَر أو المعنى الذي يفيده لدى كلّ شاعر، وكذلك لبيان الموقف الوجداني والشعوري للشاعر من المكرَّر، ورغبة منه – في بعض الأحيان- في إشراك سامعه حالته النفسية وأحاسيسه الخاصة التي تتفلت منه تجاه محور التكرار.

الصورة الفنيّة لشعر الطبيعة في قصائد المخضرمين: الشمّاخ بن ضرار الذبيانيّ، كعب بن زهير، ولبيد بن ربيعة العامري

القصيدة معنى عام تشمل جزيئاته مجموعة من الصور، تتوحد مع بعضها لتشكّل المعنى الكليّ للقصيدة، وأكّد ذلك د. الرباعي بقوله: " الصورة تعني أيضاً ذلك البناء الواسع الذي تتحرك فيه مجموعة الصور المفردة بعلاقاتها المتعددة، حتى تصير متشابكة الحلقات والأجزاء بخيوط دقيقة بعضها إلى بعض في شكل اصطلحنا على تسميته بالقصيد".[1]

وتعدّ الطبيعة بصامتها وصائتها رافداً أمدّ شعراء الدراسة بالصور الفنيّة، فأكثروا من حشد مختلف أنماط الصور الفنية والحسيّة التي تشمل كل ما يُدرك بالحسّ، أو البصر، أو السمع، فظهرت الصور اللونيّة، والسمعيّة، والشميّة، والحركيّة وغيرها، بأسلوب شعري متنامٍ؛ لذلك أتت صورة الطبيعة في أشعارهم "خلفيّة لحركة الإنسان والحيوان وما تتضمن من صراع بين الحياة والموت، وما توحي به من قدرة، أو جمال، أو تناسق، أو عجز أو قبح، أو غير ذلك من المشاعر أو المعاني".[2]

الصور الحسيّة :

تشكّل الحواسّ النافذة التي يستقبل بها الذهن رياح الحياة والتجربة، والذهن في كثير من اعتمالاته واجتهاداته يحتاج إلى هذه الحواسّ لترجمة تلك الاعتمالات، فتكون الحواسّ بهذا المنحنى أهمّ وسائل الذهن في الاستقبال والبثّ.[3]

والصور الحسيّة هي تلك الصور الفنية المتخذة جماليات للمعاني المراد توظيفها في النص الأدبي، والمستمدة من مكتسبات الحواسّ الخمس: السمع، والبصر، والذوق، والشمّ، واللمس. وقد يستثمر الشاعر حاسّة البصر ومعطياتها لديه في رسم معالم الصورة الشعرية، فنسمّي ذلك النمط من الصور بالصور البصرية، وإذا ما استثمر حاسة الشمّ، فإننا نسمّي تلك الصورة بالصورة الشميّة، وإذا

---

1) الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق**، مكتبة الكتاني، إربد، الأردن، ط1، 1995م، ص10.

2) القط، عبد القادر، **في الشعر الإسلامي والأموي**، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص390.

3) الصائغ، عبد الإله، **الصورة الفنية معياراً نقدياً" منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"**، (ط1)، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة. 1987، ص406.

ما كانت حاسة السمع في الصورة هي الأساس، فإننا نسمّي تلك الصورة بالصورة السمعيّة، وإذا ما استثمر حاسة اللمس، فإننا نسمّي الصورة المترشحة من ذلك بالصورة اللمسيّة، وإذا ما استثمر حاسة الذوق، فإننا نسمّي تلك الصورة بالصورة الذوقيّة. فالشاعر يبلور بخياله الواسع، وشاعريته الذاتيّة كل ما تدركه وتتمثله المحسوسات من حوله، مبدعاً بصياغتها، وتوظيفها بوصفها جماليات تضفي رونقاً جمالياً، وعمقاً معنويّاً، يُكسب معانيه رسوخاً في نفوس المتلقّين؛ إذ أنّ الصورة الحسيّة أقوى من غير شكّ في الدلالة على المعنى والإحساس به، من الصور البرهانية العقليّة التي تهدف إلى الإقناع.

وهذا ما وجدته فيما يتعلق بشعر الطبيعة لدى شعراء الدراسة، فقد أتت الصور الحسية جليّة في وصفهم وتوظيفهم للطبيعة في شعرهم، حين استمدّوا ممّا حولهم من الطبيعة الصائتة والصامتة، ووظّفوا كافّة ما تراءى لبصرهم من حركة، وسكون، ولون، وضوء، وما وقر في آذانهم من أصوات متنوّعة من غناءٍ، وأنينٍ، وصادح، وآخر باغم وغيرها، إضافة لما هناك من ملموسات تنوعت بين النعومة، والخشونة، والحرارة، والبرودة. وفيما يلي تبيان ذلك:

- **الصور البصريّة:**

المُراد بها تلك الصور التي تتكئ على حاسّة البصر، فالعين هي الأداة الأقرب للإحساس بالجمال وتصويره. و" الصورة البصريّة هي الأكثر وروداً في الشعر عامة قديمه وحديثه، فالطابع الأعمّ للصور هو كونها مرئية، وكثير من الصور التي تبدو غير حسية، لها في ذلك ترابط مرئيّ باهت ملتصق بها [(1)].

ونلاحظ كثرة الصور البصريّة في شعر الدراسة؛ فالشعراء الثلاثة وصفوا الإبل والخيل والحمار الوحشيّ وغيره، في أغلب قصائدهم، وكانوا يلجأون في صورهم البصرية إلى التجسيم، فهذا لبيد بن ربيعة يرسم صورة بصرية لناقته التي يقطع بها الصحراء، يتتبع فيها جزيئاتها، مصوّراً جسمها، فهي ناقة ضامر، سريعة، شبهها بالفحل من الإبل في خلقها؛ فهي عظيمة ضخمة طويلة على الأرض، شديدة المرافق، كثيرة اللحم ومع ذلك فهي حسنة خفيفة، سريعة الوثب، نشيطة لا تمّل السير

1) لويس، سيسل داي، **الصورة الشعرية**، ترجمة أحمد الجنابي ورفاقه، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، 1985، ص21.

والسفر، حرّة كريمة، يقول [(1)]:

ولقد قطعتُ وصيلةً مجرودةً   يبكي الصدى فيها لشجوِ البـــــومِ
بِخَطِيرةٍ تُوفي الجديلَ سَرِيحَةٍ   مِثْلِ المَشُوفِ هَنَـــــــأْتَهُ بعَصِيمِ
أُجُدِ المرَافِقِ حرَّةٍ عيرَانـــــةٍ   حَرَجٍ ، كَجَفنِ السيفِ ، غيرِ سؤومِ

وهذا كعب بن زهير، يرسم صورة بصرية لناقته، التي تعينه في رحلته وتسلّي همّه، فهو يقطع بها المفاوز والأماكن الموحشة النائية، وهي ناقة مرتفعة الظهر، ذات قوائم طوال، قوية شديدة، كريمة الأصل، تسير بخيلاء، وتعارض في سيرها الإبل الفتية من غير تكلف، لفضل كرامتها، وهي سريعة كالنعام المذعورالفارّ من الخطر، ولا يقف كعب في وصفه لناقته عند صورتها الخارجية، بل يدخل إلى نفسها، فيكشف عن صفاتها وأخلاقها، فهي ناقة صموت، كثيرة التلفت والانتباه واليقظة، وبالرغم من شدة دأبها وكلالها، لا تشكي السأم، ولا ترغو من الضجر، يقول:

مخوفٍ به الجِنّان ، تعوي ذئـــابهُ   قطعتُ بفتــلاءِ الذِّراعين بازلِ
صَمُوتِ السُّرَى خَرْساءَ فيها تَلَفُّتٌ   لنبأة ِ حقٍّ أو لتشبيهِ بـــــاطلِ
تَظَلُّ نسوعُ الرّحلِ بعد كلالهـــا   لهنّ أطيطٌ بين جوْزٍ وكـــاهلِ
رفيعِ المحالِ والضلـــوعِ نمتْ بهِ   قوائمُ عُوجٌ ناشِزاتُ الخَصَـائلِ
عُذَافِرَة ٍ تَختَـــــالُ بالرَّحْلِ حُرَّة   تباري قلاصاً كالنعام الجـوافلِ
بوَقْعٍ دِرَاكٍ غيرِ مـــــا مُتَكَلَّفٍ   إذا هبَطَتْ وَعثاً ولا مُتَخَاذِلِ[(2)]

---

1) ديوان لبيد، ص248–249. وصيلة: صحراء موصولة بأخرى. مجرودة: لا نبات فيها، قد أكلها الجراد. الصدى: طائر. خَطِيرة: الناقة التي تخطر بذنبها. الجديل: زمام الناقة. سريحة: سريعة. المشوف: البعير المهنوء بالقطران. أُجُدِ المرَافِقِ: شديدة المرافق. حرج: ضامرة. وانظر أيضا: ديوان لبيد، ص33، ص136، ص 232-233، ص268-270.

2) ديوان كعب، ص127،128. بفتلاءِ الذِّراعين: ذراعا ناقته مالا عن زورها. بازلِ: الذي طلعت نابه من الإبل، و يكون في العام التاسع من عمره. نسوعُ الرّحلِ: الحبال، مفردها نسع: وهو سير من جلد عريض تشد به الرحال. أطيط: صرير. وَعث: كل لين الموطئ. لامتخاذل: أي السير الذي لا تخذلها فيه قوائمها. وانظر أيضا: ديوان كعب، ص131. وانظر أيضا: ديوان لبيد، ص184.

وكذلك الشمّاخ، يصف ناقته الصبور، التي تنطلق في سيرها بصمت، وتمضي مسرعة طوال الليل، وتتابع السير نهاراً، وقت اشتداد الحرّ والقيظ. يقول(1):

حَرفٌ صَموتُ السُرى إِلّا تَلَفُّتِها	باللَيلِ في سَأَدٍ مِنها وَإِطراقِ
جُلذِيَّةٌ بِقُتودِ الرَحلِ نــــــاجِيَةٌ	إِذا النُجومُ تَدَلَّت عِندَ تَخفاقِ
وَإِن رَمَيتَ بِها في طامِسٍ دَأَبَت	إِذا تَرَقرَقَ آلٌ بَعدَ رَقــــراقِ

وفي صورة بصرية أنجزها لبيد بن ربيعة، يصف فيها فرسه، ويعدد صفاته المحمودة كقصر رسغه، وجشة صوته، كما أن فرسه موثق الخلق، مدمج فيه استواء مع ارتفاع، طويل سريع الجري، وكريم الأصل ،حيث يقول (2):

ولَقَدْ أغْدو ومــــــا يَعْدَمُني	صاحِبٌ غيرَ طويلِ المُحتبَلْ
ســــاهِمُ الوَجْهِ شَديدٌ أسْرُهُ	مغبَطُ الحارِكِ مَحبوكُ الكَفَلْ
بأجشِّ الصوتِ يعبُوبٍ إذا	طرقَ الحَيَّ منَ الغَزْوِ صَهَلْ

أمّا الشمّاخ، فقد رسم للحمار الوحشيّ لوحات وصوراً بصرية عديدة في قصائده، منها ما صوّر فيه أدقّ تفاصيل طباع الحمار الوحشيّ الذي شبّه ناقته به، ووصف قوّته ومشاكسته، وآثار الندوب والعضّ على وجهه، فقال(3):

كَأَنّي كَسَوتُ الرَحلَ جَوناً رَباعِياً	بِليتَيهِ مِن زَرِّ الحَميرِ كُلــومُ
عُلَندى مِصَكّاً قَد أَضَرَّ بِعــــانَةٍ	لِما شَذَّ مِنها أَو عَصــاهُ عَذومُ
تَرَبَّعَ أَكنافَ القَنانِ فَصــــــــارَةٍ	فَماوانَ حَتّى قاظَ وَهوَ زَهومُ

---

1) ديوان الشماخ، 91- 92 . سأد: إمعان في السير . جلذية: قوية صلبة. قتود: خشب الرحل. تخفاق: الانحدار بالغياب . طامس: القفر الذي يصعب اجتيازه

2) ديوان لبيد ص128-129. المحتبل: موضع الحبل من رسغ الفرس. أي أنه فرس قصير الرسغ(صفة محمودة في الخيل). شديد الأسر: موثق الخلق. الحارك: الكاهل. محبوك الكفل: مدمج فيه استواء مع ارتفاع. يعبوب: طويل سريع، أو كثير الجري. وانظر أيضا: ديوان لبيد، ص121.

3) ديوان الشماخ، ص 105. ليتيه: صفحتا عنقه. كلوم: جروح من عض الحمير. علندى: الغليظ الضخم. المصك: القوي الشديد. العانة: القطيع من حمر الوحش. العذوم: العضوض. تربّع: أقام زمن الربيع. أكناف: نواحي. القنان، صارة: اسماء جبال. ماوان: قرية وقيل: واد فيه ماء. قاظ: أقام زمن القيظ. زهوم: سمين. وانظر أيضا: ديوان لبيد، ص150.

ونجد كعب في قصيدة له يرسم صورة بصرية للنعامة والظليم، وهما في موضع يُدعى "النفاخ"، حيث الماء الوفير، ويصفهما وهما يتغذيان على المغد واللصف، وأنواع أخرى من النبات، حتى تخضرّ أنوفهما من كثرة ما يأكلان، ثم يشير إلى عودتهما إلى بيضهما بسرعة، فلا يلتفتان لشيء، ولا يرجعان، حتى يصلا إلى البيض، وكأنهما لشدّة سرعتهما يطيران، يقول:

ظَلاَّ بأَقْرِيةِ النَّفَّـــاخِ يومَهمـــا   يَحْتَفِرَانِ أُصُولَ المغْدِ واللَّصَفَا
والشَّرْيَ حتّى إذا اخضرَّتْ أُنوفُهما   لا يـــألوانِ من التنُّومِ ما نقَفَا
راحا يطيرانِ مُعوَجَّين في سَـــرعٍ   ولا يريعان حتى يهبطا أُنُفــا[1]

- **الصور الحركيّة :**

يُراد بها تلك الصور الفنية التي غلبت الحركة على أجزائها وتراكيبها، "وتمتاز عن بقية الصور بعنايتها بإبراز الفاعلية والنشاط الحركيّ الذي ينساب على سلسلة من لحظات متعاقبة".[1] فالحركة في الصورة تكسب المعنى بعداً جمالياً؛ لما تضفيه من نشاط وحيوية ينعكس على النص، مما يتولد عنه قبول المتلقين.

وقد أتى هذا النوع من الصور الحسيّة الحركيّة في شعر الدراسة على عدّة اشكال، كما في قول لبيد[2] :

طوتْهُ المَنَايَا فوقَ جرداءَ شطبةٍ   تَدِفُّ دَفيفَ الـــرَّائحِ المُتَمَطِّرِ

حيث وصف لبيد حركة تلك الفرس، وصوّر سرعتها، فكأنّها تطير طيراناً، وشبهها في سرعتها بالطير الذي يطير في المطر، ويهرب مسرعاً منه.

---

1) ديوان كعب،ص91،92 . الأقرية: مسايل الماء إلى الرياض. النفاخ: اسم موضع. المغد: شجرة مثل القثاء يقال لها الفشغة. اللصف: نوع من النبات يشبه الخيار. الشري: شجر الحنظل. يألوان: يقصّران. التنّوم: شجر صغار له ثمر مثل الشهدانج. نقف: شقّه عن حبّه. يطيرانِ معوجَّين: أي منحرفين نحو بيضهما. لا يريعان: لا يرجعان أو لا ينعطفان. الأُنف: التي لم تُرع من قبل. انظر أيضا: ديوان الشماخ، ص98. وانظر أيضا: ديوان لبيد، ص275.

2) الرباعي، عبد القادر، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، جامعة اليرموك، الدراسات الادبية واللغوية، إربد، ط1، 1980، ص154.

3) ديوان لبيد، ص 98. شطبة: طويلة. الدفّ: الطيران. الرائح: الطائر يروح الى موضعه

ومن جميل صور كعب الحركيّة، ما أتى في معرض وصفه لكلاب صيد تطارد ثوراً وحشياً، وتعدو بسرعة وخفّة، يقول [1]:

طافِياتٍ كـــــــأنهنّ يَعَــــــاسِيـ   ـبُ عَشِيٍّ بارَيْنَ رِيحاً دَبُورَا

حيث صوّر كعب حركة هذه الكلاب، فهي شديدة العدو والوثوب، وتبدو لخفّتها وسرعتها وكأنها تطفو على الأرض؛ لرفعها قوائمها كما يطفو الشيء فوق الماء، وشبّهها في خفّتها باليعاسيب التي تطير مع اتجاه الريح.

ومن صور الشمّاخ الحركية، قوله [2]:

كَأَنَّ ابنَ آوى موثَّقٌ تَحتَ غَرضِها   إِذا هُــــــوَ لَم يَكلِم بِنابَيهِ ظَفَّرا

حيث وصف الشمّاخ حركة الناقة السريعة، وصوّرها بإسراع ناقة رُبط تحت إبطها ابن آوى يستحثها بنابيه وأظافره.

وأورد لبيد صورة حركية أخرى في وصف ناقته، يقول [3]:

تَنْجُو نَجَاءَ ظَلِيمِ الجَــــوِّ أفْزَعَهُ   ريحُ الشَّمَـــالِ وشَفّانٌ لها دِرَرُ

حيث شبّه حركة ناقته السريعة بظليم أفزعته ريح الشمال، وتكون الناقة في هذه الحالة شديدة السرعة.

وفي صورة حركيّة أخرى، صوّر لبيد حركة ناقته بعد إجهادها، وشبّهها في سرعتها بالسحاب الذي قد هراق ماءه، فأدنى ريح تسوقه، يقول [4]:

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزِّمَامِ كَأَنَّهَا   صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الجَنُوبِ جَهَامُهَا

---

1) ديوان كعب، ص70. طافيات: شديدة العدو والوثوب، تبدو لخفّتها وسرعتها وكأنها تطفو على الأرض لرفعها قوائمها كما يطفو الشيء فوق الماء. اليعاسيب: جمع يعسوب، وهو أمير النحل . الدبور : الريح الغربية.

2) ديوان الشماخ، ص 50. الغرض: حزام الرحل. يكلم: يجرح.

3) ديوان لبيد، ص 87. تنجو: تمر كمر الظليم. الجوّ من الأرض: مطمئنها. شفّان : الرياح الباردة. درر: درر من المطر.

4) المصدر نفسه، ص 210. هباب: سرعة ونشاط. الجَهام: السحاب الذي قد هراق ماءه، وهو أسرع لسيره.

ومن صور كعب الحركيّة، قوله [1]:

كَأَنَّ أَوبَ ذِراعَيها وَقَد عَــرِقَت   وَقَد تَلَفَّعَ بِالقورِ العَســــــاقيلُ
شَدَّ النهار ذِراعــا عَيطلٍ نَصَفٍ   قـامَت فَجاوَبَها نُكدٌ مَثـــــاكيلُ
نَوّاحَةٌ رِخوَةُ الضَبعَين لَيسَ لَها   لَمّا نَعى بِكرَها الناعونَ مَعقولُ

حيث صوّر حركة يدي الناقة السريعة أثناء سيرها، بيدي النائحة التي تندب ميتاً.

وللشمّاخ صور حركيّة مشابهة للصورة السابقة، منها قوله [2]:

كَأَنَّ ذِراعَيها ذِراعـــــا مُدِلَّةٍ   بُعَيدَ السِبابِ حاوَلَت أَن تَعَذَّرا

فقد صوّر الشمّاخ حركة ذراعي الناقة المنطلقة بسرعة، بحركة ذراعي امرأة محتجّة تحاول الدفاع عن نفسها، وتتابع التأشير بيديها.

كما أتت الصورة حركية في وصف الشمّاخ لحركة النعام، فقد صوّر عدو النعامة وتَبَخْتُرها، وكأنّها ترقص، حين يقول:[3]

هَيْق هِزَفّ وزَفَّانِيَّة مَـــرَطَى   زَعْراء ريش ذُناباها هَراميلُ

---

1) ديوان كعب، ص 113. أوب: رجع. القور: جمع قارة، وهي جبل يرتفع طولاً. العساقيل: واحدها عسقل وهو السراب. شد النهار: ارتفاعه. العيطل: الطويلة في حسن. النصف: هي التي قامت تنوح. النكد: قليلات الأولاد بسبب الموت. الضبعان: مثنى ضبع، وهو ما بين الإبط إلى نصف العضد. المعقول: العقل.

2) ديوان الشماخ، ص 49. وانظر أيضا: ديوانه، ص 110.

3) المصدر نفسه، ص 97.

ومن الصور الحركيّة التي تكررت في شعر الدراسة، ما نجده في قصّة الثور والبقرة الوحشيين، ومن تلك الصور ما ذكره كعب في قصّة ثور وحشيّ فرّ من الصيّاد وكلابه الضارية، يقول (3) :

أَخْرَجتْه من اللّيالي رَجُـــــــوسٌ	ليلةٌ هاجَهـــــا السِّماكُ دَرُورَا
كمطيفِ الدوّار حتى إذا مــــــــا	ساطِعُ الفَجْرِ نَبَّه العُصفـــورا
رابَــــــه نَبْأةٌ وأضْمَرَ منْهـــــا	في الصِّماخين والفؤادِ ضَميرا
مِنْ خَفِيّ الطِّمْرَيْنِ يَسْعَى بغُضْفٍ	لم يؤيِّه بهنّ إلا صفيــــــــرا
طافِياتٍ كأنهنّ يَعَـــــــــاسِيـ	ـبُ عَشِيٍّ بارَيْنَ رِيحــاً دَبُورَا
بأسيلٍ صَـــــــــــدقٍ يثقفه فيـ	ـهنّ لا نابِياً ولا مـــــأطُورَا

إنّ هذه اللوحة الشعريّة تعتمد الحركة عنصراً أساسيّاً، ومجرى حيويّاً في تحريك أحداثها، فالأفعال المشحونة بالحركة " أخرج، مطيف، طافيات، بارين، يثقّف" تمنح الصورة حيوية ونشاطاً.

ومن الصور الحركيّة التي تفيض نشاطاً وحيويّة، صورة وصف فيها الشمّاخ زوجاً من النعام، وهما في طريق العودة إلى بيضهما، حين يقول (1):

تَرَوَّحا مِن سَنامِ العِرقِ فَالِتَبَطـــا	إلى القِنانِ الَّتي فيها المَــداحيلُ
إذا استَهَلّا بِشُؤبـــوبٍ فَقَد فُعِلَت	بِما أَصابا مِنَ الأَرضِ الأَفاعيلُ
فَصادَفا البَيضَ قَد أَبدَت مَناكِبَها	مِنهُ الرِئالُ لَهـــــا مِنهُ سَرابيلُ
فَنَكَّبا يَنقُفانِ البَيضَ عَـــن بَشَرٍ	كَأَنَّهُ وَرَقُ البَسبـــــاسِ مَغسولُ

حيث صوّر الشمّاخ حركة الظليم والنعامة، وقد انطلقا كأنهما زخّة من المطر السريع، وحرثا الأرض حرثاً بأظلافهما، من شدّة قوّتهما وسرعتهما، ثم وصف وصولهما إلى البيض، وقـــد خرج منه بعض

1) ديوان كعب، ص 69-70. أخرجته: الجأته. رجوس: ذات الصوت. هاجها السماك: مطرت بنوئه. السماك: من نجوم الصيف، تكون له دفعة شديدة بعد دفعة مثلها. درورا: دائمة المطر. المطيف : من الطواف. الدوّار: صنم كان يطاف به في الجاهلية ويدار حوله، اراد كمطيف بالدوّار. النبأة: الصوت الخفي. االصماخ: داخل سمّ الأذن، مما يلي الرأس والحلق. الطمران: مثنى طمر، وهو الثوب البالي، خفي الطمرين: القانص. الغضف: الكلاب. التأييه: الزجر. الأسيل: القرن. يثقّفه فيهنّ: يقوّمه فيطعن في الكلاب. النابي: أي لا ينبو عن الطعن. المأطور: المعطوف.

2) ديوان الشماخ، ص97-98. تروّحا: راحا. سنام العرق: موضع. القنان: رؤوس الجبال. المداحيل: ما يقع تحت الجرف من المداخل والفجوات. الرئال: جمع رأل، وهو فرخ النعام أو ولده. السرابيل: اللباس. نكّبا: مالا. ينقفان: ينزعان. عن بشر: عن جسد. البسباس: نبت أو شجر.

صغارهما، وهذه الصورة التي رسمها الشمّاخ صورة فنية حركيّة، استخدم فيها أفعالاً تدل على الحركة " تروّحا ،استهلّا، أصابا، نكّبا، ينقفان" ، ليجعل من هذه اللوحة صورة نابضة بالحياة، مفعمة بالحركة والنشاط.

- **الصور الذوقيّة**

يُراد بها تلك الصور الفنية الحسيّة التي تعتمد على حاسّة الذوق، وتشمل كافة المطعومات، والمشروبات، حلوة الطعم، ومرّته، بدافئها، وباردها. ومن تلك الصور الذوقية في شعر الدراسة، قول الشمّاخ (1):

تصبحْ وقد ضمنتْ ضراتها عرقاً   مِنْ طَيِّب الطَّعْمِ حُلواً غيرَ مَجْهودِ

فقد صوّر الشمّاخ في هذا البيت مرعى الناقة، حيث تسمن وتدرّ حليباً حلواً، طيّب الطعم والمذاق.

وتقابل هذه الصورة الذوقية صورة أخرى رسمها الشماخ لناقته التي لا تقرب الماء الآسن، فصوّرها حينما وردت ماءً مستنقعاً راكداً، فعافت شربه، وتشوّبت عنه أسنانها، يقول (2):

إذا وَرَدَت ماءً هُـــدوءاً جِمامُهُ   أَصاتَ سَديســـــاها بِهِ فَتَشَوَّرا

وللشمّاخ أيضاً صورة ذوقية وصف فيها ورود الأتن الوحشية الماء قائلاً (3):

نَهِلنَ بِمُدّانٍ مِنَ المـــــاءِ مَوهِناً   عَلى عَجَلٍ وَلِلفَريصِ هَــــزاهِزُ

يصوّر الشمّاخ الأتن الوحشية عند مورد الماء، إذ تشرب الماء على عجل وخوف؛ فهي تشعر بالخطر فترتعد خوفاً من مداهمة الصيادين لها.

---

1) ديوان الشماخ، ص 44. ضرات: ضروع. عرقاً: اللبن المتحلب في العروق. غير مجهود: لم يستنزف بالحلب الى آخره.
2) المصدر نفسه، ص 50. جمام الماء: معظمه. السديس : السن الذي بعد الرباعية من اسنان الناقة. تشور: ارتفع.
3) المصدر نفسه، ص 69. موهنا : منتصف الليل. الفريص: عضل الكتف والتراقي يرتعد من الخوف. وانظر أيضا: ديوان الشماخ، ص56، ص64.

الصور السمعيّة :

هي تلك الصور الفنية التي تتّكئ على حاسة السمع، مصدراً لها، وسبيلاً لتوظيفها في معاني الشعراء عقب التقاطها بحاسة السمع.

وقد ألفيت في شعر الدراسة صوراً سمعيّة متعددة، رصدت صوت الرعد، وصوت الطيور، وصوت الحيوانات كالإبل والخيل والحمر الوحشيّة وغيرها، والصوت الناتج عن حركتها، فهذا الشمّاخ يرسم لنا صورة سمعية لإبله بقوله:

كَأَنَّ أَنينَهُنَّ بِكُـــــلِّ سَهــــــــبٍ   إِذا ارتَحَلَت تَجاوُبُ نائِحاتِ [(1)]

فصوت أنين إبله المتعبة يشبه صوت أنين النساء النائحات، وهو صوت حزين، نستشفّ من خلاله أنّ هذه الإبل كانت حزينة أو تعيش مأساة معينة، أو لعلّ الشاعر جعل منها معادلاً موضوعياً لنفسه.

كما ربط الشماخ في صورة سمعيةٍ أخرى بين حنين ناقته، وهديل الحمامة في قوله [(2)] :

حَنَّت عَلى سِكَّةِ الساري فَجاوَبَهـا   حَمامَةٌ مِن حَمامٍ ذاتُ أَطواقِ
كادَت تُساقِطُني وَالرَحلَ أَن نَطَقَت   حَمامَةٌ فَدَعَت ساقاً عَلى ساقِ

وفي صورةٍ سمعية ثالثة رسمها الشمّاخ لإبله، يقول [(3)] :

عَلَنداةُ أَسفـــارٍ إِذا نالَهـــــا الوَنى   وَماجَت بِها أَنساعُها وَضُفورُهـــا
يَرُدُّ أَنابيبُ الجِرانِ بُغامَهـــــــــا   كَما ارتَدَّ في قَوسِ السَراءِ زَفيرُها
وَقَد سُلَّ عَنها الضِغنُ في كُلِّ سَربَخٍ   لَهُ فَورُ قِدرٍ ما تَبوخُ سَعيرُهـــــا

فلناقته صوت أنين في حنجرتها، كأنّه صوت قوس هزّت وترها، وهذا الألم أفقدها حنينها وشوقها إلى ديارها، وكأنها في اضطرابها مرجل يغلي لا تنطفئ حرارته الشديدة.

---

1) ديوان الشماخ، ص 29. السهب: الفلاة.

2) المصدر نفسه، ص 92. السكّة: الطريق المستوي. ويقال: الساري موضع. تساقطني: تسقطني من فوقها. الساق الأولى: ذكر الحمام. الساق الثانية: ساق الشجرة.

3) المصدر نفسه، ص 59. علنداة: غليظة طويلة. الانساع: السيور التي تربط الأحمال. الضفير: المضفور من الحبال. الونى: التعب. أنابيب الجران: عروق الرقبة. الجران: أعلى الصدر. البغام: صوتها وفيه حنين. سُلّ ضغن الناقة: شُفي حنينها الى وطنها. السربخ: الفلاة الواسعة. يبوخ: يفتر أو يبرد. السعير: لهيب النار.

أمّا لبيد، فقد رسم صورة لحنين إبله التي ترزم لمعرفتها بالطريق قائلاً [(1)]:

تَرزُمُ الشّارِفُ مِنْ عِرْفــانِهِ   كُلَّمـــا لاحَ بنَجْدٍ وَاحــــتَفَلْ

وفي صورة سمعية أخرى، شبّه لبيد فيها صوت الرعد في السحاب، بأنين إبل عُزلت عن أولادها، يقول [(2)]:

كأنَّ مُصَفَّحـــاتٍ في ذُرَاهُ   وأنْواحـــــــاً علَيْهِنَّ المآلي

وللناقة إذا حرّكت أنيابها، فاصطكّت أسنانها صوت كصفير الطيور، شبّهه الشمّاخ بصياح الدجاج قائلاً [(3)]:

كَأَنَّ عَلى أَنيابِها حينَ يَنتَحي   صِياحَ الدَجاجِ غُدوَةً حينَ بَشَّرا

ويرصد لنا لبيد في صورة سمعية صوت فرسه، حين يقول [(4)]:

بأجشِّ الصـــوتِ يعبُوبٍ إذا   طرقَ الحَيَّ مـــنَ الغَزْوِ صَهَلْ

فالفرس يُمدح إذا كان في صوته جُشّة، وفرس لبيد أجشّ الصوت، وإن غزا عليه صهل غير خائف.

وفي صورة سمعيّة أخرى، صوّر كعب نفسه قاطعاً البيداء على ظهر ناقته، لا أنيس له سوى أصوات عواء الذئاب الجائعة، يقول [(1)]:

مخوفٍ به الجنان ، تعوي ذئابه   قطعتُ بفتلاءِ الذِّراعين بـــازلِ

تُجَاوِبُ أَصْدَاءً وحِيناً يَرُوعُهـا   تضورُ كسّابٍ على الرَّكبِ عائلِ

وقوله في صورة أخرى [(2)]:

وذِئاباً تَعْوِي وأَصْـــواتَ هامٍ   مُوفِيـــــــاتٍ مع الظَّلامِ قُبورَا

---

1) ديوان لبيد، ص 128. ترزم: تصوت وتحن. الشارف: الناقة المسنّة.

2) المصدر نفسه، ص 156. الرباب: السحاب المتدلّي. الإلال: الحِراب. وانظر أيضا: ديوان لبيد، ص 202.

3) ديوان الشماخ، ص 52. تنتحي: تطلب الأكل في ناحيته. بشّر الدجاج: صوّت عند الصباح.

4) ديوان لبيد، ص 128. يعبوب: طويل سريع، أو كثير الجري.

5) ديوان كعب، ص127. فتلاءِ الذِّراعين: ذراعا ناقته مالا عن زورها. بازِلِ: الذي طلعت نابه من الإبل، و يكون في العام التاسع من عمره. الأصداء: جمع صدى، وهو طائر كالبوم. تضوّر: صوت الذئب، وهو أن يلويه تلوية عند الجوع. كسّاب: محترف.. العائل: المحتاج وذو العيال .

6) المصدر نفسه، ص 68. الهام: ذكور البوم. موفيات: من وافى المكان، أي أتاه.

فقد صوّر كعب سيره وحيداً في طريقٍ موحشٍ ليلاً، لا يُسمع به إلّا أصوات الذئاب والبوم. وللبيد صورة سمعية شبيهة بهذه الصورة، حين يقول [1]:

ولقَد قطعْتُ وصِيلةً مجـــرودَة   يبكِي الصَّدَى فيــــــها لِشجوِ البُومِ

ولكعب صور سمعية قريبة لهذا المعنى في مواضع مختلفة، حين يقول:

وعلمتُ أني مصبحٌ بمضيعةٍ   غبراءَ تعزفُ جِنّها مذكـــارِ[2]

يوماً قطعتُ وموماةٍ سريتُ إذا   ما ضاربُ الدُّفِّ من جنانِها عزَفـا[3]

مَتَى ما تَشَأْ تَسْمَعْ إذا مـا هبَطْتَه   تراطُنَ سربٍ مغربَ الشمسِ نازل[4]

فقد أتت الصورة السمعيّة، في قوله: " تعزف، عزفَ، تسمع، تراطن". كما كرّر هذه الصورة السمعيّة لبيد، حين وصف ديار المحبوبة وقد خلت من أهلها بعد رحيلهم، فلا يُسمع فيها إلّا أصوات الظلمان والجنّ، في قوله [1]:

تحمّلَ أهلُها إلاّ عــــــــــراراً   وعزفاً بعدَ أحيْـــاءٍ حلالِ

وللشمّاخ صورة سمعيّة يصوّر فيها نعيق الغراب في الديار المُقفرة من أهلها، فيقول [2]:

فَظَلَّ غُرابُ البَينِ مُؤتَبِضَ النَسى   لَهُ في دِيـارِ الجارَتَينِ نَعيقُ

خَليلَيَّ إِنّي لا يَـــــزالُ تَروعُني   نَواعِبُ تَبدو بِالفِراقِ تَشوقُ

ورصد لنا شعراء الدراسة صوراً سمعية متعددة، وصف فيها الشعراء صوت الحمار الوحشيّ، وهو ينهق خلف قطيعه، أو حين يصوّت معلناً أنّ أرضاً ما أصبحت من أملاكه، وأنّ أتنه في حمايته، وشبّه الشعراء صوته بتشبيهات عديدة، منها قول الشماخ [3]:

حَداها بِرَجعٍ مِن نُهاقٍ كَأَنَّهُ   بِما رَدَّ لَحياهُ إِلى الجَوفِ راجِزُ

---

1) ديوان لبيد، ص 248. وصيلة: صحراء موصولة بأخرى. مجرودة: لا نبات فيها، قد أكلها الجراد. الصدى: طائر كالبوم.

2) ديوان كعب، ص 61. المضيعة: الارض الخالية والكثيرة المتاهات. تعزف: تصوّت. المذكار: ذات الهول والفزع.

3) المصدر نفسه، ص 90. الموماة: الصحراء الواسعة التي لا ماء فيها. الجنّان: يعني الجنّ. عزف: صوّت.

4) المصدر نفسه، ص 127. التراطن: الأصوات الأعجمية التي لا تفهم. السرب: القطيع من القطا.

5) ديوان لبيد، ص 151. العرار: صوت النعام الذكر. العزف: صوت الجن. الحيّ الحلال: المقيمون في حللهم ومنازلهم.

6) ديوان الشماخ، ص 87. مؤتبض: منقبض. النسى: عرق في الفخد. يقال للغراب: مؤتبض النسى؛ لأنه يحجل كأنه مأبوض: أي مشدود بالإباض. نواعب: جمع ناعب: وهو الغراب الذي ينعب، أي يصوّت. تشوق: هيّجت الشوْق.

7) المصدر نفسه، ص 70. لحياه: حَنَكاه حيث مصدر الصوت. الراجز: منشد شعر الرجز.

حيث صوّر الشماخ حمار الوحش، وهو يسوق قطيعه، ويحدوها بصوت، وكأنّ نهاقه رجع إنشاد راجز. كما شبه الشماخ صوت الحمار في صورة سمعية أخرى بعربدة سكران، أصابه مكروه، أو نأى عن الأهل.(1)

وفي صورة سمعيّة أخرى، وصف الشماخ صوت الحمار في نهيقه وقد بدا ناجذه، وأشار إلى أن صوته بعيد المدى، يرجّعه بين نهاق وحشرجة، يقول:

إِذا رَجَّعَ التَعشيرَ رَدّاً كَأَنَّـــــــهُ بِناجِذِهِ مِن خَلفِ قـــــارِحِهِ شَجِ
بَعيدَ مَدى التَطريبِ أُولى نُهاقِهِ سَحيلٌ وَأُخراهُ خَفِيُّ المُحَشرَجِ(2)

وكقول لبيد (3) :

فَهْوَ شَحّـــــــــاجٌ مُدلٌّ سنقٌ لاحِقُ البطنِ إذا يعدو زمــــــلْ

كما أورد الشماخ صورة سمعية، وصف فيها صوت صليل أمعاء الأتن الوحشية من الظمأ، قائلاً (4) :

لَهُنَّ صَليلٌ يَنتَظِرنَ قَضاءَهُ بِضاحي عَذاةٍ أَمرَهُ وَهوَ ضامِزُ

ورصد لبيد صوراً سمعيّةً أشار فيها إلى صوت الظليم والنعامة، ومنها قوله (5) :

متى ما أشأ أسْمَعْ عِراراً بِقَفْرَةٍ تجيبُ زماراً كاليَراعِ المثقّبِ

وقوله (6) :

أُدْمٌ مُوَشَّمَةٌ وَجُـــــــونٌ خِلْفَةً وَمَتى تَشـأْ تَسْمَعْ عِرَارَ ظَلِيمِ

ولم يكن شعر الدراسة خالياً من الصور السمعيّة المُبهجة، المتمثّلة في تغريد الطيور وهديل الحمام، إلّا أن عددها قليل بالمقارنة مع الصور السمعيّة الحزينة، المتمثّلة في النواح والأنين، حيث أشـــار لبيد

---

1) انظر: ديوان الشماخ، ص78. وانظر أيضا: ديوان لبيد، ص195.
2) ديوان الشماخ، ص 37. انظر أيضا: ديوان الشماخ، ص 84، ص90.. التعشير: نهيق الحمار عشر مرات. القارح هنا: الناب. شجٍ: اعترض حلقه الشجى، وهو العظم. السحيل: النهاق في أوله, المُحشرج: من الحشرجة: وهي الصوت في الصدر.
3) ديوان لبيد، ص 129. انظر أيضا: ديوان لبيد، ص 150. الشحّاج: كثير التصويت. مدلّ: شجاع. سنق: متخم. زمل: يعدو معتمدا على احد شقيّه، رافعا الجنب الآخر.
4) ديوان الشماخ، ص 64. الصليل: صوت الأمعاء إذا جفّت من الظمأ. العذاة: الأرض الطيبة. الضامز: الساكت.
5) ديوان لبيد، ص 53. العرار:صوت ذكر النعام ، الزمار : صوت انثى النعام اليراع : زمارة من قصب.
6) المصدر نفسه، ص 247. انظر أيضا: ديوان لبيد، ص151. أدم: بيض. موشمة: في قوائمها سواد، خلفة: مختلفة تذهب وتجيء.

إلى تغريد الحمام في ديار محبوبته، وهي ديار وفيرة المياه، وكثيفة الأشجار، حين يقول [1] :

يُغَنّي الحَمامُ فَوْقَها كُلَّ شارِقٍ على الطَّلحِ يصدحنَ الضُّحى والأصائلا

- **الصور الشميّة**

هي تلك الصور التي تتجه إلى حاسة الشمّ، وأكثر رائحة تطرّق لها الشعراء عامة هي رائحة المرأة، وذلك عند حديثهم عن المحبوبة الظاعنة، التي كانت منعّمة، مشغولة بجمالها وزينتها، متضوعة بالعطر والروائح الطيبة، كما في قول كعب [2]:

ما روضةٌ من رِيَاضِ الحَزْنِ بَاكَرَها بالنبتِ مختلفُ الألوانِ ممطورُ
يوماً بأطيبَ منها نَشْرَ رائحـــــــة بعد المنـــامِ إذا حُبَّ المَعَاطِيرُ

وفي صورة شميّة أنجزها الشمّاخ، وصف فيها محبوبته التي تضوّعت عطراً ورائحة طيبة من الزعفران والعنبر ، يقول [3]:

بِها شَرَقٌ مِن زَعفَـــــــرانٍ وَعَنبَرٍ أَطارَت مِنَ الحُسنِ الرِداءَ المُحَبَّرا

وقوله في صورة أخرى [4]:

وَإِن مَرَّ مَـــــن تَخشى اتَّقَتهُ بِمِعصَمٍ وَسِبٍّ بِنَضحِ الزَعفَـــرانِ مُضَرَّجِ

وفي صورة شمية أخرى، صوّر الشمّاخ محبوبته التي توقد اليلنجوج في الشتاء لتتبخّر به، وتنشر في مجلسها الروائح الزكيّة، يقول [5]:

يُثَقِّبُ نــــــارَهــــــــا وَاللَيلُ داجٍ بَعيـــدانِ اليَلَنجــــــــوجِ الذَكِيِّ

فالشماخ هنا يصوّر محبوبته التي تهتم برائحتها الزكية، فهي في الشتاء لا تتدفأ إلا على خشب يبثّ رائحة زكية تشبه البخور.

---

1) ديوان لبيد، ص 135. شارق: صباح. الطلح: ضرب من الشجر.
2) ديوان كعب، ص78. باكرها: اتاها بكرة. وأمطرها. النشر :الرائحة الطيبة.
3) ديوان الشماخ، ص 49. الزعفران: نبات زهره طيب الرائحة، كانت النساء يتطيبن به.
4) المصدر نفسه، ص33. السِب: الستر. مضرج: مضمخ.
5) ديوان الشماخ، ص117. اليلنجوج: المندل وهو عود طيب الرائحة. الذكي: الساطع الرائحة كالمسك.

وفي صورة شميّة أنجزها الشمّاخ، صوّر فيها بيض النعام حين فقس عن الفراخ، ونمّ عن بشرٍ كأنه ورق البسباس الطيب الرائحة المغسول، يقول(1):

فَنَكَّبا يَنقُفانِ البَيضَ عَــــن بَشَرٍ   كَأَنَّهُ وَرَقُ البَسباسِ مَغسولُ

وفي جانب آخر من الصور الشمية، صوّر الشماخ الحمر الوحشية وهي تشمّ أبوال الأتن الوحشية في قوله (2):

دَؤولٌ إِذا ما استافَ مِنها مَصامَةً   لَهُ مِن ثَرى أَبـــوالِهِنَّ نَشيقُ

وقوله في صورة أخرى (3):

إِذا ما استــــــــافَهُنَّ ضَرَبنَ مِنهُ   مَكانَ الرُمحِ مِن أَنفِ القَدوعِ

فهو يصوّر ما يناله حمار الوحش من رفس وضرب من الأتن على صدره ووجهه، وذلك عند محاولته الاقتراب منها وشمّها.

- **الصور الضوئيّة**

المراد بها تلك الصور التي تتخذ من الضوء ومشتقاته مصدراً لها، وتشكيلاً لماهيّتها. ومن تلك الصور الضوئية قول لبيد يصف بقرة وحشية (4):

وَتُضِيءُ في وَجْهِ الظَّلامِ مُنِيرَةً   كَجُمَانَةِ الْبَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا

وشبيه به قول الشمّاخ (5):

في جانِبَي دُرَّةٍ زَهراءَ جاءَ بِها   مُحَملَجٌ مِن رِجالِ الهِندِ مَجدولُ

في البيتين السابقين، صوّر لبيد البقرة الوحشية وهي تضيء أوّل الظلام، وكأنها لؤلؤة برّاقة، وكذاك شبّه الشماخ وجه ناقته بالدرّة النيّرة البرّاقة.

---

1) ديوان الشماخ، ص98. نكّبا: مالا. ينقفان: ينزعان. عن بشر: عن جسد. البسباس: نبت طيب الرائحة.

2) المصدر نفسه، ص89. دؤول: يمشي مشية فيها ضعف. استاف: شمّ. المصامة: موضع وقوف الاتن. نشيق: استنشاق وشم. وانظر أيضا: ديوان الشماخ، ص 39.

3) المصدر نفسه، ص79. القدوع، ويُروى: القروع: هو الفحل يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريماً، فلا يزال يضرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يرجع.

4) ديوان لبيد، ص220. الجمانة: اللؤلؤة الصغيرة والكبيرة الدرة. البحري: الغواص. سُل نظامها: أي خيطها.

5) ديوان الشماخ، ص96. زهراء: نيرة. محملج: الموثق وكذلك المجدول.

كما رسم الشماخ صورة ضوئية لعيني ناقته، فلهذه الناقة عينان برّاقتان، ترمي بهما الأبعاد وكأنهما مرآتان ذهبيتان ملساوان، صقلتهما الشمس، يقول [(1)]:

تَرمي الغُيوبَ بِمِرآتَينِ مِن ذَهَبٍ   صَلتَينِ ضاحيهِما بِالشَمسِ مَصقولُ

وهذا لبيد يرسم صورة ضوئية، مصوّراً فيها لمعان أسلحة قومه من سيوف ودروع في حروبهم، وهي في إضاءتها كالكواكب والنجوم التي تنير السماء، يقول [(2)]:

وإن يفزعوا تُلْقَ المغافر عندهم   والسنُّ تلمعُ كالكـواكبِ لأمُها

وكقوله في صورة ضوئية أخرى [(3)]:

أصَاحِ تَرَى بَريقاً هَبَّ وَهْـــناً   كمصْباحِ الشَّعيلَةِ في الذُّبالِ

يُضيءُ رَبابُهُ في المُزْنِ حُبْشاً   قِيَاماً بالحِـــــرابِ وبالإلالِ

فهو يصوّر لمعان البرق في السماء، ويشبه انكشافه عن سواد الغيم بحُبشان بأيديهم حراب.

ومن الملاحظ أن ّالشماخ في بعض الصور الضوئية، حينما يختار صورة للنار المشتعلة، فإنّه يختار أنواعاً من النباتات السريعة الاشتعال، كنبات العرفج، فيقول في وصف صحراء واسعة مترامية، تضيئها نار العرفج [(4)]:

بِمَفطوحَةِ الأَطرافِ جَدبٍ كَأَنَّما   تَوَقُّدُها في الصَخرِ نيرانُ عَرفَجِ

وقوله يصف النصال الحادّة، اللامعة كنار العرفج [(5)]:

بِزُرقِ النَواحي مُرهَفاتٍ كَأَنَّما   تَوَقُّدُها في الصُبحِ نيرانُ عَرفَجِ

---

1) ديوان الشماخ، ص 96. الغيوب: ما لا يدرك خلفه من الابعاد. صلتين: ملساوين. الصلت: الصقيل. ضاحيهما: ظاهرهما.
2) ديوان لبيد ص 239. اللأم : جمع لأمة، وهي الدروع. وانظر أيضاً: ديوان لبيد، ص190.
3) ديوان لبيد، ص 164-165. الذبال: الفتيلة. الرباب: السحاب المتدلي. الإلال: جمع ألة : وهي الحربة .
4) ديوان الشماخ، ص 39. بِفطوحَةِ الأَطرافِ: واسعة. وانظر أيضاً: ديوان لبيد، ص214.
5) المصدر نفسه، ص30. زرق النواحي: النصال الزرق الحادة.

الصور اللمسيّة:

يُراد بها الصور الفنية المستمدّة من حاسة اللمس، إذ تتخذ من هذه الحاسة مصدراً لماهيّتها، كما تتميّز الصورة اللمسية باتخاذها من الملموسات الخشنة، والناعمة، وما اتصفت به من برودة، وحرارة، وصلابة، وليونة؛ سمة لبيانها.

وقد ألفيت هذا النوع من الصور الحسية مبثوثاً في عدّة مواضع فنيّة تناولها شعراء الدراسة، ومن ذلك قول لبيد(1):

ومرْتٍ كظهْرِ التُّرْسِ قفرٍ قطعْتُهُ   وتحتي خنوفٌ كالعَلاةِ عقيمُ

حيث صوّر لبيد ناقته القوية، التي يجتاز بها الفلوات، ووصفها أنّها ناقة خنوف شديدة الصلابة، وشبهها في صلابتها بالسندان التي بضرب عليها الحداد.

ومن الصور اللمسية قول كعب بن زهير(2):

فهي مَلْساءُ كالعَسِيبِ وقَـــدْ بَا   نَ نَسِيلٌ عن مَتْنِهـــا ليَطِيرَا

فناقة كعب ملساء، تساقط وبرها لكثرة ما أكلت وسمنت، وقد شبهها كعب بعسيب النخل الذي نزع عنه ورقه للدلالة على ملاستها.

أمّا الشماخ، فناقته قوية، ضامرة ملساء، جلدها سميك كجلد السلحفاة، لا يؤثر فيه القراد، ولا يثبت عليه لملاسته، كما أنها تتمتع بصدر وخواصر مشدودة ملساء، تطرد الذباب عنها كلّ ما حطّ عليها، يقول (3):

وَجِلدُها مِن أَطـــومٍ ما يُؤَيِّسُهُ   طلحٌ كَضاحِيَةِ الصَيداءِ مَهزولُ
تَذُبُّ ضَيفاً مِنَ الشَعراءِ مَنزِلُهُ   مِنها لَبانٌ وَأَقـــرابٌ زَهاليلُ(4)

1) ديوان لبيد، ص194. مرت: الارض التي لانبات فيها. الخنوف: التي تخنف بأنفها. العلاة: السندان التي يضرب عليها الحداد.

2) ديوان كعب، ص 72. عسيب النخل: قضيب نزع عنه ورقه. النسيل: الوبر والشعر المتساقط.

3) ديوان الشماخ، ص96-97.

4) الاطوم: السلحفاة البحرية غليظة الجلد. الطلح: القراد. الصيداء: الحصاة. اللبان: الصدر. الاقراب: الخواصر. زهاليل: ملساوات. وانظر أيضا: ديوان كعب، ص 112.

ولكعب صورة لمسية أخرى، يصف فيها ناقته، يقول [1]:

سُمرُ العُجاياتِ يَترُكنَ الحَصى زِيَماً   لَم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكُمِ تَنعيلُ

وفيها يصف كعب أخفافها الصلبة التي تفرق الحصى، وهي لصلابتها لا تحتاج أن تنتعل.

وكذلك في وصفه لفرسه الكميت [2]:

ممرٌّ كسرحانِ القصيمة منعلٌ   مَسَاحِيَ لا يُدْمِي دَوَابِرَها الوَجَى

إذ وصف كعب فرسه، فهو ذو حوافر صلاب كأنّها تنتعل الحديد، فلا تدمى لسير مهما اشتد.

وللشماخ صور لمسية مشابهة، إذ يصف أخفاف ناقته الصلبة في قوله [3]:

لَها مَنسِمٌ مِثلُ المَحارَةِ خُفُّهُ   كَأَنَّ الحَصى مِن خَلفِهِ خَذفُ أَعسَرا

وفيها شبه الشماخ أخفاف ناقته بالمحارة لصلابتها، فهي قوية صلبة، تحذف من خلفها الحصى فيتطاير هنا وهناك.

وقوله [4]:

مُفِجُّ الحَوامي عَن نُسورٍ كَأَنَّها   نَوى القَسبِ تَرَّت عَن جَريمٍ مُلَجلَجِ

إذ وصف الشماخ حوافر ناقته الصلبة وهي تطأ الحجارة بنسور صلب كنوى التمر اليابس، فتقوى عليها حتى تلوكها.

---

1) ديوان كعب، ص 113. العجايات: عصب باطن اليدين. زيما: متفرقة.

2) المصدر نفسه، ص 45. ممر: المدمج الخلق. السرحان: الذئب. القصيمة: قطعة من الأرض. مساحي: مفردها: مسحاة، وهي آلة من حديد كالمجرفة يجرف بها الطين ونحوهز وهي هنا الحوافر. دوابرها: أواخرها. الوجى: الحفا.

3) ديوان الشماخ، ص 50. المنسم: طرف الخف. المحارة: الصدفة. الاعسر: الذي يستخدم يسراه. وانظر أيضا: ديوان كعب، ص 144.

4) المصدر نفسه، ص 38. مفج الحوامي: مفرق نواحي الحافر. نسور: واحدها نسر، وهي نكتة داخل الحافر تحمد صلابتها. القسب: التمر اليابس. الجريم: المنفصل. ملجلج: متحرك يلوكه الفم.

ورصد كعب صورة لمسيّة، صوّر فيها الأتن، ووصف قوّة أيديها وأرجلها، فهي قويّة شديدة كالصخرة الصلبة، وهي ملساء لا كدوح فيها، حيث يقول (1):

فوقَ عُوجٍ مُلْسِ القَـــوائِمِ أُنْعِلْـنَ   جلاميدَ أو حُذينَ نُســـــــــورا

وفي صورة لمسية أنجزها لبيد بن ربيعة، مفتخراً بقومه يقول (2):

وَنَحْنُ أُناسٌ عُودُنَا عُـــــودُ نَبْعَةٍ   صليبٌ إذا ما الدهرُ أجشم مُعظِمَا

إذ وظّف لبيد صلابة خشب شجرة النبعة في معرض تعداده صفات رجال قومه الشجعان؛ ليعكس بذلك قوتهم وصلابة بنيتهم.

ومن الصور اللمسية ما كان يرصد درجة حرارة، فهذا الشماخ يصوّر وقت اشتداد درجة الحرارة في قوله (3):

خوصَ العيونِ تبارى في أزمتهـــا   إِذا تفصَّدْنَ من حــــرِّ الصَّياخِيدِ

يصوّر الشماخ في هذا البيت الإبل وهي تسابق بعضها بعضاً وقت الهاجرة، فكانت متعبة غائرة العيون، قد نضحت بعرق الجهد.

وفي صورة لمسية أخرى، أشار إلى ارتفاع مستويات الحرارة، يقول (4):

إِذا الظَبيُ أَغضى في الكِناسِ كَأَنَّهُ   مِنَ الحَرِّ حِرجٌ تَحتَ لَوحٍ مُفَرَّجِ

فالشماخ يصف سيره في ريعان الحر، وكيف يزجر ناقته ويكلّفها الجدّ على السير المتواصل، حدّ بلوغ سموم الهاجرة، التي يلجأ فيها الظبي إلى كناسه، فأتت الصورة اللمسية في هذا المعنى عاكسة مكنونات نفسه، وما عاناه من تعب ونصب.

---

1) ديوان كعب، ص 71. العوج: الأيدي والأرجل الشديدة. الملس: اللواتي لا كدوح فيهنّ ولا أثر. الجلاميد: الصخور الصلبة. النسور: جمع نسر، وهي لحمة كالنواة في باطن الحافر .
2) ديوان لبيد، ص177. النبعة: شجرة صلبة الخشب. أجشم: كلف المشقة.
3) ديوان الشماخ، ص 43. خوص العيون: غائرات العيون. تفصدن: نضحن بالعرق. الصياخيد: جمع صيخود، وهو هاجرة النهار الحارة.
4) ديوان الشماخ، ص36. الكناس: بيت الظبي. الحِرج: الودعة تكون تحت الرحل من قبيل الزينة.

وهذه الصورة شبيهة بتصوير لبيد نفسه، وهو يقطع الصحراء بناقته، وقت اشتداد وتوقّد الحرارة، يقول (1):

بِجَسْرَةٍ تَنْجُلُ الظُّرَّانَ ناجِيَةَ   إذا توقَّدَ في الدَّيمومةِ الظُّرَرُ

واعتمد كلّ من الشمّاخ وكعب على حاسة اللمس في ايراد أوقات اشتداد الحرارة، في عدة صور، منها قول كعب (2):

يَوماً يَظَلُّ بِهِ الحَرباءُ مُصطَخِمــاً   كَأَنَّ ضاحِيَهُ بِالنــــارِ مَملــــولُ

وقوله (3):

حتَّى إذا انتصَب الحِرْباءُ وانتقلتْ   وحانَ إذ هجّـــــــروا بالدّوِ تغويرُ

وقول الشماخ (4):

إذا ما حرابيُّ الظهيرةِ لـــم تَقِلْ   نسأْتُ بها صَعْراءَ طالَ امْتعاضُها

بالإضافة إلى المعنى في قول كعب (5):

وهاجِرةٍ لا تَسْتَرِيدُ ظِبـــــاؤها   لأعلامها من السَّـــــرابِ عمائمُ

ففي قول كعب: " يظل به الحرباء مصطخماً"، وقوله: "هجّروا" ، وقوله: " لأعلامها من السراب عمائم"، ووصف الشماخ للحرباء التي شُوي ظهرها بالنار من شدة حرّ الشمس وصهرها عليه...، في هذه الأبيات مدلولات على ارتفاع مستوى درجة الحرارة.

---

1) ديوان لبيد، ص86. تنجل: ترمي به . الظران: الحجارة. الديمومة: الملساء المستوية. وقيل: الأرض الواسعة تتوقد من حر الشمس.

2) ديوان كعب، ص 113. المصطخم: المنتصب من الحر. المملول: من الملة، ويقال: هي النار.

3) المصدر نفسه، ص80. هجروا: ساروا وقت الهاجرة. الدو: المفازة. التغوير: أراد هنا القيلولة من حر الهاجرة.

4) ديوان الشماخ، ص 72. نسأت: زجرت. صعراء: مائلة الخد او العنق.

5) ديوان كعب، ص 140. لا تستريد: أي لا ترود وقت الحر، فتذهب وتجيء. الأعلام: الجبال.

وفي الجهة المضادة للحرارة وقيظها، أتت الصورة اللمسيّة العاكسة للبرودة، في وصف لبيد للشتاء، وبرودته، كما في قوله [(1)]:

والحيِّ إذْ بكرَ الشتـــاءُ عليهمُ وعدتْ شــــــآميةٌ بيومٍ مقمـــرِ

فهو يصوّر شدة برودة ذلك اليوم، واختار يوماً مقمراً تمييزاً له بشدة البرد لتقشّع الغيم.

ولشعراء الدراسة صور لمسيّة تعكس البرودة في قصصهم عن الحيوانات الوحشية وغيرها ، كقول كعب يصف ثور الوحش [(2)]:

أَخْرَجتْه من اللّيـــالي رَجُوسٌ ليلةً هاجَها السِّمــــــاكُ دَرُورَا

كما تحدث لبيد عن ريح شمالية باردة، تسوق المطر، وهي التي ألجأت ثور الوحش الهارب من الصياد، إلى شجرة أرطى، يقول [(3)]:

فبَاتَ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ تَضُمُّهُ شآمِيَةٌ تُزْجي الرَّبَابَ الهَوَاطِلا

---

1) ديوان لبيد، ص95.

2) ديوان كعب، ص 69. رجوس: ذات الصوت. هاجها السماك: مطرت بنوئه. السماك: من نجوم الصيف، تكون له دفعة شديدة بعد دفعة مثلها. درورا: دائمة المطر.

3) ديوان لبيد، ص 138. الرباب: السحاب. وانظر أيضا: ديوان لبيد،، ص87، ص 155، ص 219، ص 270 .

الصور اللونيّة :

المرد بها تلك الصور التي غلب عنصر اللون على جزئياتها، وتعد من أكثر الصور دوراناً عند الشعراء، وتبرز في التصريح باللون، أو ممّا يذكر دلالةً عليه. وللون علاقة وثيقة بالشعر العربيّ وصوره؛ حيث أتى" جزءاً رئيسياً في الصورة الشعرية، ورافداً غنياً من روافدها" (1).

وتجدر بنا الإشارة إلى العلاقة الوثيقة بين اللون، والحسّ الإنساني؛ لما للون من تأثير في الذات الإنسانية، وقد تجلّى عنصر اللون في شعر الدراسة؛ وذلك باستخدام شعراء الدراسة الألوان بطبيعة مسمّياتها التي عُرفت بها، أو مشتقاتها التي تدل عليها، أو تصفها.

نجد في شعر الشماخ صوراً للناقة مقترنة بلونها، وخاصّة اللون الأبيض، وهو اللون المفضّل – كما يبدو عند الشمّاخ- ، فيصف ناقته بالهجان في قوله (2):

وَحُرَّتَينِ هِجانٍ لَيسَ بَينَهُما   إِذا هُما اشتَأَتا لِلسَمعِ تَمهيلُ

فناقة الشماخ ناقة بيضاء حرّة كريمة؛ إذ تعدّ العرب البياض من الألوان هجاناً وكرماً.

وللبيد صورة لونية مشابهة، يقول فبها (3):

أُدماً يشبهن صواراً أُبّدا

إذ وصف لون تلك الإبل البيضاء، وشبهها بقطيع البقر الوحشيّ الأبيض.

وفي قول لبيد، واصفاً لون الثور الوحشيّ الأبيض (4):

وأصْبَحَ يَقتري الحَوْمانَ فَرْداً   كنَصْلِ السَّيفِ حُودثَ بالصقَالِ

---

1) محمد علي، إبراهيم، **اللون في الشعر العربي قبل الاسلام قراءة ميثولوجية**، جروس برس للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2001، ص35.

2) ديوان الشماخ، ص 96. الحُرَّتَان: الأذنان. هجان: بيضاوان. اشتأى: استمع.

3) ديوان لبيد، ص 63. الأدم: الإبل البيض. أبّدا: مستوحشة,

4) ديوان لبيد، ص158. يقتري: يتتبع. الحومان: واحدته حومانة، وهي أمتكن غلاظ من الأرض.انظر أيضا: ديوان لبيد، ص272

وصف لبيد في هذه الصورة اللونية ثور الوحش، وشبهه في بياضه ولونه بنصل سيف صُقل مراتٍ عديدة .

وفي صورة لونية مقابلة للشماخ، يصف فيها ناقته، يقول [1]:

وَلا عَيبَ في مَكروهِها غَيرَ أَنَّهُ   تَبَدَّلَ جَوناً بَعدَ ما كانَ أَزهَرا

فحين يرتحل الشمّاخ على ناقته، لا يظهر عليها شيء من التعب، غير أن لونها – لكثرة عرقها أثناء السفر الطويل- ، قد تبدّل من الأبيض إلى الأسود.

ومن الجدير بالملاحظة اهتمام الشماخ باللون الأبيض في تشبيهه لناقته بالحيوانات الأخرى، فهو يختار من الحمر الوحشية: الأحقب، - وهو الحمار الأبيض الحقوين- شبيهاً لناقته، حين يقول:

كَأَنَّ قُتودي فَوقَ أَحقَبَ قـــــارِبٍ   أَطاعَ لَهُ مِن ذي نُجـــارٍ غَميرُها [2]

كَأَنَّ قُتودي فَــــــوقَ جَأبٍ مُطَرَّدٍ   مِنَ الحُقبِ لاحَتهُ الجِدادُ الفَوارِزُ [3]

كَأَنّي كَسَوتُ الرَحلَ أَحقَبَ سَهوَقاً   أَطاعَ لَهُ فـــــــــي رامَتَينِ حَديقُ [4]

كَأَنَّ رَحلي عَلى حَقباءَ قــــــارِبَةٍ   أَحمى عَلَيها الأَبـــانَينِ الأَراجيلُ [5]

أمّا لبيد، فقد اتجه إلى اللون الأسود، مشيراً إلى لون الإبل والخيل والنعام، في صور لونيّة مختلفة، يقول فيها:

1) ديوان الشماخ، ص 49. المكروه: عِرق قلعله عرق لونها الذي يميزها عن سواها. الجون: الاسود. الأزهر: الأبيض.
2) المصدر نفسه، ص 59. القتود: خشب الرحل. قارب: طالب الماء. ذو نجار: موضع.
3) المصدر نفسه، ص 63. الجِداد: جمع جدود: وهي الاتان التي جفّ لبنها .ومثلها الفوارز. لاحته: غيرته واهزلته.
4) المصدر نفسه، ص 88. السهوق: طويل الساقين. الرامة: الهضبة. الحديق: المرعى المحدق.
5) المصدر نفسه، ص 98. الأبانان: جبلان أحدهما ابيض والآخر أسود.

وحطَّ وُحُوشَ صاحَةَ من ذُراها   كأنَّ وُعُولَها رُمْكُ الجِمـــالِ [1]

دهماءُ قد دجَنتْ وأحْنَقَ صُلْبُها   وأحالَ فيها الرَّضْحُ والتَّصْرِيمُ [2]

وابْذُلْ سَنَـــــامَ القِدْرِ إ   نَّ سواءَها دُهْماً وجُونـــا [3]

ورقـــــاقِ عُصَبٍ ظُلْمانُهُ   كحَزيقِ الحَبَشيِّنَ الزُّجَـــلْ [4]

وفي قول كعب، واصفا لون الثور الوحشيّ:

ذا وشومٍ كـــأنّ جلدَ شواهُ   في ديـــابيجَ أو كسين نمورا [5]

فقد أشار كعب في هذا البيت إلى لون الثور الوحشيّ، فلونه أبيض تلمع في قوائمه الأربع وشوم سوداء، وشبهها بالديباج، أو بجلود النمور؛ لما فيها من البياض والسواد.

وفي وصف لبيد ناقته، وتشبيهها بالثور الوحشي صورة لونية يقول فيها:

فكأنَّها هي يَوْمَ غِبِّ كَـــلالِهَا   أوْ أسْفَعُ الـــخدّيْنِ شاةُ إرَانِ [6]

إذ شبّه ناقته بثور وحشيّ أسفع الوجه، لونه أسود يميل إلى الحمرة. وهذه الصورة اللونية قريبة لصورة وصف فيها الشماخ لون ناقته، حين يقول:

سَفعاءُ وَقَّفَها السَوادُ تَرى لَها   زَمَعاً وَصَلَنَ شَوىً لَهُنَّ دِقاقا [7]

---

1) ديوان لبيد، ص 166. صاحة: جبل. رمك: أسود.
2) المصدر نفسه، ص 183. أحنق صلبها: ضمر وارتفع. الرضح: النوى المدقوق. التصريم: ألا تُحلب، فذلك أسمن لها.
3) المصدر نفسه، ص 263. الدُهم: الناس. جون: الشديدة السواد من الإبل والخيل.
4) المصدر نفسه، ص 121. الرقاق: الصحراء المتسعة. الظلمان: ذكور النعام. الحزيق: الجماعة. الزجل: المجتمعون المحتشدون
5) ديوان كعب، ص 69. وشوم: سواد في ذراعيه. الشوى: القوائم. ديابيج: جمع ديباج، وهو ثوب من الحرير. نمور: ثياب من صوف مسبّحة، أي فيها سواد وبياض.
6) ديوان لبيد، ص 270. غبّ كلالها: أتى عليها بعد الكلال يوم.. السفعة: سواد يضرب إلى الحمرة. الإران: المرح والنشاط.
7) ديوان الشماخ، ص 82. الزمع: الشعر المدلّى في آخر رجل الشاة. الشوى: القوائم. دقاق: نحيفات.

وفي استخدام الشمّاخ في هذه الصورة اللونية للوني" السفعة، والسواد"، انعكاس لصورة هذه الناقة، التي يحيط بها الموت من كلّ جانب؛ إذ يرتبط اللون الأسود عادة بالوحشة والخوف.

وفي صورتين لونيّتين، أورد لبيد وصفاً للحمر الوحشيّة ولونها الأسود، حين يقول:

وصُحْمٍ صِيامٍ بَينَ صَمْدٍ ورَجْلةٍ   وبيضٍ تؤامٍ بينَ ميثٍ ومـذنبِ (1)

جَـــوْنٍ تَرَبَّعَ في خَلَى وَسْمِيَّةٍ   رَشَفَ المناهِلَ ، ليس بالمظلُومِ (2)

ففي استخدامه لكلمات: " صحم، جون" ، إشارة إلى اللون الأسود الذي تميّزت به تلك الحمر الوحشية. أمّا الشمّاخ، فأشار إلى ألوان الأتن الوحشية في قوله (3):

في عانَةٍ حُقبٍ عَلَت أَصلابَهـا   جُدَدٌ وَحانَ سَوادُها الأَعنــاقـا

سالَت عَلى أَذنابِها وَتَخالُهـا   بُرداً عَلى أَكتافِها أَخـــلاقا

فقطيع الأتن الوحشية في وصف الشمّاخ، قطيع أبيض اللون، يخالف ألوانها جُدَد سوداء، سالت على أذنابها، وبلغت أعناقها.

كما اعتمد بعض شعراء الدراسة على اللون الأبيض في تصوير محبوباتهم، كما في قول الشماخ:

لَهـــا أُقحُوانٌ قَيَّدَتهُ بِإِثمِدٍ   يَدٌ ذاتُ أَصدافٍ يُمارُ نَؤورُها (4)

---

1) ديوان لبيد، ص 48. صحم: الحمير السود. صيام: قيام. الصمد: المكان الغليظ. الرجلة: مسيل الوادي. تؤام: اثنتين اثنتين. الميث: الأرض السهلة. المذنب: مجرى الماء.

2) المصدر نفسه، ص 250. جون: حمار أسود. الخلي: الحشيش. رشف المناهل: يشرب من مياه المناهل.

3) ديوان الشماخ، ص 84-85. عانة: قطيع من حمر الوحش. حقب: جمع حقباء: وهي الأتان التي في بطنها بياض. جدد: جمع جدّة: وهي الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه. البُرد: ثوب فيه خطوط. أخلاق: جمع خلق: وهو البالي. واخلاق هنا وصف للبرد.

4) المصدر نفسه، ص58. الأقحوان: نبت ربيعي طيب الريح له زهرة بيضاء صافية البياض. مار: سال. النؤور: الوشم.

إذ وصف الشماخ أسنان محبوبته البيضاء، وشبهها بزهر الأقحوان الأبيض. كما وصف أسنانها بالأقحوان المفلّج في بيت آخر قائلاً (1):

تَميحُ بِمِســواكِ الأَراكِ بَنانُهـــــا   رُضابَ النَدى عَن أُقحُوانٍ مُفَلَّجِ

وفي صورة لونية أنجزها لبيد، وصف فيها النساء، وشبّههن ببقر الوحش لبياضهن، حين يقول (2):

مَنازِلُ مِـــنْ بيضِ الخُدُودِ كأنَّهَا   نعـاجُ المَلاَ مِنْ مُعْصِرٍ وعوانِ

كما ظهر اللون الأحمر عند شعراء الدراسة، وكان لهذا اللون في بعض الصور ارتباط بالموت والقتل، ومن ذلك قول الشمّاخ مصوّراً الدماء تخرّ من منخري أتان وحشية قتيلة (3):

وَغادَرَهـــا تَكبــو لِحُرٍّ جَبينِها   كِــلا مَنخِرَيها بِالنَجيعِ رَذومُ

وفي صورة لونيّة أخرى يأخذ فيها اللون الأحمر دوراً بارزاً، ويدل دلالة واضحة على القتل، يصوّر لبيد مطاردة كلاب الصيد الضارية لثور وحشيّ، وهي دامية النحور تحاول اللحاق به، وتطمع في سفك دمه، ثمّ وصف لبيد حال تلك الكلاب وهي عائدة من القتال، وكيف ترك الثور في أعناقهن الجروح، يقول (4):

عوابس كالنُّشَّاب تدمى نحورُهــا   يرينَ دماءَ الهـــادياتِ نوافِلا
فغادرَها صَرْعى لدَى كُلِّ مَزحفٍ   ترى القدَّ في أعنـــاقِهِنَّ قَوافِلا

وفي صورة لونيّة أخرى، صوّر لبيد كلاب الصيد بعد رجوعها من المعركة التي خاضتها في مهاجمة

---

1) ديوان الشماخ، ص33. تميح: تسيل. الرضاب: الريق. مفلج: متباعد.
2) ديوان لبيد، ص 266. بيض الخدود: صاحبات الخدور. الملا: الصحراء، أو المتسع من الأرض. المعصر : الفتاة المدركة. العوان: متوسطة العمر. وانظر أيضا: ديوان لبيد، ص206.
3) ديوان الشماخ، ص 108. تكبو: تقع. النجيع: دم الجوف. رذم: سال.
4) ديوان لبيد، ص 138. الهاديات: أوائل الوحش. النوافل: المغانم. مزحف: معترك. القد: القطع والجرح. قوافل: وهنّ عائدات من المعركة.

بقرة وحشية، وكيف أثخنتها تلك البقرة بالجراح، فتضرّجت بالدماء، يقول:

فَتَقصَّدَتْ مِنْهَــا كَسَاب فَضُرِّجَتْ بِدَمٍ وَغُودِرَ في الْمَكَرِّ سُخَامُهَا (1)

وفي صورة لونية، أورد كعب بن زهير اللون الأحمر في قوله (2):

وَاشِجاتٍ حُمْراً كــــأنّ بأَظْلاَ فِ يديهِ من مـــــــائهنَّ عبيرا

صوّر كعب في هذا البيت الثور الوحشيّ، وشبّه ما على أظلافه من حمرة عروق شجرة الأرطى بلون الزعفران الأحمر.

وأشار كعب إلى اللون الأحمر في صورة لونيّة مختلفة، في قوله (3):

حمرٌ حواصلها كالمغدِ قد كسيتْ فوقَ الحـــواجبِ مما سبدتْ شعفَا

وصف كعب في هذه الصورة فراخ القطا، وشبّه احمرار حواصلها، التي لم ينبت عليها ريش أو زغب، بلون شجرة المُغد الأحمر.

ومن الصور اللونيّة في شعر الشمّاخ، وصفه الحسيّ محبوبته بالحُسن وسواد لون الشعر، في قوله (4):

قــامَت تُريكَ أَثيثَ النَبتِ مُنسَدِلاً مِثلَ الأَســـــاوِدِ قَد مُسِّحنَ بِالفاقِ

فالشماخ في هذه الصورة، يصف شعر محبوبته الأسود اللون الكثيف، ويشبهه بالحيّات السود الممسوحة بالزيت؛ ليعبّر عن شدّة سواد لونه ولمعانه وجماله.

---

1) ديوان لبيد، ص 225. تقصّدت: أي البقرة، قصدت الكلبة التي اسمها كساب . تقصدت: قتلت. كساب: اسم كلبة. ضرّجت: خلطت. غودر: ترك. المكرّ: الموضع الذي يُكرّ فيه. سُحام: اسم كلب.

2) ديوان كعب، ص 69. واشجات: جمع واشجة، وهي المشتبكة. العبير: الزعفران.

3) المصدر نفسه، ص 90.

4) ديوان الشماخ، ص 91. أثيث النبت: كثيره ملتفه، أي شعرها المنسدل والمسترسل. الأساود: جمع أسود، وهو الحيّة. مسحن: دلكن بالأيدي. الفاق: الغض من الزيت.

ونجد صورة لونيّة فيها ابتكار عند لبيد بن ربيعة، الذي يصف اضطراب البرق ولمعانه في السماء، ويشبّه انكشافه عن السحاب وهو أسود، بانكشاف خيل عن أولادها ترمح عنها، يقول:

فأفرَعَ في الرّبـــــــــابِ يقودُ بُلْقاً   مجوّفَةً تذبُّ عنِ السِّخـــالِ [1]

ويعتمد كعب على الألوان في تصويره لروضة مخضرّة بأنواع النباتات، في قوله [2]:

ما روضةٌ من رِيَاضِ الحَزْنِ بَاكَرَها   بالنبتِ مختلفُ الألوانِ ممطورُ

وللبيد صور لونية مشابهة، يصوّر فيها أرضاً مليئة بالزهور والنباتات الملوّنة، منها قوله [3]:

وغيثٍ بدكـــــاكٍ يزنُ وهـــــــادهُ   نباتٌ كوشي العبقريِّ المخلَّبِ

ويظهر اللون الأخضر عند كعب، وذلك في معرض وصفه للنعام، يقول [4]:

والشَّرْيَ حتّى إذا اخضرَّتْ أُنوفُهمــا   لا يألوانِ من التنُّومِ ما نقفـــا

صوّر كعب مشهد النعامة والظليم وهما يأكلان من شجر الحنظل، ووصف أنوفهما وقد اخضرّت من كثرة ما يأكلان.

وكقول لبيد [5]:

أو باردُ الصَّيفِ مسجورٌ، مزارعُهُ   سُودُ الذوائِبِ مما متعتْ هَجرُ

---

1) ديوان لبيد، ص 166. الرُباب: موضع. بلقا: سحاباً بلقا. مجوفة: جوفت ببياض في جنوبها وبطونها.

2) ديوان كعب، ص78 . الحزن: اسم موضع. باكرها: أتاهت بكرة وأمطرها المطر.

3) ديوان لبيد، ص 47 . دكداك: ما ارتفع من الأرض. الوهاد: مطمئنات تكون في الارض. مخلّب: مخطط بألوان الصبغ. وانظر أيضا: ديوان لبيد، ص 101، 246.

4) ديوان كعب، ص92 . الشري: شجر الحنظل. يألوان: يقصّران. التنّوم: شجر صغار له ثمر مثل الشهدانج. نقف: شقّه عن حبّه.

5) ديوان لبيد، ص 81. بارد الصيف: ماء. مسجور: ممتلئ. سود الذوائب: يعني السعف. متعت: زرعت وغذّت. هجر: سقته حتى كبر.

وهنا، وصف لبيد ما زُرع في تلك الأرض من الشجر والنخل، وأشار إلى شدّة خضرة لون سعف النخل حتى صار يضرب إلى السواد.

ولكعب صورة لونيّة، يقول فيها:

مقعياتٍ إذا علونَ يفـــــاعاً　　　　زرقاتٍ عيونهـــــــا لتغيرا [(1)]

يصوّر كعب كلاب الصيد الضارية، التي تتحفّز للهجوم على فريستها، ويصفها ب"زرقات العيون"، دلالة على شدّة غضبها.

ولكعب صورة لونيّة أخرى، يصف فيها لون ذئب، قائلاً [(2)]:

كأنَّ دخانَ الرِّمثِ خالطَ لونهُ　　　　يُغلُّ به من بـــــــــاطنٍ ويجللُ

وهذا لبيد يمزج بين اللونين، الأبيض والأسود في بعض صوره اللونيّة، يقول [(3)]:

دَرَى باليسـاري جَنَّةً عبقريَّةً　　　　مُسَطَّعَةَ الأعنَاقِ بُلْقَ القَـــوَادِمِ

يشير لبيد في هذه الصورة اللونية إلى ناقته التي قدّمها لضيوفه، ويصف لونها، فهي سوداء، في أرجلها بياض.

كما وصف في موضع آخر، لون البقر الوحشيّ، فمنها أبيض اللون في قوائمها سواد، وبعض منها أسود اللون، يقول:

أُدْمٌ مُوَشَّمَـــــةٌ وَجُونٌ خِلْفَةً　　　　وَمَتى تَشأْ تَسْمَعْ عِرَارَ ظَلِيمِ[(4)]

وبهذا تجلّى اعتماد شعراء الدراسة المخضرمين على المتنوع من الصور الحسيّة من بصريّةٍ، وحركيّةٍ، وذوقيّةٍ، وسمعيّة، وشميّة، وضوئيّة، ولونيّة، ولمسيّة، قد خدمت معانيهم بصورة فنية أكسبتها جمالاً له عميق الأثر في نفوس متلقّيهم.

---

1) ديوان كعب، ص 70. مقيعات: من الإقعاء، وهو القعود على الذنب مع الانتصاب. اليفاع: المرتفع من الأرض. زرقات عيونها: من الغضب. تغير: تهجم وتشنّ الغارة.
2) المصدر نفسه، ص 119. الرمث: نبات بري يشبه الغضا، ودخانه أبيض تعلوه غبرة. يغلّ به: يدخل.
3) ديوان لبيد، ص 260. درى: ختل. اليسارى/السبارى: اسم موضع. جنة: إبل. عبقرية: منسوبة إلى عبقر. مسطّعة: موسومة. بلق القوادم: في أرجلها بياض.
4) ديوان لبيد، ص 247. أدم: بيض. موشمة: في قوائمها سواد، وهو هنا يصف البقر. الجون: السود. خلفة: مختلفة تذهب وتجيء. العرار: صوت ذكر النعام.

الخاتمة

إنّ الطبيعة عند الشاعر المخضرم ميدان رحب، ومرعى خصب، أظهر من خلالها براعته وقدرته الإبداعية، فكانت مؤثرة في نفسه، معبّرةً عن أحاسيسه وعواطفه وانفعالاته، وجاءت الطبيعة لديه تجمع الصامت والصائت، فوصف الصحراء المهلكة وطرقها، وجبالها، ووديانها، وكثبانها الرملية، ووصف أشجارها ونباتاتها، ووصف البُرَق والدارات والحرّات، كما رسم للكواكب والنجوم لوحات جميلة، واصفاً من خلالها السماء، ووصف الرياح والسحاب والمطر، واعتنى كذلك بوصف الناقة، والتمس المناسبات لذكرها وذكر أوصافها، وشبهها بالحيوان الوحشي تارةً، وبالنعامة وبالظليم تارةً أخرى، وذكر الخيل، وكلاب الصيد، كما وصف الطيور وحركاتها كالحمام، والغراب، والقطا، وذكر الطيور الجارحة كالنسر والعقاب، وعرض في حديثه أيضاً للزواحف والحشرات، ووظف الطبيعة في أغراض الشعر المختلفة، منتزعاً منها أروع الصور والتشبيهات.

ومن الملاحظ في هذه الدراسة تفاضل شعرائها المخضرمين في موضوع الوصف، فمنهم من أجاد في كثير من الأوصاف، ومنهم من غلبت عليه الإجادة في بعضها، فنجد أنّ لبيداً كان مُجيداً في وصفه للناقة، وفي تصويره لمناظر الصحراء المتنوعة، وكذلك كان كعب، أمّا الشماخ، فكان مجيداً في وصفه لعناصر الطبيعة وظواهرها، إلّا أنّه قد أكثر في شعره من وصف حُمر الوحش في مختلف أحوالها وطباعها، كما تطرّق إلى أدقّ تفاصيلها، فوصف ألوانها وحركاتها، كما نفذ أحياناً إلى نفسيّتها من الداخل، فصوّر قلق حمار الوحش قائد القطيع، وغضبه، وغيرته على أُتُنه، كما صوّر فزع الأتن الوحشية واضطرابها في كثير من قصائده.

تناولت هذه الدراسة موضوع الطبيعة في شعر المخضرمين: الشمّاخ بن ضرار الذبيانيّ، وكعب بن زهير، ولبيد بن ربيعة العامريّ، وأتت على ثلاثة فصول، وتمهيدٍ اشتمل على تحديد مفهوم الخضرمة لغةً واصطلاحاً، ثمّ الحديث بايجازٍ عن الطبيعة في الشعر الجاهلي وفي صدر الإسلام، ثمّ التعريف بحياة شعراء الدراسة المخضرمين وشعرهم.

جاء الفصل الأول مختصّاً بدراسة عناصر الطبيعة الصامتة وظواهرها، في وصف الأرض، ووصف السماء، وقد عرضتُ فيه للصحراء والسراب، والكواكب والنجوم، والمياه والمطر، والسحاب والرعد والبرق، والرياح بأنواعها، والأشجار والنباتات الصحراوية وغيرها، وقد عرضتُ فيه للجبال وللوديان والكثبان الرملية، والدارات والبُرق، والحرّات، وأخيراً الرياض.

أمّا الصحراء، فقد تحدّث شعراء الدراسة المخضرمون عنها، ووصفوا طرقها الموحشة والمخيفة، وصوّروا شدّة العقبات التي كانوا يتجشّمونها، وكثرة الصعوبات التي يلاقونها في طرق الصحراء، ومفاوزها المهلكة، وكانوا يستعظمون في أشعارهم صعوبة ولوجها ووحشة ارتيادها، مُظهرين بذلك الصعوبات الكثيرة ومعاناتهم في سبيل الوصول إلى غايتهم. وقد تطرّقوا في حديثهم عن الصحراء إلى السراب، وكانوا يتناولون في حديثهم عن ارتفاعه الذي يكنّون به عن شدّة الحرّ، ثم يتطرّقون إلى وصف رواحلهم القوية وهي تجتاز الصحراء الملتهبة، أو الجبال الشامخة التي يلفّها السراب.
أمّا المياه، فكان لها في شعر الدراسة حديث طويل، فقد أفاض الشعراء المخضرمون في ذكرها، ووصفوا كل مصدر من مصادرها. كما أشاروا إلى السحب، وميّزوا بين كلّ لون من ألوانها، وربطوا بينها وبين مقدار ما تحمله من المياه، واهتمّوا كذلك بالمطر وأنواعه، فذكروه وما يصاحبه من برق ورعد وصواعق، كما دفعهم الاهتمام به إلى الاهتمام ببروج السماء، فورد ذكر أسماء بعض النجوم والبروج في أشعارهم، وجاؤوا على ذلك كلّه بصورٍ وتشبيهاتٍ تدلّ على قدرتهم الفنيّة وبراعتهم في الوصف.
وفي حديثهم عن الرياح، نجد أنّهم قد وضعوا لكلّ ريحٍ اسماً يختلف باختلاف مناطق هبوبها، فتحدّثوا عن ريح الصبا وعن الريح الجنوبية، وريح الدبور وغيرها، كما ارتبطت الرياح عندهم بموضوع الأمطار، وكان تعرّضهم لها من خلال وصفهم للأطلال وتعفيتها، فكانت الرياح والأمطار تمحو آثار ديارهم، وتزيل ذكرياتهم، كما جعلوا من الرياح وسيلة لنقل أشواقهم إلى أحبّتهم، إلى جانب ذلك تعرّض شعراء الدراسة لها من خلال تغنّيهم بالكرم عند هبوب رياح الشمال؛ لبرودتها الشديدة، ولما كانت تحمله من القحط والجدب، وفي تلك الأوقات يقلّ الطعام ويتجلّى الكرم العربيّ، ومن أجل ذلك يتمادح الشعراء بالقِرى فيها.
ونالت الأشجار والنباتات بأنواعها نصيباً وافراً من حديث شعراء الدراسة المخضرمين، وذلك لطبيعة عيشهم واعتمادهم عليها في مجابهة ظروف الحياة. فذكروا النخل في كثير من شعرهم، واستمدّوا من ألوانه وشكله كثيراً من صورهم وتشبيهاتهم، فشبّهوا الظعائن وهي تتوغّل في الصحراء بالنخيل المتقارب، وجعلوا طول ذيل الناقة وغزارة شعرها كعسيب النخل. كما استعار شعراء الدراسة الكثير من أنواع الأشجار، مستفيدين من ألوانها، وأحجامها، وطبيعتها، فكان تعرّضهم لبعضها يأتي في أحاديثهم عن القسوة والصلابة والشدة، كاتخاذهم من النبع والسراء قسيّهم ورماحهم. وكان شعراء الدراسة يستفيدون كذلك من أنواع بعض الأشجار والنباتات في الكناية، فكانوا يشيرون إلى الكمأة مثلاً

في كنايتهم عن الذلّة والهوان، كما استفادوا من ألوان بعض الأشجار، وميّزات بعض النباتات، وروائح بعض الأزهار لعقد مشابهاتهم، وكانوا يستعملون كلّ نوع من أنواع تلك الأشجار والنباتات في المكان المناسب لها، وبما يخدم المعنى المراد.

وأكثر شعراء الدراسة من ذكر الجبال، وارتبط ذكرها في أحاديث بعضهم فيها عن السيول، وكيف كانت قوّة تلك السيول تحطّ الوحوش من ذرى الجبال، إلى جانب تعرّضهم لها وهم يذكرون انتصاراتهم ومفاخرهم، لأنّها كانت تقع عند هذه الجبال فتقترن بأسمائها. ووجدوا في ذكر الجبال أيضاً صور البقاء والخلود فهي منيعة ثابتة لا تتغيّر، وخالدة تشهد فناء البشر.

وذكروا كذلك الوديان، ووقفوا عندها باعتبارها مناطق خصب تستقرّ فيها القبائل، وتقيم مرابعها، فكانت تمثّل لهم أيّام الاستقرار والصفاء. وجاء ذكرها عند بعضهم مقترناً بذكر الأحبّة والاشتياق إلى الديار. وكانت الوديان السحيقة تثير الرهبة والهواجس العجيبة في نفوسهم، ودخل قسم منها في الأساطير.

أمّا أحاديثهم عن الكثبان والدارات، والبُرَق، والحرّات والرياض، فكان قريباً من حديثهم عن الوديان باعتبار هذه المناطق تشكل أماكن خصب كانوا ينزلون فيها، فينعمون بخيرها ومائها، ووَرَد أسماء بعضها في وصفهم للأطلال وذكر الديار، وعرضوا لها كذلك خلال حديثهم عن قصص الحيوانات الوحشيّة.

تناولتُ في الفصل الثاني مظاهر الطبيعة الصائتة، من إبلٍ وخيل، وحيوانٍ وحشي، ومن ظباءٍ ووعولٍ ونعام، ومن ذئاب وكلاب وأسود، وقد عرضت فيه أيضاً لبعض أنواع الزواحف والحشرات، وللطيور بأنواعها الجارحة وغير الجارحة. وجاءت الناقة أولّ هذه الحيوانات، وكان وصف شعراء الدراسة المخضرمين لها أطول من وصفهم لغيرها من الحيوانات، وكانوا لا يتعدّون للوصف في قصيدة حتى يتحدّثوا عنها؛ وذلك لما لها من ارتباطٍ حميمٍ بحياتهم. وكانت الناقة وسيلةً لتسرية همومهم، ووسيلة تبلّغهم ديار أحبّائهم أو ممدوحيهم، فوصفوا أعضاءها، وصوّروها تصويراً دقيقاً، واختلفوا خلال وصفهم للناقة إلى صور وتشبيهات كثيرة أهمّها الاكتناز وعظم اللحم، وقدرتها على احتمال الأسفار واجتياز المسافات العظيمة إبّان اشتداد القيظ، وحرصوا على وصفهم لها بالقوّة والصلابة والسرعة، وتشبيهها بالحيوان الوحشيّ تارة أو بالظليم والقطا تارةً أخرى، لتوكيد سرعتها و بيان نشاطها.

وكذلك الخيل، فقد صوّر شعراء الدراسة المخضرمون خيلهم بصور شتّى، بعضها من الحيوان، وبعضها من الطّير، وبعضها من الجماد، بياناً لسرعتها وقوّتها، وجاء ذكر الخيل مقترناً بالقوّة والجاهزيّة للحرب، فخلّد الشعراء ذكرها، وتغنّوا في مفاتنها، وافتخروا بشجاعتها مشيرين إلى ثباتهم بها في معاركهم وهزيمة أعدائهم.

أمّا حديثهم عن الحيوان الوحشي كالحُمر الوحشيّة والثور والبقرة الوحشيين، فكان يأتي من خلال وصفهم لرواحلهم وهي تقطع بهم المفاوز المهلكة لتوصلهم إلى غايتهم، فشعراء الدراسة كانوا يريدون إضفاء طابع الشدّة والصلابة والسرعة على هذه الرواحل، فشبّهوها بالحيوانات الوحشيّة لسرعتها ومقاومتها وقدرتها على السير المتواصل.

كما ورد في شعر الدراسة ذكر الظباء وأوصافها والتشبيه بها، وأكثر الشعراء من توظيف صفات الظبية لتصوير المرأة، وشبّهوا بها كلّ ما وجدوه جميلاً في نفوسهم كما قرنوا ذكرها بالأطلال، هي وبعض الحيوانات الوديعة الأخرى، التي كانت ترتاد تلك الديار والملاعب، وذلك لجمال صورتها وتناسبها مع ما يحملون لهذه الديار من ذكريات جميلة. كما شبّه بعضهم ناقته بالظبية في سرعتها وشدّة عدوها.

وذكروا كذلك الوعول، واتخذوها مثالاً للعجز عن إدراك الخلود، فهي على قوّتها لا تنجو من نوازل الدهر. وذكروا النعامة واستقصوا أعضاءها، ووقفوا عند عاداتها، ووظّفوا ألوانها وأوصافها وسرعة عدوها في صور مختلفةٍ من شعرهم، فشبّهوا بها مطاياهم بياناً للسرعة والنشاط.

وتحدّث شعراء الدراسة عن الذئاب، ووصفها بعضهم وصفاً دقيقاً، ولمس بعضهم الآخر فيها السرعة وقوّة البنية فشبّه بها خيله. كما ذكروا الكلاب، وأبرزوا خصائصها - من حدّة في السمع والبصر- في شعرهم، كما ارتبط ذكرها عندهم بموضوع الصيد، وكان تعرّضهم لها من خلال تصويرهم للمعركة التي كانت تدور بينها وبين الثور الوحشيّ أو البقرة الوحشيّة، كما كانوا يصفون حالها بعد رجوعها من معركة الصيد التي خاضتها في مهاجمة الثور الوحشيّ، وكانوا يجعلون الثور يُقتل إن كان غرضهم في شعرهم الرثاء، وكان الثور يسلم والكلاب تضرّج بالدماء وتقتل في غيره من الأغراض الشعريّة.

ومن الحيوانات الأخرى التي تحدّث الشعراء عنها الأسد، الذي اقترن ذكره غالباً بحديثهم عن مفاخرهم، وانتصارات قبائلهم، أو في ذكر مناقبهم، فشبّهوا الفتيان والفرسان الشجعان بالأسود بياناً للقوّة والهيبة.

وذكر شعراء الدراسة كذلك بعض أصناف الحشرات كالنحل والذباب والجراد، وبعض أنواع الزواحف كالأفاعي، التي اقترنت صورتها بصورة القوّة، كما وظّفوا ألوانها في صورهم وتشبيهاتهم المتنوّعة، وتعرّضوا كذلك لذكر الحرباء في حديثهم عن شدة الحرّ.
أمّا الطيور، فكان لها نصيب وافر من حديث شعراء الدراسة، حيث استمدّوا من أوصافها وأشكالها، وصورها ما وجدوه ملائماً للمواضيع المناسبة التي أرادوا الحديث عنها، فقد ألهمت بعض أصناف الطيور الجارحة – كالصقر – شعراء الدراسة مشاعر القوّة والسيطرة، وبعض آخر من الطيور غير الجارحة أثار في نفوسهم الخوف والتشاؤم كالغراب والبوم، أمّا الحمام فقد أثار في نفوسهم العاطفة والحنين، فهاموا به، وأبدعوا في تصوير غنائه. كما عرضوا في حديثهم لطائر القطا، ووظّفوا سرعته وخفّته في تصوير خيلهم، وجاء ذكره في معرض حديثهم عن إبلهم وهي تجتاز الصحراء الهاجرة حين يكون القطا نائماً، اتّقاء لهيب الشمس اللافحة، مؤكّدين بذلك قوّة تحمّل رواحلهم ونشاطها. كما أشاروا في شعرهم إلى بعض الطيور، فذكروا الديك، والدجاج، والأوزّ، والعصافير.

وأفردتُ الفصل الثالث لدراسة الخصائص الفنيّة لشعر الطبيعة عند شعراء الدراسة المخضرمين، من حيث النسيج اللغوي الذي ضمّ بابي الألفاظ والتكرار، ومن حيث الصور الفنية الحسيّة التي اشتملت على الصور البصريّة، والذوقيّة، والحركيّة، والسمعيّة، والشميّة، والضوئيّة والصور اللونيّة واللمسيّة. وقد أسفرت هذه الدراسة في باب الألفاظ عن أنّ شعر وصف الطبيعة في هذه الدراسة قد تميّز بألفاظه الجزلة، ومفرداته الوعرة التي استمدّها الشعراء من بيئتهم الصحراويّة.
وتوصّلتُ في باب التكرار إلى أنَ شعراء الدراسة قد عمدوا إلى تكرار المفردات – بصورها كافّة – والمعاني والأفكار تكراراً له بواعثه وقيمه الفنيّة، التي تتجلّى في اتخاذ التكرار أسلوباً من أساليب التوكيد والتوضيح، وكذلك لبيان الموقف الشعوريّ والوجدانيّ للشاعر من المكرّر.
كما أسفرت دراسة الصور الفنيّة في شعر الدراسة عن أنّ أكثر الصور التي أوردها شعراء الدراسة المخضرمون صورٌ حسيّة أخذوها ممّا يقع تحت سمعهم وبصرهم من أحداث الطبيعة وظواهرها، ومن صور الحيوان والنبات والجماد، ووظّفوا المتنوّع من هذه الصور الحسيّة في خدمة معانيهم التي كان لها عميق الأثر في نفوس المتلقين.

وبعد، فهذه خلاصة الدراسة التي قمت بها، والله الموفّق لكل خير.

المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم.
- الأصفهاني، أبو الفرج (ت 356هـ). **الأغاني**، (د.ط)، (تحقيق إحسان عباس وآخرون)، دار صادر، بيروت، (د.ت) .
- امرؤ القيس، ابن حجر الكنديّ (ت 80 ق.هـ). **ديوان امرئ القيس** ، (د . ط)، دار بيروت ودار صادر للطباعة، بيروت، 1985م.
- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت 328هـ). **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، (د.ط)، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار المعارف، مصر، 1963م.
- الجاحظ،، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني(ت 255هـ). **الحيوان**، (ط2)، (تحقيق عبد السلام هارون) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1965م.
- جرير(ت 110هـ). **شرح ديوان جرير**، (ط1)، (شرحه وقدّم له مهدي محمد ناصر الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.
- الجعديّ، النابغة(ت 50هـ). **ديوان النابغة الجعديّ**، (ط1)، (شرحه واضح الصمد)، دار صادر للطباعة، بيروت، 1998م.
- الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام (ت 232هـ). **طبقات فحول الشعراء**، (د.ط)، (شرح محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، مصر، 1372هـ.
- الدينوري، ابن قتيبة(ت 276هـ). **الأنواء في مواسم العرب**،(ط1)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1956م.
- ـــــــــــــــــ، **الشعر والشعراء**، (تحقيق مصطفى السقا)، مطبعة المعاهد، مصر 1932م.
- ـــــــــــــــــ. **المعارف**، (ط2)، (صححه وعلق عليه محمد إسماعيل عبد الله الصاوي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1970م.

- الذبيانيّ، الشمّاخ بن ضرار(ت 22هـ). **ديوان الشمّاخ بن ضرار الذبيانيّ الغطفانيّ**، ط1، (شرح وتقديم قدري مايو)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.
- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق(ت 456هـ). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،** (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، مطبعة السعادة، مصر،1955م.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت 538هـ). **أساس البلاغة**، (ط3)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1958م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن جلال الدين(ت 911هـ). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها،** (تحقيق الشربيني شريدة)، دار الحديث، القاهرة، 2010م.
- ابن الصمّة، دريد الجشميّ، **ديوان دريد بن الصمّة الجشميّ**، (تحقيق محمد خير البقاعي)، دار قتيبة، 1981م.
- ابن طباطبا، أبو الحسن أحمد بن محمد(ت 322هـ). **عيار الشعر**، (تحقيق طه الحاجري، و محمد زغلول سلّام)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1956م.
- طرفة بن العبد، عمرو بن العبد (ت 569م). **ديوان طرفة بن العبد** ، دار بيروت ودار صادر للطباعة، بيروت، 1961م.
- العامريّ، لبيد بن ربيعة(ت41هـ). **ديوان لبيد بن ربيعة**، (ط1)، (شرح الطوسي)، (تحقيق حنا ناصر الحتّي)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م.
- العسكري، أبو هلال،(ت395هـ). **كتاب الصّناعتين: الكتابة والشّعر**، ، (تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل أبراهيم)، إحياء االكتب العربية، القاهرة، 1952م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين(ت817هـ). **القاموس المحيط**، (ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي)، دار الفكر والطباعة والنشر، بيروت، 1995م.
- المزنيّ، كعب بن زهير(ت 24هـ). **ديوان كعب بن زهير**، (ط1)، (صنعة الإمام أبي سعيد السكريّ)، (شرح ودراسة مفيد قميحة)، دار الشوّاف للطباعة والنشر، الرياض، العربي، 1989م.

- ______________**.ديوان كعب بن زهير،** (تحقيق حنا ناصر الحتّي)، دار الكتاب العربي، 1994م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ). **لسان العرب،** دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1968م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت518هـ).، **مجمع الأمثال،** منشورات دارمكتبة الحياة، بيروت، 1961م.

المراجع:

- بابني، عزيزه فوال (1998م)، **معجم الشعراء المخضرميين والأمويين،** (ط1)، بيروت: دار صادر
- بدوي، عبده(1975م)، **الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي،** مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة والإعلام.
- بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي،** (ترجمة عبد الحليم النجار)، مصر: دار المعارف.
- البطل، علي(1980م)، **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري: دراسة في أصولها وتطورها،** (ط1)، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (1998م)، **خزانة الأدب ولُباب لسان العرب،** (ط1)، (قدم له ووضع هوامشه محمد نبيل طريفي)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- بلبع، عبد الحكيم(1975م)، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه،** (ط2)، القاهرة: طبعة لجنة البيان العربي.
- الجبوري، يحيى (1981م)، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه،** (ط2)، بيروت: مؤسسة الرسالة للطبع والنشر.
- الجبوري، يحيى(1962م). **لبيد بن ربيعة العامري دراسة أدبية** ، (ط1)، بغداد: مطبعة المعارف، 1962م.

- حاوي، إيليا، **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي**، (ط2)، بيروت: منشورات دار الكتاب اللبناني.
- حسين، فوزي طه قطب(1981م)، **النباتات الطبية: زراعتها ومكوناتها**، الرياض: دار المريخ للنشر.
- الحوفي، أحمد محمد(1958م)، **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**، مصر: مكتبة نهضة مصر.
- الدهان، سامي (1963م)، **الوصف**، مصر: دار المعارف.
- ذياب، محمدعلي(2003م)، **الصورة الفنية في شعر الشماخ**، عمّان: وزارة الثقافة.
- الرباعي، عبد القادر(1980م)، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، (ط1)، إربد: جامعة اليرموك – الدراسات الأدبية واللغوية.
- ____________.(1995م)، **الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق**، (ط1)، إربد: مكتبة الكتاني
- ____________.(1998م)، **الطير في الشعر الجاهلي**، (ط1)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الزركلي، خير الدين(1979م)، **الأعلام قاموس تراجم** ، بيروت: دار العلم للملايين.
- زيدان، جرجي(1957م)، **تاريخ آداب اللغة العربية**، (طبعة جديدة راجعها د. شوقي ضيف)، مصر: دار الهلال.
- الزيدي، كاصد ياسر(1980م)، **الطبيعة في القرآن الكريم**، بغداد: دار الرشيد.
- السباعي، بيومي، وآخرون (1957م)، **وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي**، القاهرة: المطبعة الأميرية.
- السعدني، مصطفى (1978م)، **البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث**، القاهرة: منشاة المعارف.
- أبو سويلم، أنور عليان(1983م)، **الإبل في الشعر الجاهلي** ، (ط1)، عمّان: دار العلم للنشر.
- ____________.(1987م)، **المطر في الشعر الجاهلي**، عمّان: دار عمّار.

- السيد، عز الدين علي (1978م) ، **التكرير بين المثير والتأثير**، (ط1)، القاهرة: دار الطباعة المحمدية.
- الصائغ، عبد الإله(1987م)، **الصورة الفنية معياراً نقدياً" منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير"**، (ط1)، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة.
- الصالحي، عباس مصطفى، **الصيد والطرد في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري**، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- صيام، زكريا، **شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عروات، أحمد فلاق(1991م)، **تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عيسى، أحمد(1981م)، **معجم أسماء النباتات**، (ط2) ، بيروت: دار الرائد العربي.
- (1980م)، **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي** ،(ط2)، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- القط، عبد القادر(1979م)، **في الشعر الإسلامي والأموي**، (ط1)، بيروت: دار النهضة العربية.
- قناوي، عبد العظيم علي(1949م)، **الوصف في الشعر العربي**، (ط1)، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- القيسي، نوري حمودي(1970م)، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، (ط1)، بيروت: دار الإرشاد.
- الكريطي، حاكم حبيب (2001م)، **معجم الشعراء الجاهليين والمخضرميين**، (ط1)، بيروت: مكتبة لبنان.
- لويس، سيسل داي(1985م)، **الصورة الشعرية**، ترجمة أحمد الجنابي ورفاقه، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.
- مجمع اللغة العربية، (1981م)، **المعجم الوسيط** ،(ط2)، راجعه: إبراهيم أنيس وآخرون، مصر: مطابع دار المعارف.

- محمد، السيد إبراهيم(1986م)، **قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي**، (ط1)، بيروت: المكتب الإسلامي.
- محمد علي، إبراهيم(2001م)، **اللون في الشعر العربي قبل الاسلام قراءة ميثولوجية**، (ط1)، لبنان: جروس برس للطباعة والنشر.
- مرعشلي، نديم وأسامة(1975م)، **الصحاح في اللغة والعلوم: معجم وسيط** ، (ط1)، بيروت: دار الحضارة العربية.
- الملائكة، نازك (1983م) ، **قضايا الشعر المعاصر**، (ط7)، بيروت: دار العلم للملايين.
- (1986م)، **المنجد**، (ط3)، بيروت: دار المشرق.
- نبوي، عبد العزيز، **دراسات في الأدب الجاهلي**، (ط3)، القاهرة: الصدر لخدمات الطباعة.
- نوفل، سيد(1945م)، **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، (ط2)، القاهرة: دار المعارف.
- الهادي، صلاح الدين(1968م)، **الشماخ بن ضرار الذبياني حياته وشعره**، مصر: دار المعارف.
- وهبه، مجدي وكامل المهندس (1979م)، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، بيروت: مكتبة لبنان.
- ويليك، رينيه (1985م)، **نظرية الأدب**، (ط3)، (ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب)، عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الرسائل الجامعيّة:

- إبراهيم، عبدالله محمود أحمد(1998م)، **لبيد بن ربيعة العامري وشعره الإسلامي**، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن.
- حسين، عبد القادر(2004م)، **الطبيعة في شعر الحطيئة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، الموصل، العراق.
- الرواشدة، مشهور خالد (2006م)، **شعر كعب بن زهير دراسة فنية**، رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

- العرفي، سعد عبد الرحمن(2007م)، **سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي: دراسة في المضمون والنسيج الفني**، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- مقابلة، زايد خالد بني موسى(1985م)، **ألفاظ النبات في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
- مقبل، مراد محمد سالم(2008م)، **تحولات الشعر في عصر صدر الإسلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن، عدن، اليمن.

NATURE IN THE POETRY OF MUKHADRAMIN: AL-SHAMMAKH AL-THUBIANI, AND KA'B BIN ZUHAIR, AND LABEED AL-AMIRI, AS A MODEL

By

Shatha Nabil Saleem

Supervisor

Dr. Hamdi Mansour, Prof.

ABSTRACT

Nature description poetry is a conspicuous art that is related to the Arabic poetry since its origin. For the poets the nature is always considered a source of revelation and inspiration. The nature description poetry is a vast field and fertile pasture for the veteran poet, which managed to present his invention ability; therefore, the nature influenced him, representing his emotions, excitement, language, and imagination.

This dissertation aims to exhibit the nature manifestations for both of its sides the static and mobile in the poetry of three veteran poets: Al-Shammakh Al-Thubiani, Ka'b Ibin Zuhair, and Labeed Al-Amiri. In addition, the dissertation will show the main artistic characteristics of the three veteran poets.

This dissertation came in three chapters and a preamble:

The preamble: clarified the meaning of veteran concept both in the language and idiomatically. In addition, it included a commentary about the nature in the poetry before Islam and during the Islamic period. Moreover, the preamble explained the life and the

poetry of the three veteran poets of the dissertation: Al-shammakh Al-thubiani, Ka'b bin Zuhair, and Labeed Al-amiri.

Chapter one specialized in studying the static nature in both of its fields, which include the descriping the earth, descriping the sky, and what can be included in these two fields.

Chapter two specialized in studying the mobile nature, which include camels, horse, wolf, dog, bird, etc.

Chapter three specialized in studying the artistic characteristics of the nature poetry for the three veteran poets from the language structure view, and the artistic depiction view.

The ending of the dissertation included the main resulted that ppeared during the study and the research of the dissertation, followed that with a list of resources and referenced that enriched the dissertation.